(350)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس والخمسون كيف يجب أن يكون الخادم الواجب أن ينتخبهُ مرشدًا في الاعتراف من كان شديد الاهتمام بأمر خلاصهِ فما عدا سلطان الدرجة والولاية المطلوب من باب الضرورة يلزم بخصوص أن خادم هذا السر يكون متصفًا بالعلم مزادلاً بحلى التفقه والفطنة لأنه يقوم مقام قاضٍ وطبيب فنظرًا إلى الأول وهو العلم يلزم أن يكون المعروف ممتازًا بالعلم ليستطيع أن يستقصي الخطايا ليرى من أنواعها المختلفة ما كان منها ثقيلاً وما كان خفيفًا كي يبتٌ حكمًا بمقتضى حالة كل معترف. وباعتبار كونه طبيبا يلزمه أن يكون على جانب عظيم من الحكمة والدراية حيث يتوجب عليه أن يكون على جهد في أن يستعمل للمريض أدوية تفيد شفاء لنفسه وصيانة لها من شدة الداء في المستقبل ومن ثم يفقه المؤمنون ما يحب عليهم أن يبذلوا من العناية في انتخاب كاهن مرشدًا لهم يكون ممدوحًا بكمال سيرتهِ وحكمتهِ ودرايتهِ يتدبر حسنًا قدر الوظيفة التي لهُ ويعلم أهميتها وما يناسب من فرض القانون على كل ذنب ومن هم الخطاة الواجب حلهم ومن هم الواجب ربطهم.

السابع والخمسون لا يحل للكاهن قطعًا أن يكشف بكلمة أو بإشارة ما يسمعهُ في أثناء الاعتراف لما كان كل انسان يرغب أشد رغبة بسترة أثامهِ وقباحتهِ اقتضى أن يبلغ المؤمنون أن ليس خوف قطعٍا من أن الكاهن يفشي لأحد أصلاً ما كشفوهُ لهُ في الاعتراف ولا يمكن أن يقع أدنى خطر لضررهم من الاعتراف في وقت من الأوقات لأن القوانين المقدسة تقضي بأشد العقاب على الكنهة الذين لا يكتمون كتمًا مؤَّيددًا مرعبًا الخطايا التي يطلعون عليها الاعتراف ولهذا نقرأ في مراسيم المجمع اللتراني الكبير ما

(351)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تعربيهُ: فليحذر الكاهن كل الحذر أن لا يظهر الخاطئ بكلمة أو بإشارة أو بأي نوع كان

الثامن والخمسون ما الذي يلزم يراعيه بوجه الخصوص الكاهن الذي يسمع الاعتراف

من حيث أن كلامنا في الخادم فيقتضي النظام أن نأتي ببيان بعض أصول ذات إفادة كبرى في مباشرة وظيفة المعرف فإن كثيرا من المؤمنين هم بمعزل عن الكمال المسيحي فلا يرون أطول من تلك الأيام التي تعينها سنة الكنيسة للاعتراف وينتظرون مضيها بفروغ صبر يأتون الاعتراف وقلما يتذكرون الخطايا التي يلزم أن يعترفوا بها للكاهن وقلما يجتهدون في باقي الأمور التي تخولهم أعظم قوة لنوال النعمة الإلهية. فلأجل ذلك لما كان من الواجب مساعدتهم بكل اجتهاد في أمر خلاصهم وجب على الكهنة أن ينظروا جيدًا فإذا كان المعترف نادمًا ندامة حنة على خطاياه وعازمًا عزمًا وطيدًا على اجتناب الخطايا في المستقبل. فإذا رأُوه على مثل هذا الاستعداد الجيد فليعظوه ويحثوه على أن يسدي وافر الشكر لله على مثل هذا الاإحسان العظيم الفريد وإلا يكفُ أبدًا من أن يستمد منه تعالى مدد النعمة السماوية حتى إذا ما تدرَّع بهِ يتمكن بدون صعوبة من صادمة الشهوات الردية الآم الرب ويهيج نفسه إلى الاقتداء بهِ ويضرمها بنار محبتهِ الفائقة لأنهُ يستفيد من الهذيذ كل يوم أمنًا من تجارب محن الشيطان. فإن أكبر

(352)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

داعٍ لحوار قوانا وسقوطنا في محاربة العدو بسرعة وبأول تجربة الاَّ إنما هو عدم اجتهادنا في أن نضرم قلوبنا بنار المحبة الإلهية بواسطة تأملنا بالامور السموية فإن ذلك ينعش العقل وينويه وإما اذا رأى الكاهن أن المعترف غير متوجع على خطاياه توجعا يدل على أنهُ نادم حقًا فليجتهد في اغرائهِ بالندامة حتى يضطرم شوقًا إلى نيل هذه المرتبة الجليلة ويحملهُ على أنفاسها واستمدادها من رحمة الله الغزيرة.

التاسع والخمسون كيف ينبغي أن يتصرَّف المعرَّف مع من يعتذرون عن خطاياهم

يجب عليهِ أولاً وبدءا أن يقع كبرياء البعض الذي يجتهدون في أن يجرّوا على خطاياهم ذيل الاعتذار لو أن يخففوا جرمها كقولك متى اعترف أحد بأنهُ احتدم غيظًا حالاً يعزي سبب غضبه إلى آخر منشكيًا منهُ بأنهُ اهانه. فلينصح مثل هؤلاء ويبلغوا أن مثل هذه الأعذار هي أدلة على عتوَّ النفس وجهامها أو استصغارها كبر أثمها ثم أن مثل هذا الاعتذار شأنهُ أن يزيد جرم الخطية لا أن يخفضها لكون من يدعي أن يصوب فعله على هذا النمط يبدي من نفسه أنهُ سيعمل بالصبر حيث لا داعي المصبر أي حين لا ينالهُ أدنى اهانة من أحد. وهذا من أقبح الأمور بالانسان المسيحي. أن يغضب على أخيهِ الذي اهانهُ حين كان ينبغي عليهِ أن يرثي لحالهِ ويتوجع على قباحة خطيتهِ وأنهُ اذا حضرته فرصة مناسبة كي يكرَّم الله بصبره ويصلح أخاه بدعتهِ حول إلى هلاكهِ ما كان مادة.

(353)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الستون كيف يشير المعرف على من يستحقون من الاعتراف بخطاياهم أو من يتقدمون إليهِ بدون استعداد

يجب أن نعتبر شر الخطايا خطية من لا يتجرأون أن يعترفوا بخطاياهم لداعي خجل ناشئ عن الحماقة فينبغي اذن أن تُشدَّد عزئِم هؤلاء في أثناء الارشاد ونيين لهم أن ليس داعٍ للخوف من كشف الآثام وأن ليس لأحد أن يتعجب اذا عرف أن الناس يخطأون لأن ذلك داء يعمُّ الجميع وشأن الضعف البشري ومن الناس من لا يعرفون معرفة كافية أن يبينوا خطاياهم بالاعتراف ولا كيف يتدبرون فيهِ أو يبندئون بهِ أما لأنهم اعتادوا أن يعترفوا نادرًا وأما لأنهم لا يبذلون أدنى اهتمام وافتكار في استقصاء خطاياهم فمثل هؤلاء ينبغي أن يوبخوا توبيخًا شديدًا ويتعلموا أولاً أنهم قبل أن يتقدموا إلى الكاهن يجب أن يعتنوا جهدهم في أن يحرَّكوا قلوبهم بالتوجع على أثامهم ولا يمكنهم ذلك بدون أن يتذكروها بأفرادها ويعرفوها ولأجل ذلك اذا عرف الكاهن مثل هؤلاء الناس غير مستعدون فيطلقهم بكلام لطيف أنيس ويحثهم على أن يتخذوا مهلة من الزمان ليفحصوا ضميرهم ثم يعودوا إلى الاعتراف وان حق أنهم بذلوا كل جهدهم فيفحص الضمير فليسمع اعترافهم (اذ يخشى كثيرا من أنهم اذا أطلقوا مرة لا يرجعون) لا سيما اذا ابدوا من نفوسهم رغبة في اصلاح سيرتهم وتهيأ لهُ أن يحملهم على أن يشتكوا على نفوسهم بكسلهم وبعدوا أنهم في وقت آخر يعوضون ما فإتهم من الاعتناء والاجتهاد في الفحص وعلى كل حال على معلم الاعتراف أن يحسن الفطنة والدراية في هذا

(354)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأمر. فإذا رأى بعد سماع اعترافهم أنهم استوفوا حق الاجتهاد في ايراد خطاياهم والندامة عليها جاز حلهم وأما اذا لحظ أنهم قد خلوا في كليهما فلينصحهم ويقنعهم بأن يبذلوا اعتناء أعظم في فحص ضميرهم كما قلنا ثم يصرفهم بكل ما يمكنه من اللطاقة والموانسة.

الحادي والستون كيف يجب أن يتلاقي حياء البعض

قد يتفق أحيانًا أن بعض النساء اذا نسينَ خطية في الاعتراف السابق لا يتجزَّأنَ على الرجوع إلى الكاهن خوفًا من وقوعهنَّ في مظنة السوء عند الجمهور لو من أن يعتبرنَ أنهنَّ يبتغينَ المديح من الناس على تقواهنَّ فلهذا ينبغي أن يعلم الرعاة جهارًا ولعى انفراد أن ما من أحد يستطيع أن يتذكر جميع أفعاله وأقواله وأفكاره ولأجل ذلك ما من داعٍ للمؤمنين أن يرهبوا الرجوع إلى الكاهن اذا عاد إلى بالهم ذكر خطية كانوا نسوها في الاعتراف فعلى الكهنة اذا أن يراعوا في الاعتارف هذه الأمور وما شاكلها. فلتأتين الأن غلى الكلام على القسم الثالث من سر التوبة وهو الوفاء.

الثاني والستون ماذا يفهم بالوفاء بوجه العموم وبوجه الخصوص في مادة الاعتراف

ينبغي قبل كل شئ أن نبين اسم الوفاء وفحواء لأن أعداء الكنيسة الكاثوليكية قد اتخذوا منهُ مندوحة فسيحة للخصام والشقاق مع كبير الضرر المشعب المسيحي. فالوفاء كما قال القديس توما اللاهوتي في

(355)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكتاب 4 في التمييز 15 انما هو آداء دَين بتمامهِ. لأن من استوفى ماله لا يبقى لهُ شئ ففي كلامنا على نعمة المصالحة نعني بالوفاء ما يؤَدي الغاضب ما يطلب لهُ من الترضية على قدر ما أنزل بهِ من الاهانة الداعية إلى الانتقام وهكذا ما الوفاء الاَّ تعويض للأخر عما أنزل بهِ من الاهانة وفي موقع كلامنا قد اصطلح علماء اللاهوت على اسم الوفاء بيانًا لهذا التعويض الذي يؤَديه الانسان لله حين يفيه شيئًا عن الخطايا التي اقترفها.

الثالث والستون كم هي درجات الوفاء المتضمن تعويضًا ما عن الخطية

لما كانت الدرجات كثيرة في هذا لمعنى قد اختلفت أيضًا أشكال الوفاء فأولها وأفضلها هو تأدية كل ما تلتزم بهِ لأجل خطايانا ولو أراد الله سبحانه أن يطالبنا بتمام حقهِ وهذا ما يعرف بالوفاء الذي نسترضي بهِ الله ونسكن غضبه وقد استفناه من السيد المسيح وحده الذي أدَّى على الصليب ثمن خطايانا ووفي الله أتم الوفاء. لأنهُ لم يكن بوسع خليقة من الخلائق ولو مهما عظمت وجلت قدرا أن تخلصنا من هذا الدين الباهظ وشهد بهِ القديس يوحنا الرسول اذ قال: وهو كفارة عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كلهِ أيضًا. فهذا هو اذن الوفاء الكامل التام الموازي والمساوي جميع الخطايا المقترفة في هذا العالم فمنهُ تتخذ أعمال البشر قيمتها وتعود مرضية لله ومستحقة الثواب وبدونهِ لا تستحق أدنى اعتبار كليًا وإليهِ اشار النبي داود بعد أن ترَّواء

(356)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بالتأمل قائلاً: بماذا أكافى الرب عن كل ما أعطانيهِ: (مزمور115 ع12). ولما لم يجد سوى هذا الوفاء الذي عبر عنهُ باسم كأس جديرًا بأوفر الاحسانات وأعظمها أردف كلامه بقولهِ: كأس الخلاص أقبل وباسم الرب أدعي.

والنوع الثاني من هذا الوفاء هو المعروف بالقانون ويتم في مدة معلومة من الزمان ولهذا كان من اصطلاح الكنيسة في القديم أن تفرض قانونًا على التائبين قبل أن يحلوا من خطاياهم وتتميم هذا القانون كان يُدعى وفاء.

ويعبرون بهذا الاسم أيضًا عن كل نوع من العقاب الذي نقبله لأجل خطايانا من تلقاء ذواتنا لا بأمر الكاهن ونجربه على نفوسنا تكرارًا

الرابع والستون ما هو الوفاء المختص بسر التوبة

أن جميع أنواع الوفاء التي ذكرناها لا تعلق لها بالتوبة بما انها سر بل تعد جزءًا من السر يفرضهُ الكاهن فقط كما تقدم وتقدمهُ لله لأجل خطايانا مع القصد الثابت لاجتنابها في المستقبل بكل جهدنا كما قال المجمع التريدنتيني الفصل 8و9 وفي القانون12 من الجلسة14 عن التوبة. وقد عرَّفهُ البعض بقولهم: الوفاء هو أن يؤَدي لله الاكرام المتوجب لهُ ومن المعلوم أن ما من أحد يستطيع أن يؤَدي الاكرام المتوجب له ما لم يقصد اجتناب الخطايا بالكلية كما قال القديس انسلموس في الفصل11 من كتابهِ الأول وقال القديس اغوسطينوس في الفصل54 عن عقائد الكنيسة: أن الوفاء هو استئصال أسباب الخطايا

(357)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وسد منافذ القلب دون وساسها وذهب هذا المذهب غيره من الأباء القديسين وقالوا أن الوفاء تطهير يرحض كل دون لصق بالنفس بسبب دنس الخطية ويحلنا من العقوبات الزمنية التي كنا تقيدنا بها فحيث الحالة هذه يسهل على المؤمنين أن يعلقوا ما أشد التزامهم ممارسة هذا الوفاء بمزيد الاجتهاد.

الخامس والستون أن العقاب الزمني لا يترك دائمًا بترك العقاب الأبدي الذي يلي غفران الخطية

يجب أن نعلم المؤمنين أن شيئين يعقبان الخطية الذنب والعقاب. فمتى غفر الذنب يترك دائمًا معهُ عذاب الموت الأبدي المقتضى بهِ في جهنم الاَّ أنهُ لا يتفق دائمًا كما أعلن المجمع التريدينيني أن الرب يصفح عن بقايا الخطايا والعقاب المتوجب لها غلى أجل مسمى ولنا في هذا المعنى نموذجات بينة في الأسفار الالهية كما في الفصل الثالث من سفر الخليقة (ع12و20) ومن محال أخرى عديدة كما في سفر الخروج (ص22ع22) وسفر العدد وأوضحها مثال داود النبي الشهير الجليل فإنهُ اعترف باثمهِ لنبي ناثان أجابه النبي: والرب ايضًا نقل عنك خطيتك. زمع ذلك قد كابد داود يرضي وقبول أشد العقوبات ولم يبرح نهارًا وليلاً يلتمس رحمة الله بهذا الكلام: اغسلني كثيرًا من اثمي ومن خطيئتي طهرني لأنني أنا عارف بأثمي وخطاياي أمامي كل حين (مزمور50ع4و5) فلم يكن يلتمس من الرب بهذا الكلام أن يغفر لهُ ذنبه فقط بل العقاب أيضًا

(358)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المتوجب لهُ وأن يطهره من بقايا الخطية ويرده إلى كان عليهِ سابقًا من جمال النفس وكمالها. وهذا كان يطلبهُ بحميم الدعاء والابتهال ومع ذلك قد عاقبهُ الله على خطاياه بموت ابنهِ الذي أتاه من الزنا ثم بخيانة وموت ابنه ابيشالوم الذي كان يعزَّه أفضل معزة ما عدا ما أنزل بهِ من البلايا والنكبات التي كان قبلاً يتهدده بها (2ملوك ص12ع18وص15وص18ع14) ثم في سفر الخروج أجاب الله دعاء موسى نفسه وعفا عن الشعب الذي عبد العجل ومع ذلك قد توعده أنهُ سينزل بهم العقاب على اقترافهم مثل هذا الاثم الفظيع وقد شهد موسى نفسه أن الرب ينتقم أشد الانتقام من الخاطئ في الجيل الثاني والثالث حتى الرابع وقد سلمنا هذا التعليم في الكنيسة الأباء القديسون كما تبين صريحًا من أقوالهم.

السادس والستون لما لا يغفر الله بسر التوبة بقدر ما يغفر بسر العماد

قد أبان المجمع التريدنتيني جليًا في الفصل الثامن من الجلسة14 السبب الذي من أجلهِ لا يغفر الله بسر التوبة بقدر ما يغفر بسر العماد اذ قال: أن العدل الإلهي يقتضي أن الذين أخطأوا بجهل قبل العماد يقبلون إلىالنعمة ويغفلا لهم غفرانًا غير غفران الذين بعد أن نجوا مرة من عبودية الخطية وإبليس ونالوا موهبة الروح القدس دنسوا هيكل الله عن معرفة (1قور ص13ع15) ولم يرهبوا أن يحزنوا الروح القدس (أفس ص4ع20) وقد لاق بجنوه تعالى ألا تغفر خطايانا بدون أدنى وقاء كي لا نستخف بالخطايا ونتورط بأكبرها عند سنوح الفرصة

(359)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كأننا نهين الروح القدس ونزدري به (عبرا ص10ع29) مذخرين لنفوسنا غضبًا ليوم الغضب (رومة ص2ع5) فلا غروان عقوبات الوفاء هذه تردع التائبين عن الخطأ وتكبح جموحهم إلى الاثم وتزيدهم تحرصًا وتيقظًا في المستقبل (اه).

وزد على ذلك أن مثل هذاالعقاب هو عبارة عن توجعنا على الخطايا التي اقترفناها وبهذه الطريقة تقدم ترضية للكنيسة التي أهنَّاها اهانة جسمية بخطايانا لأن القديس اغوسطينوس يقول: أن الله لا يرذل القلب المتخشع المتواضع (مزمور50ع19) ولكن على الغالب نوجع قلب يخفق على قلب آخر ولا تتصل معرفته إلى الأخرين لا بالكلام ولا بأية علامة كانت من العلامات فاقتضى بحق وصواب أن رؤساء الكنيسة يعينون أوقاتًا للتوبة كي تستوفي الكنيسية التي فيها تغفر الخطايا حق الترضية.

السابع والستون كيف ينتفع غيرنا من العقوبات المقضى علينا بها

ثم أن نموذجات توبتنا تعلم الآخرين ما يتوجب عليهم من اصلاح سيرتهم واقتفاء أثر التقوى. لأنهم اذا شاهدوا العقاب المنزل فينا من أجل خطايانا يعلقون وجوب الحذر العظيم من اقتراف الاثم في كامل حياتهم واصلاح سيرتهم الماضية ولهذا قد حافظت الكنيسة بكل حكمة على الفضاء بتوبة جهيرة على من يقترف اثمًا على روس الاشهاد كي يرتهب الأخرون ويجتنبوا الاثم بأوفر نشاط فيما ياتي. كما قال القديس اغوسطينوس في الفصل26 من كتاب5 عن مدينة الله.

(360)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وفي الفصل21 من كتابه في التوبة الصادقة والكاذبة وقد جرت العادة أيضًا في فرض مثل هذا العقاب على الذنوب الخفية الممتازة بثقلها عن غيرها. ولكن كما قلنا في الخطايا المشهورة كما يجري ذلك دائمًا حتى أن مرتكبيها لا يحلون قبل ان يصنعوا توبة شهيرة أما الرعاة فكانوا في الباطن يتوسلون لله لأجل خلاصهم ولم يكونوا يكفون عن أن يحضَّوا التائبين على مثل هذه الأدعية. وقد كانت همة القديس امبرسيوس وعنايتهُ فائقتين في هذا النوع حتى روُى عنهُ أنهُ كان بدموعه السخينة بلين الخطأَة الذين كانوا يتقدمون إلى منبر التوبة بقلوب صخرية ويقبل بهم إلى الندامة الحقة على أن هذا التهذيب قد تراخى فيما بعد وفترت المحبة حتى غدا كثيرون من المؤمنين يفتكرون أن نوال الصفح عن الخطايا لا يستلزم أدنى ندامة ولا أقل توجع قلبي بل أخذوا يستكفون بصورة التوجع وشكل الندامة لا غير.

الثامن والستون أن التوبة تجعلنا شبيهين بالمسيح

ثم اننا باحتمال مثل هذا العقاب المختص بالتوبة تشتمل وننشبه بيسوع المسيح رأَسنا الذي تأَلم وابتلي (عبرا ص2ع16) لأن ما من شئ يرى قبيحًا كما قال القديس برنردس مثل ترفه الأعضاء وهي تحت رأس مكلل بالشوك. وقد شهد رسول الأمم: نحن وارثون مع المسيح ان كنا نتأَلم معهُ (رومه ص8ع17) وفي محل أخر يقول: ومن أصدق ما يقال أنا أن متنا معهُ وأن صبرنا فسنملك معهُ (تيمو2 ص2ع11و12).

(361)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع والستون كيف يبقى محل العدل في الخطية بعد أن تكون غفرت بالرحمة

الجواب أن القديس برنردس في مقالتهِ على عشاء الرب يثبت وجود شيئين في الخطية دنس النفس وجرحها. فرحمة الله ترحض الدنس والشناعة. أما شفاؤُها من الكلوم فسيلتزم من باب الضرورة تلك العناية التي تصرف في معالجة التوبة. فكما أن الجرح اذا شفي تبقى بعض أثارات تقتضي معالجتها هكذا في النفس اذا غفرت الخطية تبقى لها بقايا لا بد من رحضها. واثبت هذا القول نفسه القديس يوحنا الذهبي الفم فيما جاءَ من مقالتهِ80 حيث قال: لا يكفي أن يقلع السهم من جسم أُصيب بهِ بل لا بد أيضًا من شفاء الجرح الذي فعله السهم هكذا أيضًا بعد أن نالت النفس غفران الخطية ينبغي أن يشفي بالتوبة ما بقي فيها من الجراح وما أكثر ما علمنا القديس اغوسطينوس في تفسيره المزمور50 بقولهِ: ينبغي أن نراعي أمرين في التوبة رحمة الله وعدلهُ. فالرحمة تغفر الخطايا وتصفح عما ترتب عليها من العقاب الأبدي والعدل يعاقب الانسان عقابًا مقرَّرًا إلى أجل مسمى.

السبعون أننا بواسطة التوبة ننجو من العقوبات التي تضي الله علينا بها

ونقول أخيرًا أن عقاب التوبة الذي نقبلهُ هنا يدفع عنا غضبهم الله وما ترتب علينا من العذاب لأن الرسول يعلمنا بقوله لو كنا ندين نفوسنا لما كنا ندان وفي دينونتنا هذه انما يؤَدينا الرب لئلا يحكم علينا مع

(362)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العالم (1قور ص11ع31و32) فإن المؤمنون هذا التعليم فهيها يوجد خطأَة لا يبادرون إلى أعمال التوبة بمزيد الرغبة والاجتهاد

الحادي والسبعون من أين تصير أعمالنا ذات استحقاق ووفاء

أن لأعمالنا قوة عظيمة لنعلفها باستحقاق آلام السيد المسيح فتقتبس منها أعمالنا الصالحة خيرَين عظيميَين أحدهما ثواب المجد الذي لا يزول كما صرَّح ارب بقولهِ: أن من يعطي باسمهِ كأس ماء بارد لا يضيع أجره (متى ص10ع42) والأخر التكفير عن أثامنا. كما أثبت المجمع التريدنتيتي في الجلسة14 عن التوبة في الفصل8 والقانون13و14 وفي الجلسة عن التبرير في الفصل16 منها.

الثاني والسبعون أن تكفيرنا لا يخلُّ بتكفير المسيح عنا وباستحقاقهِ

أن تكفيرنا لا يخل يتكفير السيد المسيح الكلي الكمال والفيضان لا بل أنهُ يزيده بهاءَ وسناءَ لأن نعمة المسيح تستبين به متفاضلة بغزارتها اذ نشترك لا في الأشياء التي استحقتها ووفاها هو وحده بذاتهِ وفقط بل في تلك التي استحققها ووفاها بقديسيه وابراره أيضًا حال كونهِ رأسًا وهم أعضاء وبذلك يتضح ما لأعمال الأنام الأفاضل الصالحة من وفير الثمن والاعتبار فكما أن الرأس يعطي القوة للأعضاء والكرمة للأغصان كذلك المسيح الرب يسكب غيث نعمة على الذين اتحدوا معه برباط المحبة هذه النعمة تسق دائمًا أعمالنا الصالحة وترافقها وتتبعها وبدونها لا نستطيع قطعًا أن نستحق شيئًا أو نكفر لله بشئ فيتخلص من ذلك أن الأبرار لا ينقصهم شئ اذ أنهم بأعمالهم التي يلعلمونها بقوة الله يتهيألهم أن يحفظوا

(363)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الشريعة الإلهية حفظًا تامًا بحسب ما يستطاع في حال الطبيعة البشرية وأن يستحقوا الحياة الأبدية التي ينالونها اذا بارحوا هذه الحياة مزدانين بنعمة الله (1قور ص15و18) ومن المعلوم أن مخلصنا اشار الى ذلك بقولهِ: من يشرب من هذا الماء الذي أنا سأعطيهِ لا يعطش إلى الأبد بل الماء الذي أنا سأعطيه يكون فيه ينبوع ماء يجري للحياة الأبدية (يوحناص4ع13و14).

الثالث والسبعون ماذا يقتضي على وجه الخصوص كي يكون الفعل قوة الوفاء

يقتضي شيئان بالخصوص في الوفاء أولهما أن الذي يفي يكون بارًا وخليلاً لله لأن الأعمال الصادرة بدون إيمان ومحبة لا ترضي الله أصالةً، ثانيهما أن الأعمال التي نفعلها تقتضي من طبعها مشقة وعناء لكونها تكفيرًا بل فداء عن الخطايا السالفة كما قال القديس قبريانوس الشهيد في كتابهِ1 وفي الرسالة2 بعد نصف الكتاب. فمن اللازم أن تشتمل على شئ من التأَلم ولو لم يشعر دائمًا بوجع من يباشر هذه الأعمال الشاقة لأن عادة الصبر أو محبة الله الضطرمة تجعلنا أحيانًا أَلاَّ نشعر بثقل الأمور الشديدة وذلك لا يجعل هذه الأمور نفسها خالية من القوة والوفاء والتكفير لأن من خصائص أباء الله أنهم اذا اضطرموا بنار المحبة الإلهية والقوى يكابدون أشد المشقات وهيهات يشعرون بشئ من الكدر بل يحتملون كل شئ بطيبة الخاطر وفرح القلب.

(364)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرابع والسبعون كي هي الأفعال الوقائية

على الرعاة أن يعلموا أن كل نوع من الوفاء والتكفير يعود إلى احدى هذه الثلاثة الصلوة والصوم والصدقة. لأن هذه الثلاثة تقابل الثلاثة والأخيار التي ننالها من الله وهي خير النفس وخير الجسد وخير المخلوقات جميعها التي خلقت لخدمة النفس والجسد. اذ ما من شئ أوفق وأصلح مما ذكر لاستئصال جراثيم الخطايا كلها لأن كل ما في العالم كما قال يوحنا الرسول في رسالته الأولى (ص2ع16) انما هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة فكل يرى أنهُ على الصواب أن تقاوم علل الداء هذه الثالثة بالصدقة ثم اذا اعتبرنا أولئك الذين أهنَّاهم بخطايانا تبين بدون تعسف أن مرجع كل وفاء وتكفير إلى هذه الثلاثة وهم الله سبحانهُ والقريب ونحن أنفسنا ولهذا فإننا نسترضي الله بالصلوة ونكفر القريب بالصدقة ونعاقب ذواتنا بالصوم.

الخامس و السبعون أن الأكدار التي تلمَّ بالناس من الخارج تعد أيضًا وقائية

فحيث تلمَّ بنا مصائب عديدة وأكدار مختلفة في هذه الحيوة يجب أن يعلم المؤمنون تعليمًا صريحًا جليًا انا اذا احتملنا بصبر ما ينزلهُ الله بنا من البلايا والملمات نجني منها اثمار الاستحقاق والوفاء. أما من يكابدون مثل هذا العذاب على رغم أنفهم وبنفرة يعدمون كل ثمرة الوفاء والتكفير ويحلمون غضب الله وعذابه انتقامًا عدلاً من خطاياهم

(365)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس والسبعون قد يصحَّ أن الواحد يكفر عن الأخر انما لا يصح أن يعترف عنهُ أو يندم

ففي هذا الأمر وجب علينا أن نسبح الله أعظم تسبيح على جودتهِ وحلمهِ ونوءدي لهُ أوفر الحمد والشكر على احسانهِ إلى ضعف الطبيعة البشرية بأنهُ قدَّر الواحد على أن يكفر بدل الأخر ذلك من أخص خصائص هذا الجزء من التوبة. فنظرًا إلى ما يتعلق بالاعتراف والندامة فما من أحد يستطيع أن يعترف أو يندم عن الأخر. وأما من كان محلِّى بعقود النعمة الإلهية فيمكنهُ أن يفي لله ما يتوجب لهُ من قبل إثم الأخر ولهذا كما قال الرسول المعظم أننا نتحمل أثقال بعضنا. وما في ذلك من ريب للمؤمنين الذين يعترفون بموجب قانون الإيمان بشركة القديسين لأننا قد رُحضنا جميعًا بمعمودية واحدة ووُلدنا ثانية بالمسيح واشتركنا في أسرار واحدة ولا سيما تناولنا جسد المسيح ودمه ماكلاً ومشربًا كل ذلك دليل واضح على أننا جميعًا أعضاء جسد واحد. فإذن كما أن الرجل لا تقوم بوظيفتها لأجل منفعتها فقط بل منفعة العينين أيضًا ولا العينان تنظران بغية فائدتهما فقط بل فائدة جميع الأعضاء هكذا ينبغي أن نعتبر أفعال الوفاء مشتركة فيما بيننا.

السابع والسبعون لا يستطيع الغير أن يشتركوا في كل قوة الوفاء

اذا نظرنا إلى جميع الفوائد التي تحصل من الوفاء المذكور نراها لا تعم الجميع بدون استثناء لأن أعمال الوفاء هي علاجات أيضًا وأدوية تفرض على النائب لشفاء عواطف قلبه الردية فمن المحقق أن الذين لا يباشرون

(366)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بذواتهم أعمال الوفاء يعدمون هذه الفائدة فهذا ما ينبغي أن يشرحه الرعاة

شرحًا صريحًا مسهيًا في ثلاثة أقسام، التوبة أي الندامة والاعتراف والوفاء.

الثامن والسبعون لا يجب أن يمنح الحل من لا يعد أن يردَّ ما سلبه

ينبغي أن يلاحظ الخوارنة هذا الأمر خاصة وهو انهم غب سماعهم الاعتراف بالخطايا قبل أن يحلوا التائب يعتنون جهدهم في أنهم اذا رأوه سلب شيئًا من مال قريبهِ أو ثلب صيته وحكموا أن ذنبه هذا يقتضي إلى هلاكه يحملونهُ على أن يعوض تعويضًا كافيًا وافيًا اذ لا يُحل أحد ما لم يعد أن يرد ما سلبه ولكن لما كان كثيرون ولو وعدوا وعدًا معظمًا بإيفاء ما فرض عليهم مع ذلك يتأكد أنهم لا يفون بوعودهم فلا بد أن يكره مثل هؤلاء على الردَّ وأن ترسخ في أذهانهم أية الرسول المعظم هذه. من كان يسرق فلا يسرق بعد بل يكدَّ ويعمل بيديه ما هو صالح لكي يكون لهُ ما يشرك المحتاج فيهِ(أفسس ص3ع28).

التاسع والسبعون أي قانون يجب أن يفرض على النائب

نظرًا إلى فرض الوفاء أي القانون فليعتبر الكهنة أنهُ يلزم أن لا يرسموا شيئًا على ايثارهم بل ينبغي أن يجروا كل شئ بمقتضى العدل والحكمة والتقوى. ولكي يظهر أن الخطايا تقاس على هذا المقياس ويطلع التائبون أجلى اطلاع على جسامة أثامهم يحسن بالرعاة أن يبينوا لهم ما رسمتهُ القوانين القديمة المعروفة بقوانين التوبة من العفويات

(367)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

على بعض الخطايا فعلى كيفية الاثم اذن يترتب الوفاء. ولكن يحسن في كل حال ان يوصي التائبون أن يتجردوا للصلاة في بعض أيام معلومة لأجل الجميع ولا سيما لأجل الذين بارحوا هذه الحياة ورتدوا بالرب ويلزم استهامهم أيضًا على أن يباشروا من تلقاء ذواتهم تكرار أعمال الوفاء التي فرضها الكاهن ويصلحوا سيرتهم حتى اذا تمموا باجتهاد جميع الاعمال أبدًا عن ممارسة فضيلة التوبة. وإن اقتضى أحيانًا فرض توبة مشتهرة لأجل خطاء مشتهروا إلى التائب فلا يسمع لهُ بل يجب أن يغرَي بقبولها بطيبة الخاطر لكونها ستجديه خلاصًا لهُ ولغيره فهذا ما ينبغي أن تعلمهُ بخصوص سر التوبة وكل من أجزائه كي يدركه المؤمنون حق الإدراك بل ولكي بمعونةالرب يبادروا إلى اتمام شروطه وقبوله بالعبادة والتقوى.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السادس

"في سرالمسحة الأخيرة"

أولاً لماذا ينبغي على رعاة النفوس أن يكثروا من مفاضة الشعب في أمر المسحة الأخيرة

لما أمرنا الله سبحانه في الأسفار المقدسة بلسان ابن سيراخ أن : اذكر عواقبك فلا تخطا أبدًا: قد أوعز إلى الكهنة مضمرًا بأن يحثوا الشعب

(368)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المؤمن كل حين على التأمل في الموت ومن كون سر المسحة الأخيرة مقترنًا طبعًا بذكر ذاك اليوم الاخير يرى بدون تعسُّف وجوب المفاوضة بهذا السر ليس لأننا نستفيد من ذلك اطلاعًا على أسرار تلك الأمور المختصة بالخلاص فقط بل أيضًا تنشيطًا للمؤمنين على قمع شهواتهم الردية بتكرار ذكر الموت المحتوم على الجميع (رومة ص5ع12) فيقضي ذلك إلى أنهم فلما يشعرون باضطراب في انتظار الموت وحلولهِ بل يسدون الشكر الوار لله سبحانهُ على أنهُ كما فتح لنا العماد بابًا للدخول في الحياة الحقة هكذا أيضًا لدى ارتحالنا من هذا العالم الفاني مهَّد لنا طريقًا للمساء برسمهِ سر المسحة الأخيرة.

ثانيًا لماذا يُدعي هذا السر المسحة الأخيرة

قد راعبنا منا نفس النظام الذي راعبناه في بيان باقي الأسرار في ارادنا ما كان لزومًا لشرح أحدها فنقول أولاً أن هذا السر سمي المسحة الأخيرة لأنها آخر ما يجب أن تستعمل من جميع مسحات الأسرار التي سلمها مخلصنا إلى كنيستهِ. ولهذا قد سمي أباؤنا الأقدمون هذه المسحة نفسها بمسحة المرضى أيضًا وسر المسافرين من هذه الحيوة. فمن اسمها هذا يتيسر للمؤمنين أن يرددوا في ذهنهم ذكر ذاك اليوم الأخير.

ثالثًا كيف ينطبق نوعية السر الخاصة على المسحة الاخيرة

يجب أن تبين في بادئ كيف ينطبق نوعية السر الخاصة على المسحة الأخيرة وهذا يتحقق خاصة من كلام القديس يعقوب الرسول المنادي لسنة هذا السر اذ قال: هل فيكم مريض فليدعُ كهنة الكنيسة

(369)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وليصلوا عليهِ ويسحوه بالزيت باسم الرب فإن الصلاة الإيمان تخلص المريض والرب ينهضهُ وأن كان قد ارتكب خطايا تغفر لهُ (يعقوب ص5ع14) فبين الرسول قوة السر وجوهره باثباتهِ أنهُ يغفر الخطايا وقد شهدت مجامع كثيرة منها المجمع التريدنتيني المقدس أن الكنيسة الكاثوليكية جرت كل حين على التعليم بالمسحة الاخيرة حتى أنهُ رشق بالحرم من يعلمون أو يزعمون الخلاف، وأن البابا اينوشنسيوس الأول يوصي المؤمنين جهده بقبول هذا السر.

رابعًا حيث تجري مسحات كثيرة فهل فيها أسرار كثيرة

على الرعاة أن يعلموا بتوكيد أن المسحة سر حقًا وأنها سر واحد لا أكثر ولو تمَّ بمسحات كثيرة واستعمل لكلٍ منها صلوات وصورة خصوصية فهو واحد لا باعتبار تواصل أجزائهِ لكونها لا تتجزأ بل باعتبار كمالهِ كسائر الأشياء التي تتم بفروع كثيرة فكما أن البيت الذي يتألف من أجزاء كثيرة مختلفة يكمل بصورة واحدو فقط هكذا سر المسحة ولو تأَلف من أشياء وكلمات كثيرة فهو علامة واحدة ولهُ فاعلية للدلالة على شئ واحد. وعلى الرعاة أن يبنوا أخيرًا جزأي هذا السر أي مادته وصورته وقد ذكرهما يعقوب الرسول في الآية الموردة أعلاه. ولنا أنه نتدبر ما في كل كلمة منها من الأشياء السرية.

خامسًا ما هي مادة المسحة الأخيرة

فعنصرها أو مادتها هي كما حكمت المجامع ولا سيما المجمع التريدنتيني الزيت المكرَّس من الأسقف أي الدهن المعصور من حب الزيتون

(370)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فقط لا من مادة أخرى سائلة. وهي أنسب مادة وأحكمها وضعًا للدلالة على ما يتمَّ في النفس باطنًا بقوة السر فكما أن الزيت يفيد كثيرًا لتسكين أوجاع الجسد هكذا قوة السر تخفف حزن النفس ووجعها. ثم أن الزيت يردَّ العافية ويفرَّج عن الكرب ويوءتي النور غذاء وهو موافق لتشديد قوى الجسد الخائرة فهذه جميعها تدل على ما تفعلهُ قوة الله في المريض بواسطة منح هذا السر. وحسبنا ذلك بيانًا للمادة

سادسًا بأية صورة يتمَّ هذا السرَّ

أما صورة المسحة الأخيرة فهو الكلام وتلك الصلوة الحافلة التي يتلوها الكاهن في كل من المسحات اذ يقول: بهذا المسحة المقدسة يغفر لك الله كل ما أخطأته بالنظر أو بالشم أو باللمس: فالقديس يعقوب الرسول أبان أن هذه هي الصورة الحقيقة والخصوصية لهذا السراذ قال: وليصلوا عليه لأن صلاة اللإيمان تخلص المريض (ص5ع11) فمن هذا نعلم أن الصورة يجب لفظها على نوع صلوة ولو لم يصرّح الرسول بأي كلام على الخصوص يجب استعمالها على أن ذلك قد اتصل الينا بتقليدات الأباء الصحيحة حتى أن جميع الكنائس المقدسة والرومانية ولو أن البعض يغيرون بعض ألفاظ كقولك عوض يغفر لك الله يقولون يترك أو يصفح أو أحيانًا يصحح مع ذلك حيث لم يقع تغيير جوهري في القول تحقق أن الجميع حافظون هذه الصورة بعينها.

(371)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سابعًا لماذا رُتبت صورة هذا السر على صورة صلوة

فما من عجب في أن صورة باقي الأسرار تدل دلالة مطلقة على ما تفعلهُ كا اذا قلنا: أنا أعمدك أو أنا أسمك بسمة الصليب أو تتلى بصيغة الأمر كما في منح سر الدرجة أقبل السلطان. وأما صورة المسحة الأخيرة فتتلى بصورة صلوة. قد رسمت على هذه الصيغة بكل حكمة وصواب لأن هذا السر من كونهِ يستعمل ليس لنيل النعمة الروحية التي يمنحها فقط أن لكي يؤتى أيضًا المريض فلما كان المريض لا يشفي دائمًا من مرضه وُضعت الصورة بصيغة صلوة كي نستمد من جودة الله ما ليس من عادة السر أن يفعلهُ على الدوام وبنظام مقرَّر. وتستعمل احتفالات خصوصية في منح هذا السر أيضًا انما أكثرها صلوات وابتهالات يتلوها الكاهن التماسًا لخلاص المريض. لأنهُ ما من سرَّ غيره يكمل بصلوات كثيرة مثلهُ وذلك بحق وصواب لأنهُ في مثل هذا الوقت خاصة يقتضي اسعاف المؤمنين بالصلوات ولذا ينبغي أن جميع الذين يتفق حضورهم عند المريض لا سيما الكهنة يصلون بخشوع القلب ويستودعون بيد رحمته نفس المشرف على الموت

ثامنًا من رسم هذا السر

حيث تحقق أن المسحة الأخيرة محسوبة في عداد الأسرار السبعة كما ثبت المجمع التريديتيني المقدس في الجلسة 15 عن سر المسحة الأخيرةفي الفصل الثاني منها تنتج أن السيد المسيح رسمها وأن القديس يعقوب الرسول عرضها على المؤمنين وبث استعمالها (يعقوب ص 5ع11)

(374)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

والأذنان لأجل السمع والمختاران لأجل الشم والفم لأجل الذوق والكلام واليدان لأجل اللمس الذي ولو كان منتشرًا في الجسد كلهِ بالتساوي الاَّ أنهُ مرتب على وجه الخصوص في ذاك العضو. فالكنيسة الجامعة قد تمسكت بهذه الطريقة في مسحة المرضى وهي بالحق اليقين من كل ما سواها بجوهر هذا السر بما انهُ يستعمل على شكل علاج فكما أنهُ في أمراض الجسد ولو تألم الجسم كلهُ مع ذلك لا يعالج فيه الاَّ العضو الذي ينبعث منه الداء كينبوع واصل ولذا لا يمسح الجسد كلهُ بل تلك الأعضاء التي فيها خاصةً تظهر قوة الحس فقط ويمسح أيضًا الحقوان بما أنهما مركز الشهوة واللذة البدينة ثم الرجلان لكونهما مبدأ السعي والانتقال من محل إلى آخر.

الحادي عشر هل يمكن تكرار المسحة الأخيرة

يجب ان نلاحظ هنا وحدانية المرض وعينيتهُ فمتى كان المريض متقلبًا في خطر الحياة بعينهِ ويمسح مرةً واحدة فقط أما اذا شفي بعد قبوةلهِ هذه المسحة فكلما وقع فيما بعد في خطر الحياة يعطي هذا السر لاسعافهِ فيتضح من ثم أن هذا السر يحصى في عداد الاسرار المعتاد تكرارها.

الثاني عشر بأية عبادة وباي تأهب يقتضي أن يؤخذ هذا السر

حيث لا بد من بذل العناية والاجتهاد في رفع ما يعيق نعمة السر التي ما من شئ يضادّها مثلما أن يكون مقتلبه متورطًا في خطاء مميت فينبغي اذن مراعاة العادة الجارية على الدوام في الكنيسة الكاثوليكية في أن المدنف يقبل سر التوبة والافخارستيا قبل المسحة الأخيرة ثم

(375)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يجتهد كهنة الرعيايا في أن يغروا المريض بأن يتقدم إلى المسحة وفي عقلهِ وقلبه نفس الإيمان الذي كان في عقول وقلوب الذين كانوا في القديم يتقدمون من تلقاء ذواتهم طالبين شفاء أمراضهم من يد الرسل. فيجب أولاً أن يطلب المريض خلاص نفسهِ ثم شفاء جسده تحت هذا الشرط وهو إن كان ذلك يفيده نيل المجد الأبدي. ولا يرتابنَّ المؤمنون في أن الله سبحانه يجيب تلك الطلبات المقدسة الحافلة التي يتلوها الكاهن لا من قبل ذاتهِ بل حال كونه يمثل المسيح والكنيسة فيجب خاصة في هذا الأمر الخطير أن نغري المؤمنين بان يقبلوا سر المسحة الأخيرة الخلاصي بقداسة وعبادة اذ يرون ذواتهم مقبلين إلى حرب عوان وقى أنفسهم وأجسادهم في انحطاط وحوار

الثالث عشر من هو خادم هذا السر

قد علمنا يعقوب الرسول الذي ينادي بسنة الرب هذه من هو خادم المسحة الأخيرة لأنهُ يقول: فليدعُ قسوس البيعة فلا يعني باسم قسوس من كانوا متقدمين بالسن ولا من كانوا يحلون بين الشعب محل الأعيان بل الكهنة المرسومين من الأساقفة رسامة حقة بوضع الأبدي كما يبين ذلك لمجمع التريدنتيني فالى الكاهن اذن فوضت خدمة السر وليس إلى كل كاهن بموجب مرسوم الكنيسة المقدسة بل إلى خوري الرعية المخصوص الحائز الولاية أو إلى الكاهن آخر بإذنه الخوري في أن يقوم بهذا الوظيفة. ثم لا بد من أن نعرف أن الكاهن في خدمة هذا السر كما في خدمة باقي الأسرار يمثل شخص سيدنا

(376)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يسوع المسيح والكنيسة المقدسة عروسته.

الرابع عشر ما هي الأثمار التي يجنيها الناس من استعمال هذا السر يجب أن نبين أيضًا بكل تدقيق الفوائد التي نقتبسها من هذا السر حتى اذا لم يكن شئ آخر يمكن ان يغري المؤمنين بقبولهِ فعلى الأقل ينقادون إليهِ طعمًا بنفس فائدته لأننا على الغالب نقيس الأشياء كلها على قياس منفعتنا وخيرنا فعلى الرعاة اذن أن يعلموا أن هذا السر يولينا نعمة تغفر الخطايا ولا سيما الخطايا الخفيفة والمعروفة عند العموم بالعرضية لأن الخطايا المميتة تغفر بسر التوبة ولم يرسم هذا السر أولاً وبدًا لمغفرة الخطايا الثقيلة بل العماد والتوبة فقط يعملان هذا الفعل أي غفران الخطايا الثقيلة

الفائدة الثانية من سر المسحة هي أنهُ ينفذ النفس من الضعف والذبول اللذين الحقتهما بها الخطايا ومن جميع بقايا الخطية. فينبغي أن تعتبر أحكم وقت وأنسبه لهذا العلاج زمن تقلبنا بمرض ثقيل ووقوعنا في خطر الحياة لأن الانسان من طبعهِ لا يرهب بلاء من بلايا العالم مثل الموت ويزيد فنا كثيرًا هذا الخوف ذكر أثامنا السالفة لا سيما اذا كان ضميرنا يبكتنا على الخطايا ثقيلة لأن الروح القدس يقول يتقدمون فزعين من تذكر خطاياهم وأثامهم تحجهم في وجوههم (حكمة ص4ع20) ثم أن هذا لهم والافتكار يزيقان الناس شر العذاب حين يرون أنهم عما قليل سيقفون أمام منبر المسيح المزمع أن يقطع حكمًا بالعدل على مقتضى ما يكونون استحقوا خيرًا أو شرًا لأنهُ قد يتفق على الغالب أن المؤمنين

(377)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يرتعدون فرقًا ويشعرون بأهوال الارتعاب على أنحاء عجيبة فما من شئ يسكن روعتنا من جهة الموت مثل ما اذا التقينا عنا الحزن منتظرين الرجاء السعيد وتجلي مجد الهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (طيطس ص2ع13) ونكون مستعدين أن نسلمهُ وديعتنا بطيبة القلب والخاطر أي وقت طلبها. فالمسحة الأخيرة اذن تفرج كروب المؤمنين وتملئ قلوبهم فرحًا مقدسًا

الخامس عشر كيف يكمن الابالسة مكامن للنفس عند خروجها ثم ينيلنا هذا السر ما كان أعظم من جميع ما ذكر من الفوائد وذلك ان ابليس عدو البشر خزاه الله لايكلّ ولا يملّ من السعي في أهلاكنا طالما نحن قيد الحيوة ولا سيما أنهُ يبذل كل جهده في ابادتنا وأن أمكنهُ في حملهِ ايانا على القنوط من رحمة الله حين يرى أن اليوم الاخير من حياتنا قد دنا فهذا السر يخولّ المؤمنين قوة وسلاحًا يقوون بهِ على هدم القوة العدوودفع هجومه ويقدرهم على محاربته بشديد الباس كما شهد القديس كيرلس الاسكندري في كتابه عن خروج النفس والقديس غريغوريوس في كتابه 24 في الأدبيات (فص7و18) والقديس يوحنا كليمكوس في كتابهِ المعروف بسلم الفضائل لأن هذا السر ينعش قلب المريض برجا الجودة الإلهية ويجعلهُ أن يحتمل بصبر وبسهولة جميع مكاره المرض ويدفع عنهُ حبل الشيطان ومكائده الراصدة اعقابه والباغية هلاكهُ (تكوين ص3ع15).

السادس عشر كيف يمكن هذا السر أن يرد الصح إلى الجسد ومن منافع هذا السر أنهُ يعيد الصحة إلى الجسد إن كانت موافقة

(378)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لخير النفس وأن كانت الصحة لا تعود حينئذٍ فلا ينسب ذلك إلى تقصير من السر بل ينبغي أن نعتقد أنهُ يعزي إلى ضعف الإيمان في قابليهِ أو ما نحيهِ لأن الأناجيل المقدس يشهد إن المسيح الرب لم يصنع كثيرًا من القوات عند ذوبهِ من أجل عدم إيمانهم ولنا أن نقول أيضًا بصواب أن الديانة المسيحية بعد أن تأصلت قواعدها في قلوب البشر لم تعد تحتاج مثل هذه العجائ كما كانت ترى لازمة في بدأة انتشار الكنيسة ومع ذلك لا بد في هذا المقام من أحياء الإيمان ويجب على المؤمنين أن يتمنطقوا بالرجاء الوكيد أنهم ينالون الشفاء الروحي بقوة الزيت المقدس مهما جرى للجسد في سفر الجليان: طوبى للموتى الذين يموتون بالرب (رؤيا ص14ع13) هذا ما اقتضى ايراده بالإيجاز في سر المسحة الأخيرة أما اذا شرحت الرعاة بالاتساع هذه المقالة وبما ينبغي من الاعتناء والتدقيق فلا شك أن المؤمنين يستفيدون من هذا التعليم أكبر فائدة للتقوى والعبادة.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السابع

في سر الدرجة

أولاً لماذا يجب على الرعاة أن يبذلوا جهدًا بليغًا في بيان سر الدرجة من يتأمل متمعنًا في جوهر باقي الأسرار يدرك بدون تعسف أن جميعها متعلق بسر الدرجة تعلقًا يرى ان بعضها لا يمكن قطعًا أن يتم أو يمنح بدونهِ وبعضها لا يستوفي احتفالاته وطريقته الدينية ولهذا لا بد للرعاة

(379)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

في استقرائهم التعليم المرسوم في الأسرار أن يحسبوا واجبًا أيضًا بذل الاجتهاد في بيان سر الدرجة ويفيد بيان هذا السر أعظم فائدة الرعاة أنفسهم ثم أولئك الذين دخلوا الطريقة الإكليركية ثم الشعب المؤمن. فقولنا يفيد الرعاة لأنهم اذا احسنوا التروض في هذا الموضوع يتحركون إلى انعاش تلك النعمة التي نالوها من هذا السر (تيمو ص2ع17) وغيرهم الذين ندبوا إلى نصيب الرب يفيدهم تعمقًا في رياضة التقوى والعبادة ثم اطلاعًا على هذه الأمور التي تدّربوا عليها ليتمكنوا بها من تميهد السبيل إلى ارتقاء الدرجات الأخرى ويفيد باقي المؤمنين أولاً ادراكًا لعظم ما يستحقه خدام الكنيسة من الكرامة ثانيًا حيث كثيرًا ما يتفق أن يحضر الشرحِ كثيرون ممن فرزوا بالأمل أولادهم وهم صغار إلى خدمة الكنيسة أو مَن يتوقون من تلقاء ارادتهم إلى اتبارع هذه الطريقة. فمن اللائق أن يعرفوا ما يتعلق بهذا الموضوع.

الثاني ما من مقام في العالم أسمى من درجة الكهنوت

يجب على الرعاة أن يعلموا المؤمنين سموّ وجلال هذا السر اذا نظرنا إلى درجته السامية أي الكهنوت لأن الأساقفة والكهنة لما كانوا بمنزلة تراجمين الله ورسلهِ اذ يعلمون الناس باسمه السنةّ الإلهية ووصايا الحياة ويمثلون الله سبحانه على الأرض تحقق أن وظيفتهم تعلو كل وظيفة ولا يمكن أن يتصور مقام أعلى من مقامهم ولهذا لا يسمون بحق ملائكة فقط (ملاخيا ص2ع7) بل آلهة أيضًا (خروج ص22ع28) لأنهم قائمون لدينا مقام الله قلت أنكم آلهة وإبناء العلي تدعون (يوحنا ص

(380)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

20ع21) وإن حاز الكهنة في كل آن اسمى مقام فإن الكهنة العهد الجديد يفرقون شرفًا جميع الباقين لأن السلطان الذي تقلدوه على تقديس جسد ربنا ودم وتقديمهِ ولعى حل الخطايا يفوق أيضًا مدارك العقل البشري فضلاً عن أنهُ لا يمكن وجود شئ في العالم يوازيه.

الثالث من هم الذين يعتبرون أن الله يدعوهم إلى الكهنوت وخدمة الكنيسة

كما أن الأب الأزلي أرسل مخلصنا إلى العالم بأسره والسيد المسيح أرسل إليهِ رسلهِ وتلاميذه هكذا الكهنة يرسلون كل يوم بنفس السلطان الذي تقلدوه حتى انقضاء الدهور إلى عمل الخدمة إلى بنيان جسد المسيح السري (ترى كل ذلك في يوحنا ص2ع17 وص5ع22و24 وص20ع21 وفي متى ص28ع9 وفي أفسس ص4ع12) فلا يجب اذن أن يوضع ثقل هذه الوظيفة العظيمة على عائق أحد بتغفل انما على أولئك اللذين يستطيعون حملهُ بقداسة سيرتهم وعلمهم وإيمانهم وحكمتهم. فلا يأخذ أحد الكرامة لنفسه ألا من دعاه الله كما دعا هارون (حبقوق ص5ع4) فيقال أن الله يدعوهم اذا دعاهم خدام الكنيسة الشرعيون لأن الذين يندبون ذواتهم بالتصلف ويدخلون في هذه الخدمة فهم الذين أشار اليهم الرب بقولهِ: إني لم أرسل الأنبياء وها انهم منطلقون ولم أكلمهم وها أنهم متنبئون (ارميا ص23ع21) فحقًا ما من شئ أتعس من هؤلاء الناس وأشفى منهم وأفظع منهم ضررًا للكنيسة

(381)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرابع من هم الذين يحكم عليهم بأنهم تقدّموا بئس التقدّم إلى الدرجات المقدسة وما دخلوا الكنيسة من الباب

لما كان من أهم الأمور النظر لما كان من أهم الأمور النظر إلى الغاية في كل ما يباشرمن الأعمال لأن الغاية اذا كانت حميدة صدر عنها كل أمر حميد وجب على الخصوص أن يوعز إلى من يقصد الارتقاء إلى الدرجات المقدسة أن لا يقصد شيئًا يشين هذا المقام الجليل وينبغي على الرعاة أن يتعاطوا هذه المادة بمزيد الاجتهاد لكون المؤمنين قد تمادوا في هذا الزمان أن يخطأوا خطاء كبيرًا في هذه الأمور لأن بعضهم لا يقصدون بالترقي إلى الدرجة المقدسة الاَّ بغية الحصول على ضروريات المعيشة من ما كل وملبس بنوع أنهم لا يلتفتون إلى شئ في الكهنوت الاَّ إلى ما يبتغيه باقي الناس من الربح في المهن الحقيرة. ولو أن السنة الطبيعية والإلهية من قول الرسول تامر بأن من يخدم المذبح يعيش من المذبح مع ذلك أن التقدم إلى المذبح بداعي الربح والكسب ضرب من النفاق. ومنهم من يقودهم إلى درجة الكهنوت شهوة الفخر والكرامة وغيرهم يريدون أن يرتسموا كهنة طعمًا بالغنى بدليل أنهم لا يهتمون أدنى اهتمام بنيل سر الكهنوت الاَّ اذا خولوا وظيفة في الكنيسة تجديهم ربحًا وافرًا فمثل هؤلاء يدعوهم الرب أجزاء (يوحنا ص10ع12) والنبي حزقيال يقول أنهم يرعون ذواتهم لا غنمي (ص26ع8)الذين ظلمات قباحتهم العظيمة لا تعيب الدرجة الكهنوتية عيبًا لا يمكن أن يعتبر الشعب شيئًا حقر وارذل منهُ فقط بل يجعلهم أيضًا لا ينالون من الكهنوت أكثر ما ناله يهوذا

(382)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الدافع من وظيفة الرسالة التي أفادتهُ هلاكاً مؤَّيدًا أم الذين دخلوا الكنيسة من الباب إلى حظيرة الخراف فهم الذين دعاهم الله وقبلوا وظائف الكنيسة لمجرد خدمة الله وإكرامهِ

الخامس من أي وجه ينبغي أن الذين وقفوا نفوسهم لخدمة الكنيسة بسر الكهنوت يسمون باقي الشعب ويفضلونه

لا يؤَّخذ ما قلناه آنفًا بمعنى أنهُ لم تسنَّ سنة واحدة بعينها على الجميع لأن الناس قد فطروا على عبادة الله فيلتزم خاصة المؤمنون الذين حازوا نعمة العماد أن يودوا هذه العبادة من كل قلبهم ومن كل نفسهم ومن كل قوتهم (تثنيةص7ع5) أما الذين يرومون أن يرتسموا بسر الدرجة فيجب أن يقصدوا لا تمجيد الله في كل شئ فقط لأنه من المحقق أن هذا يعم الجميع لا سيما المؤمنين بل أيضًا على الذين تقيدوا بخدمة الكنيسة أن يعبدوه بالقداسة والبر (لوقا ص1ع74) فكما ان جميع الجنود في العسكر يطيعون شرائع الملك ولكن فيما بينهم من كانوا رؤساء ميات وغيرهم رؤساء ألوف وغيرهم نائمون بوظائف آخر هكذا ولو لم لزم الجميع أن يقفوا أثر التقوى والبر غاية جهدهم اذ يعبد الله بها خاصة مع ذلك يُطلب من الذين ارتسموا كهنة أن يقوموا بوظائف وأعمل خصوصية في الكنيسة لأنهم يصنعون الأقداس لأجل أنفسهم ولأجل الشعب ويعلمون فحوى السنَّة الإلهية ويحضون المؤمنين ويغرونهم بحفظها بفؤح القلب وحسن الاستعداد ويمنحونهم أسرار السيد المسيح التي بها تمنح كل نعمة وتنمو وخلاصة القول أنهم حيث فرزوا من باقي الشعب لزمهم أن

(383)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يروضوا أنفسهم في ما كان أشرف جميع الخدم وأسماها فغب أن يكون الرعاة انتهوا من تبين ما ذكر يبادرون إلى تعليم ما يختص بهذا السر كي يعقل المؤمنون أن الذين يرومون أن يدخلوا في وظيفة من وظائف الكنيسة يعرفون قدر الوظيفة التي يدعون اليها ومقدار السلطة التي خولها الله الكنيسة نفسها وخدامها.

السادس على كم نوع السلطان الكنائسي

أن في الكنيسة سلطانين سلطان الدرجة وسلطان الولاية فالأول سلطان على تقديس جسد السيد المسيح الحق في سر الافخارستيا والثاني مداره على كامل جسد المسيح السري فمن متعلقات الثاني ادراة الشعب المسيحي وسياستهُ وإرشاده إلى السعادة الأبدية في السماء

السابع أي شئ يتناول سلطان الدرجة

أن سلطان الدرجة لا يتضمن القوة والسلطة على تقديس الافخارستيا فقط بل على تأهيب النفوس وتأهيلهن إلى قبولهم أيضًا ويتناول كل ما يمكن أن بأول إلى الافخاريستيا على سائر الإنحاء. ولنا أن نقدم فيهِ بينات كثيرة من الأسفرا الإلهية وأقطعها وأثبتها ما ورد من كلام الرب في بشارتي يوحنا ومتى حيق قال: كما أرسلني أبي هكذا أنا أرسلكم اقبلوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم غُفرت ومن مسكتموها عليهم مُسكت (يوحناص20ع21و22) الحق أقول لكم مهما ربطموه على الأرض يكن مربوطًا في السماء ومهما حللتموه على الأرض يكن محلولاً في السماء (متى ص18ع18) فإذا استوفت الرعاة بيان هذه الأيات من

(384)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تعليم الأباء القديسين ونصوصهم وأفتهم بنور ساطع للإطلاع على الحقيقة الثامن أن كهنوت المسيح أرفع قدرًا من كهنوت الناموس الطبيعي وكهنوت موسى أيضًا

أن هذه السلطة تفوق كثيرًا السلطة التي تخوّلها في ناموس الطبيعة بعض أنالس كانوا يباشرون الأمور المقدسة فمن الضرورة أن يكون أقيم كهنوت وسلطة روحية لذاك العصر الذي تقدم الناموس المكتئب اذ كان لهُ سنَّة كما لا يخفي وقد شهد رسوا الأمم بتلازم هذين الأمرين أي أن تحوّل الكهنوت يقضي وجوبًا بتحول الناموس (عبر ص7ع12) فلما كان البشر يعرفون بمجرد النور الطبيعي وجوب تادية العبادة لله نتج من الضرورة أنهُ كان في كل جماعة منهم سنّة مرعية يقام بمقتضاها بعض أناس على الاهتمام بالأمور المقدسة وعبادة الله وكانت سلطتهم بنوع ما روحية ولم يخل شعب اسرائيل أيضًا من هذه السلطة عينها التي كانت اسمى مقامًا من تلك التي كانت للكهنة في الشريعة الطبيعية وأدنى كثيرًا من سلطة الشريعة الإنجيلية الروحية لأن هذه سماوية تعلو أيضًا كل قدرة الملائكة لكون مصدرها ليس من الكهنوت المسوي بل من السيد المسيح الذي صار كاهنًا لا على رتبة هارون بل على رتبة ملكي صادق (عبر ص5ع7و17) لأنهُ كان مقلَّدًا اسمى سلطان على منح النعمة وغفران الخطايا وقد خول كنيستهُ هذا السلطان عينهُ وأن كان محدود القوة ومحصورًا في الأسرار المقدسة ولهذا قد أقيم لمباشرتهِ خدام مخصوصون وتكرسوا بجملة دينية وسمي هذا التكريس سر الدرجة أو الرسامة المقدسة

(385)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع ما هي الدرجة ولماذا تدعي الخدمة الكنيسة درجة قد استحسن الأباء القديسون الإصطلاح على هذه اللفظة المتسعة المعنى لبيان مقام خدّام الله وسموّ مكانتهم فالدرجة اذا اعتبرنا فحواها الخصوصي ودلالتها هي نظام للأشياء العالية والسافلة المحكمة وضعًا فيما بينها على نسبة أحداها إلى الآخر. ولما كان في هذه الخدمة مراتب كثيرة ووظائف شتى متوزعة جميعها ومنتسقةٍ بعضها إلى بعض بطريقة معلومة دُعيت بحق وصواب باسم درجة.

العاشر أن الدرجة هي سر حقيقي

أن المجمع التريدنتيني المقدس قد أثبت بالبرهان الذي أوردناه آنفًا تكرارًا أن الريامة المقدسة تعدّ من باقي أسرار الكنيسة. وذلك في الفصل1و2 والقانون 3و4و5 من الجلسة 23 في سر الدرجة لأن السر هو علامة شئ مقدس والحال أن ما يجري في هذه الرسامة خارجًا يدل علىالنعمة والسلطان اللتين تمنحان للمرتسم. فينتج من ثم نتجًا قطيعًا لأن الدرجة هي سر حقيق وخصوصي ولهذا لما يسلًّم الأسقف إلى المرنم كاهنًا كاسًا فيها خمر وماء وصينية عليها خبز يقول له: أفيل سلطانًا على تقديم الذبيحة إلخ فالكنيسة المقدسة قد عملّت دائمًا أن بهذا الكلام مع بروز المادة يمنح السلطان على تقديس الافخارستيا ويطبع في النفس وسمًا لا يمحى مع اقتران النعمة على القيام بهذه الوظيفة حسنًا وبمقتضى الناموس وقد أبان ذلك رسول الأمم بقوله إلى تلميذه تيموتاوس فلهذا السبب اذكرك أن تذكر موهبة الله التي فيك بوضع يدي لأن الله لم

(386)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يعطينا روح التهب بل روح القوة والمحبة والاقتصار (2تيمو ص1ع6و7) الحادي عشر لماذا وُضعت في الكنيسة درجات كثيرة للخدام يحسن بنا هنا أن نروي كلام المجمع التريدنتيني المقدس في القانون 2و6 في سر الدرجة: لم اكانت خدمة الكهنوت أمرًا الهيًا كان من اللائق لكي يباشر بأفضل اكرام وأعظم احترام أن يكون في ترتيب الكنيسة الجاري بتمام النظام درجات كثيرة ومتنوعة للخدام الذين يخدمون الكهنوت بموجب وظيفتهم وهم منسوقون على هذا النمط أي أن من كان مرتسمًا في درجة قص الشعر يترقى من الدرجات السفلى إلى العليا الثاني عشر كم من درجة للخدام في الكنيسة وبأية طريقة تتوزع بوجه الإجمال

يجب أن نبيّن اذن أن الكنيسة الكاثوليكية تعلمنا دائمًا أن هذه الدرجات كلها سبع بالعدد وهذه أسماؤها: البواب والقارئ والمقسم والشمعداني والرسائلي والانجيلي والكاهن ويتحقق أن عدد الخدم هذه استقرّ على سبعة بداعي ما روُى لازمًا من الخدم لذبيحة القداس الإلهي ولتقديس الافخارستيا أو توزيعها التي من أجلها خاصة رُسمت الخدم المذكروة. وبعض هذه الدرجات يُعرف بالدرجات الكبار أو المقدسة وهي درجة الكهنوت ودرجة الشماس الانجيلي ودرجة الرسائلي وبعضها يُعرف بالدرجات الصغار وهي درجة الشمعداني والمقسم والقادرئ والبواب(1)

1. أما في طقس طائفتنا المارونية فالدرجات الصغار للمرتل والقارى والشمعداني والدرجات الكبار للشماس الرسائلي والكاهن ورتبة الشماس الإنجيلي وظيفة لا درجة عبارة عن كونه رئيس الشمامسة

(387)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فعلينا أن نأتي بالكلام على كل منها بوجه الإيجاز كي يطلع الرعاة على طريقة يرشدون بها خاصة من يعرفونهُ مرشحًا إلى الارتسام في درجة من الدرجات المذكورة

الثالث عشر ما الغرض من قص الشعر وماذا يراد باسم اكليريكي نبتدئ بالكلام على قص الشعر وهو ضرب من الاستعداد إلى قبول الدرجات لأن الناس كما انهم اعتادوا أن يتأهبوا إلى العماد بالتقسيم وإلى الزيجة بالخطبة هكذا ينقطعون لخدمة الله بجز شعرهم كأنهم يستفتحون بهِ مدخلاً إلى سر الدرجة لأنهُ يعلن بما ينبغي أن يكون عليهِ من يتوق إلى الاصطباغ بالأقداس لأن الاسم الاكليريكي الذي يطلق عليهِ حينئذٍ يؤخذ من أنهُ يبتدئ أن يتخذ الرب نصيبه وميراثهُ كأولئك الذين كانوا لهم نصيبًا من الحقول في أرض الميعاد اذ قال: أنا نصيبك وميراثك ولو أن القول يطلق على جميع المؤمنين الاَّ أنهُ مع ذلك يختص من باب اللزوم بالذين وقفوا ذواتهم لخدمة الله

الرابع عشر لماذا يرسم في قمة رأس الاكليريكي اكليل مدوّر يقصّ الشعر في رأس الاكليريكي على شكل اكليل يلزم أن يحفظهُ دائمًا حتى أن كل واحد اذا ارتقى فيما بعد إلى درجة أعلى ينبغي أن تزاد اتساعًا في قمة رأسهِ دائرة الإكليل. فالكنيسة تعلم ان هذا ما خوذ عن تقليدات الرسل وقد أتى بذكر هذه العادة بقص الشعر أقدم الأباء القديسين وأجلهم قدرًا كالقديس ديونيسيوس قاضي أتينا وأغوسطينوس

(388)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وارونيموس فروى هؤلاء أن أول من ادخل هذه العادة زعيم الرسل ذكرًا لاكليل الشوك الذي وُضع على هامة مخلصنا كي يستعمل الرسل علامة للبهاء والمجد ما اخترعهُ الأثمة المنافقون آلة عار المسيح وعذابه ويشيرون أيضًا إلى أن خدام الكنيسة يبنغي أن يعتنوا في أن يحملوا صورة ربنا يسوع المسيح ومثاله في كافة الأمور. والبعض يزعمون أن هذه العالمة تشير إلى المقام الملكي اللائق خاصة بمن دُعوا إلى نصيب الرب وقد اعزاه بطرس الرسول إلى الشعب المؤمن بقولهِ: وأما أنتم فجيل مختار وكهنوت ملكي وأمة مقدسة (1بطرس ص2و9) انما نفهم أن ذلك عائد بوجه أخص إلى خدام الكنيسة وقبل أيضًا أن صورة الإكليل المحكي عنها تدل على أن الاكليريكيين متعهدو السيرة الكملى بدليل كون الدائرة المذكورة أكمل جميع الصور وأنظمها وارتأى بعضهم أنها اشارة إلى ازدارء جميع الأشياء الخارجة وإلى تجرّد النفس عن جميع الاهتمامات البشرية بدليل كون قص الشعر عبارة عن طرح ما كان فضلةً في الجسد.

الخامس عشر ما هي وظيفة البواب

بعد قص الشعر تأتي درجة البواب ووظيفتهُ حراسة مفاتيح الهيكل وبابهِ ومنع دخول الكنيسة من حرّم عليهم دخولها ومن متعلقات البواب أيضًا حضور ذبيحة القداس الإلهية والاحتراز من أن يدع أحدًا يدنو من المذبح أكثر من اللازم وبحبس الكاهن الذي يقدس وقد فوضت إلى عهدته خدم أخرى تعرف من الاحتفالات التي تجري في

(389)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

رسامتهِ لأن الأسقف في رسامتهِ البواب يتناول المفاتيح عن المذبح ويسلمها اياه قائلاً: أفعل كأنك مزمع ان تؤدي حسابًا لله عن هذه الأشياء المتضمنة في هذه النتائج ونعلم أنم مقام هذه الدرجة كان رفيعًا في الكنيسة القديمة لمعرفتنا ما يحفظ الآن في الكنيسة لأن وظيفة الحارس الخزينة الذي كان يحرس الأنية والملابس المقدسة أيضًا كانت تختص بالبواب وهي تعد الآن بين وظائف الكنيسة الجليلة.

السادس عشر ما هي وظيفة القارئ في الكنيسة

الدرجة الثانية هي وظيفة القارئ ويخصهُ أن يتلو بصوت جهير جلي كتاب العهد القديم والجديد في الكنيسة ولا سيما تلك القراءات التي من عادتها أن تتلى بين المزامير الليليلة وكان متعلقاتهِ أيضًا أن يعلم المؤمنين قواعد الديانة المسيحية الاولى فالأسقف حين يسلمهُ بحضرة الشعب في رسامتهِ الكتاب المسطر فيه ما يختص بهذه الوظيفة يقول لهُ: خذ واتل الكلمة الله فإن تَّممت وظيفتك بأمانة وفائدة ستحوز نصيبًا مع أولئك الذين من البدء خدموا كلمة الله حسنًا.

السابع عشر أية وظيفة يكلف المقسم

الدرجة الثالثة هي وظيفة المقسم المقلّد سلطانًا على أن يدعو باسم الرب على المعترين بالأرواح النجسة ولهذا لما يرسمهُ الأسقف يسلمهُ كتابًا يحتوي التقسيمات وهويقول لهُ بهذه الألفاظ: خذ هذا الكتاب واستظهره وليكن لك سلطان على ان تضع الأيدي على المعترين معمدين كانوا أو موعوظين

(390)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثامن عشر ما هي وظيفة الشمعداني

هي الدرجة الرابعة والأخيرة من الدرجات المعروفة بالدرجات الصغار ولا تدعيى مقدسة فوظيفتهُ أن يتبع في خدمة المذبح الخدام الكبار كالرسائلي والانجيلي ويعاونهما ثم يحمل المصابيح الموقدة وينقلها في أثناء تقدمة ذبيحة القداس ولا سيما تلاوة الإنجيل ومن ذلك دُعي بشمعداني أي حامل الشموع. فالأسقف في رسامتهِ الشمعداني قد اعتاد أن يستعمل الاحتفال الأني فأولاً بعد أن يكون نبههُ إلى وظيفته يسلمهُ مصباحًا موقدًا قائلاً لهُ: خذ الشمعدان مع الشمعة وأعلم أنك منقطع باسم الرب إلى اشعال شموع الكنيسة ثم يسلمهُ أيضًا الأباريق التي يوضع فها الخمر والماء والمعدان للذبيحة وهويقول: خذ الأباريق كي تقدم باسم الرب خمرًا وماءً لتقديس دم المسيح

التاسع عشر ما هي خدمة الرسائلي وما يستعمل من الاحتفال في رسامتهِ

قد تكلمنا إلى الآن على الدرجات الصغار التي ليست درجات مقدسة فينبغي علينا أن نأتي بالكلام على الدرجات الكبار المقدسة فالدرجة الأولى منها هي درجة رسائلي ووظيفته خدمة الإنجيلي على المذبح فليزمه أن يعد الملابس والآنية المقدسة والخبز والخمر اللازمة لاستعمال الذبيحة ويقدم ماءَ للأسقف والخوري ليغسلا أيديهما في ذبيحة القداس ويتلو الرسالة التي كان في القديم يتلوها الشماس الإنجيلي في القداس ويحضر القداس بمنزلة شاهد وناظر ويمنع كل ما يمكن أن يسجس الكاهن

(391)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

في القداس وتعرف هذه الأمور المختصة بخدمة الرسائلي من الاحتفالات التي تجري في رسامتهِ لأن الأسقف أولاً يوعز اليهِ بسنة العفاف المفروضة على هذه الدرجة ويصرّح بأن لا يقبل إلى درجة الرسائلي الاّ من كان عازمًا برضاه واختياره على أن يقبل السنة المذكورة كما جاء في الفصل 27 من كتاب الناموس وبعد تلاوة الطلبة يأخذ الأسقف يعدّد ويبين وظائف الرسائلي واذا انتهى يتناول كل واحد من المرتسمين كاسًا وصينية من يد الأسقف ثم يتناول من يد رئيس الشمامسة اباريق الخمر والماء ملانة (دلالة على ان الرسائلي يخدم الانجيلي) ومطهرة ومنشفة معًا تنشف بها الأيدي بعد غسلها والأسقف يقول: انظروا ما الخدمة التي سلمت اليكم فلأجل ذلك أوعو اليكم بأن تستيروا سيرة تقدرون بها أن ترضوا الله ثم يضاف صلوات أخرى وفي الأخر يلبس الأسقف الرسائلي الملابس المقدسة وعلى كل قطعة منها يتلو الكلام ويستعمل الاحتفال الذي يناسبها ثم يسلمهُ كتاب الرسائل قائلاً: خذ كتاب الرسائل وليكن لك سلطان على تلاوتها في بيعة الله المقدسة لأجل الأحياء والأموات.

العشرون ما هي وظيفة الإنجيلي

أن الدرجة الثانية من الدرجات المقدسة هي درجة الإنجيلي وخدمتهُ تعتبر أوسع وأقدس مما مرَّ لأن من متعلقاته أن يتبع الأسقف دائمًا ويرافقهُ حين يعظ ويحضر معه ومع الكاهن في إقامة القداس أو في مباشرة باقي الأسرار ويتلو الإنجيل في ذبيحة القداس وكان في القديم كثيرًا ما يحرك قلوب المؤمنين إلى الانتباه للقداس ويوزع أيضًا دم المسيح في تلك

(392)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكنائس التي كانت فيها عادة بمناولة المؤمنين الافخارستيا تحت كلا الشكلين. وفوضت أيضًا إلى عهدة الإنجيلي الوكالة على أرزاق الكنيسة كي يوّزع على كل أحد ما يحتاجه من المعاش. ومن وظيفة الإنجيلي أيضًا أن يراقب كأنهُ عين الأسقف من يسيرون سيرة صالحة نقيةأو من كانوا بالخلاف ومن يحضرون القداس والوعظ في الأوقات المعينة ومن لا يحضرونها ثم يعلم الأسقفبالجميع حسب الواقع فالأسقف أما أنهُ يحث كل واحد من المتهاونين وينبههم على انفارد وأم اانهُ يوديهم ويوبخهم جهارًا حسبما يرى مفيدًا. وعليهِ أيضًا أن يتلو بحضرة الأسقف أسماء الموعوظين وبشخص أمامهُ المرشحين إلى سر الدرجة ويجوز لهُ فوق ذلك اذا غاب الأسقف والكاهن أن يفسر الإنجيل ولكن لا في موقف عالٍ كي يعقل السامعون أن ذلك ليس من خصائص وظيفتهِ.

الحادي والعشرون وما هي الصفات المطلوبة في من ينتخبون انجيليين

قد أبان رسول الأمم ما ينبغي بذلهُ من العناية والاجتهاد في ان لا يرقى هذه الدرجة من لا يستحقها وذلك فيما كتبهُ إلى تلميذه تيموتاوس موردًا ما يطلب في الإنجيلي من الآداب والفضيلة والنزاهة وقد عبرت عن هذا الأمر نفسهِ تلك الطقوس والاحتفالات التي يجريها الأسقف في رسامتهِ الإنجيلي لأن الأسقف يستعمل في رسامة الإنجيلي صلوات أوفر وأقدس مما يستعمل في رسامة الرسائلي يوشحهُ بملابس مقدسة بزيادة ثم يضع عليهِ الأيدي وفقًا لما عملهُ الرسل في رسامتهم الإنجيليين الأولين كما ورد في سفر الأبركسيس (ص6ع6) ثم يسلمهُ كتاب الأناجيل

(393)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قائلاً لهُ: خذ سلطانًا على قرأه الإنجيل باسم الرب في بيعة الله لأجل الأحياء والأموات.

الثاني والعشرون ما هي درجة الكهنوت واتساع مقامه

أن الدرجة الثالثة السامية على جميع باقي الدرجات هي الكهنوت فقد اعتاد الأباء الأقدمون أن يسموا من رقوا اليها باسمين، في يدعونهم قسوسًا وهي عبارة يونانية معناها شيوخ ليس بداعي كبر سنهم فقط اذا كان ذلك لازمًا لهذه الدرجة بل بالأحرى لأجل رصانة أدابهم وتعليمهم وحكمتهم كما ورد في سفر الحكمة كرامة الشيخوخة ليست بكثرة الأيام ولا تحصى بعدد السنين وانما الشيب فقه الإنسان وهو الشيخوخة حياة لا دنس فيها (ص4ع8) وأحيانًا يسمونهم كهنة لأنهم انقطعوا لعبادة الله ومن متعلقاتهم أن يخدموا الأسرار ويباشروا الأمور المقدسة الإلهية.

الثالث والعشرون كم كهنوت في الشريعة القديمة وفي الشريعة الجديدة

قد وردت الأسفار المقدسة أن الكهنوت قسمان كهنوت باطني وكهنوت خارجي فينبغي أن نميز كليهما كي يتمكن الرعاة من شرح المقصود في هذا المقام فنظرًا إلى الكهنوت الباطني فإن جميع المؤمنين غب اغتسالهم بالماء الخلاصي يسمون كهنة. كما قال القديس امبروسيوس في الفصل الأول من كتابهِ 4عن الأسرار والقديس باسيليوس في مقالته2 عن العماد لا سيما الأبرار الذين فيهم روح الله وجعلوا أعضاء حيَّة ليسوع

(394)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المسيح الكاهن الأعظم بفضل النعمة الإلهية لأنهم بالإيمان المضطرم بالمحبة كما قال القديس اغوسطينوس في الكتاب 10 عن مدينة الله يقدمون قرابين روحية الله على مذبح عقلهم (غلاطية ص5ع6) ومن هذا النوع تعد كافة الأعمال الصالحة والمرضية العائدة إلى مجد الله (1بطرس ص2ع5) ولهذا نقرأ في سفر الجليان: أن المسيح غسلنا من خطايانا بدمه وصنعنا مملكة وكهنة أبيهِ (ص1ع5) وقال بطرس هامة الرسل بهذا المعنى: وأنتم أيضًا فابنوا أنفسكم عليهِ كالحجارة الحيّة بيتًا روحيًا كهنوتًا مقدسًا لتقربوا قرابين روحية مقبولة لله على يدي يسوع المسيح (1بطرس ص2ع5) ويغرينا رسول الأمم بأن نقيم أجسادنا ذبيحة حية مقدسة مرضية لله بخدمتنا الناطقة (رومة ص12ع1) وقبل الرسل المذكورين بأحقاب قال داود النبي: الذبيحة لله روح منسحق القلب المنكسر المنسحق لا ترذلهُ يا الله (مزمور50 ع19) فكل هذه النصوص الإلهية تعبر جليًا عن الكهنوت الباطني.

الرابع والعشرون يتبين وجود كهنوت آخر عدا الكهنوت الباطني

أن الكهنوت الخارجي لا يطلق على جميع المؤمنين بل على بعض أناس ارتسموا بوضع اليد بموجب قوانين الكنيسة واحتفالاتها المقدسة كما ذكر في المجمع التريدنتيني المقدس في الفلص 1والقانون 1 من الجلسة 23 في سر الدرجة واتقطعوا لله في خدمة خصوصية ومقدسة ثم أننا نشاهد أيضًا في العهد القديم هذا الفرق القائمِ بين الكهنوتين لأننا قد

(395)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بينا آنفًا داود النبي على الكهنوت الباطني وما من أحد يجهل ما اكثر ما سنّ الرب على موسى وهارون من سنن الكهنوت الخارجي ثم عين كامل سبط اللاويين لخدمة الهيكل ومنع باللسنة من أن أحدًا من سبط آخر يدخل في هذه الخدمة (ص3ع10) ولأجل ذلك قد ضرب الرب عوزيا الملك بالبرص لتطاولهِ على وظيفة الكهنوت وعاقبهُ أشد العقاب على تعدينهِ ونفاقهِ (2سفر الأيام ص26ع19) فحيث يحق لنا أن نرى هذه الأشياء نفسهُ في شريعة الإنجيل يجب ان نعلم المؤمنين أن كلامنا هنا واقع على الكهنوت الخارجي المختص بأناس معلومين لأن هذا وحده يتعلق بسر الدرجة.

الخامس والعشرون ما هي وظائف المختصة بالكهنة

أن وظيفة الكاهن هي تقدمة الذبيحة لله وتوزيع أسرار الكنيسة كما يرى من طقوس الرسامة لأن الأسقف حينما يرسم أحدًا أولاً يضع يده عليهِ مع أيدي جميع الكهنة الحاضرين ثم يضع على كتفيه بطرشيلاً يجعلهُ أمام صدره على شكل صليب اشارة إلى أن الكاهن يتدرع بقوة من العلا (لوقا ص24ع48) يتمكن بها من حمل صليب السيد المسيح ونير ناموسهِ الإلهي العذب (متى ص11ع30) ويعلم هذه الشريعة لا بالكلام فقط بل يمثل سيرتهِ الصالحة أيضًا. ثم يدهن يديه بالزيت المقدس ويسلمهُ كأسًا فيها خمر وصينية عليها برشانة قائلاً لهُ: خذ سلطانًا على تقدمة الذبيحة لله وإقامة القداس لأجل الأحياء والأموات فبهذا الكلام وهذا الاحتفال يقام ترجمانًا ووسيطًا بين الله والبشر فهذا أخص ما

(396)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تعتبر من وظائف الكاهن. وفي الأخر يضع الأسقف يديه على رأس المرتسم ثانيةً قائلاً: أقبل الروح القدس من غفرت لهم خطاياهم تغفر ومن مسكنها عليهم تمسك فيتحولهُ ذاك السلطان السماوي الذي منحهُ السيد المسيح تلاميذه على ترك الخطايا ومسكنها. (يوحنا ص20ع23) فهذه الدرجة الكهنوتية الخصوصية.

السادس والعشرون أن درجة الكهنوت واحدة أما مقام الكهنة فليس واحدًا

ولو أن الدرجة الكهنوتية واحدة مع ذلك يتنوع مقامها وسلطانها. فالأول هو مقام الكاهن البسيط وقد ابنًا وظائفهم بكلامنا السابق، والثاني هو مقام الأساقفة الموكولة إلى كل منهم أسقفية بمفردها فيسود ليس خدام كنيسته فقط بل الشعب المؤمن رعيته فيعتني بالسهر على خلاصهم ولهذا كثيرًا ما يدعى الأساقفة في الأسفار الإلهية برعاة القطيع وقد أتى بوصف وظيفتهم رسول الأمم في الخطبة التي القاها على الأقسوسيين (ابركسيس ص20ع28) ومثلهُ بطرس أمام الرسل قد وضع قانونًا الهيًا للخدمة الأسقفية اذا عنت الأساقفة بإجراء أعمالهم على موجبهِ فلا شك أنهم يصيرون ويعدّون رعاة صالحين ثم أن هؤلاء الأساقفة يسمون أحبارًا أخذًا عن الحنفاء الذين اعتادوا أن يسموا روساء كهنتهم أحبارًا الثالث مقام روساء الأساقفة فيرأَس كل منهم أساقفة كثيرين ويدعى مطرانًا أيضًا أو متروبوليت لأنهُ يتولى المدينة التي هي بمنزلة أم لباقي مدن أبرشيتهِ في ذاك المصر ولهذا يعلو سلطانه ومقامه سلطان الأساقفة ومقامهم

(397)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولو لم يتميز بالرسامة عن الأسقف. الرابع البطريرك أي الأب الأول والأسمى.

السابع والعشرون في كراسي البطاركة القديمة

كان قديمًا في كامل الكنيسة عدا الحبر الروماني الأعظم أربعة بطاركة فقط ولم يكن جميعهم متساويين مقامًا لأن البطريرك القسطنطيني ولو أنهُ قد حاز شرف البطركية أخر الجميع مع ذلك قد نال المقام الاعلى فيما بينهم بداعي جلال السلطنة ويليهِ الاسكندري الذي أسس كرسيه مرقس البشير بأمر القديس بطرس رئيس الرسل والثالث الأنطاكي حيث نصب بطرس كرسيه أولاً والرابع بطرك أورشليم التي تولى كنيستها يعقوب الرسول أخو الرب.

الثامن والعشرون أن الحبر الروماني هو أكبر جميع الأساقفة والبطاركة بحق آلهي

أن الكنيسة الكاثوليكية قد احترمت كل حين عدا هؤلاء الروساء جميعهم الحبر الروماني الأعظم الذي دعاه القديس كيرللس الإسكندري في مجمع أفسس رئيس الأساقفة وبطركًا وأبًا للمسكونة كلها وأعلن أنهُ لم يتخذ درجة مقامه الأسمى وولايته العظمى من فرائض المجامع ولا من مراسيم بشرية بل من الله وحده لكونه جالسًا على كرسي بطرس زعيم الرسل الذي استمرّ جالسًا عليها ريب إلى آخر حياته ولهذا هو أبو جميع المؤمنين والأساقفة وباقي الروساء في أية وظيفة كانوا وأي سلطان تتلدوا ومدبر الكنيسة الجامعة بما أنهُ خليفة بطرس الصفا والنائب

(398)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحقيقي الشرعي للسيد المسيح كما قال البابا انكليتوس في الفصل24 من رسالتهِ3 والقديس غريغوريوس في الكتاب7 في الرسالة63و64 فيعلم الرعاة بموجب ما ذكرناه الوظائف المختصة بكل درجة من الدرجات الكنسية والخادم لهذا السر.

التاسع والعشرون من هو الخادم الشرعي لهذا السر

من المحقق أن خدمة هذا السر تتعلق بالأسقف ولنا اثبات على ذلك من الأسفار الإلهية والتقليدات الوثيقة ونصوص الأباء جميعهم ومراسيم المجامع واستعمال الكنيسة وعادتها كما ورد في الفصل3و10 من رسم الإصلاح في الجلسة23 من المجمع التريدنتيني المقدس عن الدرجة وفي الفصل العاشر من المجمع الأنطاكي ثم في الفصل12 من مجمع أنكره وكما ذكر القديس ابيفانيوس في الأرتقة75 والقديس ارونيموس في الرسالة85 والقديسان داماسوس ولاون في السالة88 ولو سمح لبعض روساء الرهبنات أن يمنحوا أحيانًا الدرجات الصغار والغير المقدسة مع ذلك ما من ريب في أن هذه الوظيفة هي من خصائص الأسقف وحده دون غيره ولا يجوز لأحد أيًا كان دون الأسقف أن يرسم باقي الدرجحات المعروفة بالكبار المقدسة لأن الأسقف وحده يرسم الرسائلي والإنجيلي والكاهن أما الأساقفة فيرتسمون من أيدي ثلاثة أساقفة معًا أخذًا عن تقليدات الرسل المحفوظة دائمًا في الكنيسة

(399)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثلاثون لماذا بطلب صلاح السيرة خاص في من يرتقون إلى الدرجات

يلي هنا أن نبين من يصلحون لهذا السر ولاسيما للدرجة الكهنوتية وما يطلب فيهم على وجه الخصوص لأن ذلك يسهل لنا أن نقرّر ما يجب مراعاته في إعطاء باقي الدرجات بحسب مقام كل من المرتسمين ووظيفته فيتخلص من ثم ما يقتضي بذلهُ من عظم الاحتراز في منح هذا السر لأن بتقي الأسرار تمنح النعمة لتقديس أولئك الذين يقبلونها وفائدتهم أما المرتسمون في الدرجات المقدسة فيشتركون في النعمة السماوية كي يهتموا بالكنيسة وبخلاص الجميع بواسطة خدمتهم ومن ترى أن الرسامات تجري في ايام معلومة يتعين فيها أصوام حافلة حسب العادة القديمة في الكنيسة كي يستمد الشعب المؤمن من الله سبحانهُ بالأدعية المقدسة خدامًا للأقداس جديرين بأن ينصرفوا بسلطان هذه الخدمة السامية تصرّفًا حسنًا يعود إلى فائدة الكنيسة.

الحادي والثلاثون ما أعظم ما يطلب من نقاوة السيرة والأداب في من يقدم إلى ارتقاء الدرجة الكهنوتية

ينبغي على من أزمع أن يرتقي إلى درجة الكهنوت أن يكون محلِّى بعقود طهارة السيرة والأداب لكونهِ اذا سعى بأن يتقدم إلى الرسامة وهو في حال الخطاء المميت أو تساهل بذلك يتكبل فوق اثمهِ باثم آخر جديد وفظيع وفضلاً عن ذلك يجب عليهِ أيضًا أن يتلألأ أمام الغير بضياء الفضيلة والبر. فعلى الرعاة أن يبينوا ما أمر بهِ

(400)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

رسول الأمم تلميذيه طيطوس وتيموتاوس في هذا الصدد (طيطوس ص1ع7) (تيمو ص3ع8و9) ثم يعلموا أن تلك العيوب الجسدية التي كانت في الشريعة القديمة تنفي صاحبها بأمر الرب من خدمة المذبح ينبغي تاوئلها في شريعة الإنجيل إلى معائب النفس لهذا نرى أن الكنيسة تحافظ على هذه العادة المقدسة في أن المتقدمين إلى رسامة الكهنوت يبذلون غاية جهدهم في أن يطهروا نفوسهم قبلاً بسر التوبة.

الثاني والثلاثون أي علم يطلب في الكاهن وما قدره

لا يطلب في الكاهن تلك المعرفة المتعلقة باستعمال الأسرار ومباشرتها فقط بل يجب أيضًا أن يكون متضلعًا بعلم الأسفار المقدسة كي يستطيع أن يعلم المؤمنين اسرار الإيمان ووصايا السنة الإلهية ويغريهم الفضيلة والعبادة ويقصيهم عن الرذائل. لأن الكاهن وظيفتيين أحداهما لتكميل الأسرار وتوزيعها كما يقتضي والأخرى تفقيه الشعب المسلم إلى عهدتهِ في الأمور والرسوم اللازمة للخلاص. لأن مالاخيا النبي يقول أن شفتي الكاهن تحفظان العلم ويطلبون الناموس من فيه لأنهُ ملاك رب الجنود (ص2ع7) فإذن نظرًا إلى الوظيفة الاولى أي تكميل الأسرار وتوزيعها كالواجب يستطيع ان يقوم بها اذا كان على جانب متوسط من العم أما من حيث الثانية أي ارشاد الشعب المسلم إلى عهدتهِ فلا بدَّ لهُ من علم متقن غير مألوف فلا يطلب لجميع الكهنة بالتساوي أعظم علم بمعرفة الحقائق الغامضة بل المعارف الكافية لكل واحد من الكهنة ليستطيع على القيام حسنًا بوظائف خدمتهِ وواجباتهِ

(401)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث والثلاثون من هم الذين قبولهم في درجة الكهنوت

لا يجوز أن يعطي هذا السر للأطفال والمعترين والمجانين لما ينقصهم من استعمال العقل ولو لزم أن نعتقد أنهم اذا قبلوه يطبع في نفس كل منهم وسم هذا السر ونعرف بدون تعسف من مراسيم المجمع التريدنتيني المقدس في أي عام من العمر تمنح كل درجة من الدرجات. ولا يعطي سر الدرجة أيضًا للعبيد اذ لا يليق أن يكرَّس لعبادة الله من ليس بمسلط على ذاتهِ بل قائِم تحت حكم غيره ولا لسافكي الدماء والقتلة لأن السنة الكنسية تمنعهم من قبول الدرجة وهم عاجزون ولا للمولودين من زنا ولكل من لم يولد من زيجة شرعية اذ من اللائق أن الذين ينقطعون إلى مباشرة الأقداس لا يكون فيهم شئ يقدر الناس أن يعيبهم عليهِ أو يزدريهم وأخيرًا لا يعطي سر الكهنوت لمن فيه عاهة ظاهرة في جسمه تشنع منظره أو كان أقطع أو أعسم لأن مثل هذه العيوب شأنها أن تعبث بالناظر إلى الإشمئزاز ولا يخلو من أنها تعيق الكاهن عن توزيع الأسرار.

الرابع والثلاثون ما هي مفاعيل هذا السر على وجه الخصوص

بعد ان أوردنا ما تقدم بقي علينا أن نبين مفاعيل هذا السر فمن المحقق أن سر الدرجة يلاحظ كثيرًا فائدة الكنيسة وجمالها وكذلك يمنح من يقبله نعمة القداسة التي تصيره جديرًا بأداء واجباتهِ وتوزيع الأسرار كما يقتضي كما ان نعمة العماد أيضًا تصير المعمود أهلاً لقبول

(402)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

باقي الأسرار ثم من المؤكد أن هذا السر يمنح أيضًا نعمة أخرى أي السلطان الخصوصي على تقدمة الافخارستيا فللكاهن وحده سلطان تام كامل على ان يقدس جسد ودم ربنا يسوع المسيح اما السلطان خادمي الدرجات السفلى فمتنوع قدرًا بنسبة تقرَّبهم إلى أسرار المذبح وهذا السلطان يعرف أيضًا بالوسم الروحي لكون الذي يرقى إلى الدرجات المقدسة يمتاز عن باقي المؤمنين وينقطع إلى عبادة الله بعلامة باطنية تطبع في نفسهِ ويظهر أن رسول الأمم أشار إليها بقولهِ إلى تلميذه تيموتاوس: لا تهمل الموهبة التي هي فيك التي أوتيتها عن نبوة بوضع أيدي الكهنة عليك (1تيمو ص4ع14) وفي محل آخر يقول: فلهذا السبب اذكرك أن تذكي َّ موهبة الله في سر الدرجة لأن من قصدنا أن نلقي إلى الرعاة أصول الأشياء فقط ليتوفر لهم بها مواضيع لتعليم الشعب المؤمن وإرشاده في سبل التقوى والعبادة المسيحية.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثامن

في سر الزيجة

الأول لماذا يلتزم الرعاة أن يحرصوا جهدهم متيقظين على ان الشعب المسيحي يعرف جوهر الزيجة وقداستها

لما كان من واجبات الرعاة أن يعرفوا الشعب المسيحي بالحياة السعيدة

(403)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكاملة اقتضى أيضًا أن يجعلوهم إلى ما رغبة رسول الأمم إلى أهل قورنتية بقولهِ: فإني أود لو يكون جميع الناس مثلي (1قور ص7ع7) أي أن الجميع يسعون في أثر فضيلة العفة اذ لا يتوقع شئ في هذه الحياة اسعد للمؤمنين من أن يكون قلبهم خاليًا من همّ هذا العالم وأن تسكن منهم وتخمد نار شهوة الجسد ويعكفوا على تقوى الله والهذيذ في الأمور السماوية. ولكن لما شهد الرسول أن بكل أحد موهبة من الله فبعضهم هكذا وبعضهم هكذا (1قور ص7ع7) وكانت الزيجة مقرونة بخيرات عظيمة الهية حتى جعلها المسيح سرًا حقيقيًا من جملة أسرار الكنيسة السبعة وشرفها بحضوره حفلتها تبين جليًا لزوم تعليمها ولا سيما الالتفاف إلى ما كتبهُ في محال عديدة بتدقيق القديس بولس الرسول والقديس بطرس هامة الرسل على ما يتعلق بمقامها وواجباتها لأنهما كانا يعرفان بوحي الروح القدس أكمل معرفة مقدار ووفرة الفوائد العائدة منها إلى الالفة المسيحية لو عرف المؤمنون قداسة الزيجة وراعوا حرمتها بدون عيب وبالعكس عظم الملمات والمضار الملتحقة بالكنيسة اذا جهلوها وتهاونوا في صيانتها ولذلك وجب أن نأتي ببيبان جوهر الزيجة وقوتها ولما كان كثيرًا ما تتزين المحرمات بشكل المحللات لزم الحذر من أن المؤمنين يغرون بشكل الزيجة الكاذب فيدنسون نفوسهم بالشهوات المحرّمة. فعلينا أن نبين الأمر مبتدئين من اسمه ودلالتهِ.

الثاني لأي سبب يعبر هذا السر بلفظة زيجة واقتران وعرس أن لفظة زيجة معناها الاشتراك والتأَّهل (وفي اللاتينية متربمونيوم وتاويلها

(404)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

واجبات الأم لأن البكر تتزوج لتصير أمًا من متعلقات الأم والحبل والولادة وتربية الأولاد) وتدعى اقترانًا من اقترن (وفي اللاتينية كونيوجيوم)كان الامرأة الشرعية تقترن مع الرجل وينير واحد تدعى عرسًا أي القيام في الفرح (وفي اللاتينية نوبسيه دلالة على تغطية البنات وجوههنَّ في أثناء عقد الزاوج استحياءَ وتأدُّبًا) كما قال القديس امبروسيوس في الفصل9 من كتابهِ الأول عن ابراهيم أبي الأباء ويتبين من ثم أنهُ يلزمهنَّ الخضوع والامتثال لبعولهنَّ.

الثالث في تعريف الزيجة

قد عرّف جمهور العلماء اللاهوتيين الزيجة بأنها اقتران زواجي يتم بين رجل وامرأة صالحين لهُ شرعًا ويلزمهما أن يعيشا عيشة مشتركة غير منفصلة. ولزيادة ايضاح هذا التعريف تقول وأن كانت الزيجة الكاملة تتضمن هذه كلها أي الرضاء الباطن والمعاهدة الظاهرة المصرَّحة بالكلام والالتزام و الرباط الصادرين عن هذه المعاهدة وجماع القرينيين الذي تكمل بهِ الزيجة فمع ذلك لا شئ منها يحتوي قوة الزيجة ونوعيتها الخصوصية الاَّ ذاك الالتزام بالرباط المعبر عنها بلفظة اقتران: وقولنا زواجي لتخرج باقي أنواع المعاهدات التي يتقيد بها الرجل والامرأة للتكاشف على عمل ما او للتعاطي بالمال وهي بعيدة وغريبة عن جوهر الزيجة وقولنا صالحين شرعًا ليخرج من تنفيهم الشريعة من عقد الزيجة فلا يستطيعون أن يعقدوا الزواج وأن عقدوه فالعقد فاسد غير صحيح كمن يقترنون وهم ضمن الدرجة الرابعة

(405)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من القرابة أو كان القرين صبيًا قبل السنة الرابعة عشرة من عمره أو القرينة قبل السنة الثانية عشرة من عمرها فقد رسمت الشارئع أنهما في هذا العمر لا يكونان أهلاً لعقد زواج صحيح وقولنا أخيرًا يلزمهما أن يعيشا عيشة مشتركة غير منفصلة يعلن أن جوهر الوثائق المفيد بهِ الرجل والامرأة لا يمكن نقضه.

الرابع في اي شئ خاصة تقوم قوة الزيجة

تبين مما ورد أن جوهر الزيجة ونوعيتها قائمان في الالتزام والرباط أما ما لورده مشاهير العلماء من التعريفات التي يظهر فيهاأنهم يعزون جوهر الزيجة إلى تاضي المتزوجين كما يقولون أن الزيجة هي تراضي الرجل والامرأة فيجب فهمه أن هذا التراضي نفسهُ هو على فاعلية للزيجة كما علم الأباء في المجمع التريدنتيني لأن الالتزام والرباط لا يصدران الاَّ عن التراضي والمعاهدة.

الخامس أي رضى يطلب في الزيجة وكيف ينبغي تصريحه

وجوبًا وضرورةً يصرح الرضى بكلام يدل على الزمن الحاضر لأن الزيجة ليست بهية مجانية بل معاهدة من الطرفين ولهذا لا يكفي الرضى من طرف واحد لعقد الزيجة بل يلزم أن يكون الرضى بينهما من الطرفين ولا بد من تصريحه بالكلام لأن الزيجة لو صحت برضى باطن فقط بدون أدنى دلالة خارجة لصحت زيجة برضى باطن فقط بدون أدنى دلالة خارِجة لصحت زيجة اثنين تراضيًا على الزواج وهما في بلدان قاصية وأماكن مختلفة قبل أن يصرّح كل منها ارادته للأخر بكتابة أو بواسطة رسول والحال هذا يمجُّه وهو

(406)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مغاير عادة الكنيسة المقدسة ومراسيمها.

السادس لا تصح الزيجة عن رضى الفريقين مصرّحًا بكلام يدل على الزمن المستقبل

بحق يقال أن الرضى يجب أن يصرّح بكلام يدل معناه على الزمن الحاضر لأنهُ اذا دل على المستقبل لا يعقد زواجًا بل خطبة من المحقق أن المستقبل ليس بموجود بعد ما ليس بموجود قلما يعتبر وليس فيه شئ ثابت ولا راهن وعليهِ لا يحق لرجل أن يتزوج ارمأة في الاستقبال وأن كان يلتزم بوفاء ما وعده واذا خالف شجب بجريمة النكث بالوعد أما من تقيد بعقد الزيجة مع آخر ولو ندم فيما بعد فلا يستطيع أن يغير أو يبطل أو ينقض ما عمله لأن الزام الزيجة ليس بوعد مجرد بل تخلية بها تسلّط الامرأة الرجل على جسدها والرجل يسلّط الامرأة على جسده فعلاً لذلك من اللازم أن الزيجة تعقد بكلام يدل على الزمن الحاضر وأن قوة هذا الكلام تثبت أيضًا بعد أن يكون صرَّح به القرينان ويفيد الرجل والامرأة برباط لا ينفك طالما هما في قيد الحياة.

السابع اذا لم يصرّح الرضى لفظًا بداعي الاستحياء أو المانع آخر يستغني عن الكلام بالإيماء والإشارات

يكفي لعقد الزيجة الإيماء والإشارات الدالة صريحًا على الرضى الباطن لا بل يكفي صمت الصبقية نفسه حين لا تجاوب من قبل الحياء

(407)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولكن يجاوب عنها أقاربها.

الثامن لا تطلب المضاجعة لحقيقة الزيجة

على الرعاة أن يعلموا المؤمنين مما مرّ أن جوهر الزيجة وقوتها يقومان بالرباط والالتزام فلا يطلب من باب الوجوب المضاجعة لقيام الزيجة بل الرضى المصرّح على الوجه المشروح لأن من المحقق أن أبوينا الأولين آدم وحواء قد عقدا بينهما عقد زواج حقيقي كما شهد الأباء قبل أن ارتكبا الخطية وفي ذلك الحين لم يكن جرى بينهما جماع لحمي أصلاً. وعليهِ قال الأباء القديسون أن الزيجة تعقد بالرضى لا بالمجامعة كما صرّح بذلك تكرارًا القديس امبروسيوس في كتابهِ عن البتولات.

التاسع على كم نوع الزيجة

بعد ما تقدم من البيان أن الزيجة على نوعين الأول اقتران طبيعي لأن الزيجة ليست اختراع البشر بل اختراع الفطرة الطبيعية والثاني سروقوته تعلو حالة الأمور الطبيعية وحيث النعمة تكمل الطبيعة بناءَ على قول الرسول المصطفى: ولكن لم يكن الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني (1قور ص15ع46) اقتضى نظام الحديث أن نتكلم أولاً على الزيجة باعتبار كونها عند طبيعي وما يتعلق بفعل الطبيعة ثم نأتي ببيان ما يوافق الزيجة باعتبار كونها سرًّا.

العاشر من سنّ الزيجة بحسب دلالتها على فعل الطبيعة

يجب ان نعلم المؤمنين في بادئ البدء أن الله سبحانهُ سَنَّ الزيجة لأن قد كتب في سفر التكوين. فخلق الله الإنسان على صورته على

(408)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

صورته خلقه ذكرًا وأنثى وباركهما الله وقال لهما أنميا وأكثرا (تكوين ص1ع27و28) وفي محل آخر: وقال الرب الاله لا يحسن أن يكون الانسان وحده فأصنع لهُ عونًا بازئهِ (تكوين ص2ع16) وبعيد ذلك وأما آدم فلم يوجد لهُ عون بازائهِ فأوقع الرب سباتًا على آدم فنام فاستل احدى اضلاعهِ وسدّ مكانها بلحم وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من أدم امرأةً فأتى بها أدم فقال ها هذه المراة عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تسمى امراة لأنها من امرءٍ أخذت ولذلك يترك الرجل أباه وأمهُ ويلزم امرأتهِ فيصيران جسدًا واحدًا (تكوين ص2ع20 إلى 24) فهذه النصوص الالهية تبين أن الله سبحانه سن الزيجة حسبما هو محرّر في انجيل متى ص19ع6)

الحادي عشر أن الزيجة باعتبار كونها فل الطبيعة وخاصة باعتبار كونها سرًا لا تنفض

أن الله سبحانهُ لم يسن الزواج فقط بل أضاف إليهِ أيضًا وثاقُا دائمًا لا ينقض لأن مخلصنا لهُ المجد يقول: ما جمعهُ الله لا يفرقهُ انسان (متى ص19ع6) كما قرَّر المجمع التريدنتيني في بدء الجلسة الرابعة والعشرين في الفصل 5و7 منها أنهُ من اللائق والمناسب أن لا تنتقض الزيجة بحسب كونها فعل الطبيعة وبارلى حجة باعتبار كونها سرًا لأنهُ يخولها أعظم كمال حتى في كل ما يختص بها من قبل سنة الطبيعة ثم لأن نقضها يضر بتربية الأولاد ويحجف بباقي خيرات الزيجة.

(409)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني عشر أن سنة عقد الزواج لم تفرض ما قالهُ الرب الاله: انميا وأكثرا يعود إلى اعلان السبب الذي لأجله سن الزواج لا غلى الزام كل فرد من البشر بالزيجة لا سيما الآن بعد أن نما وكثر النوع البشري فضلاً عن أنهُ ليس من سنة تلزم أحدًا بالزواج فإن البتولية تحف بأجمل الثناء وتغري بها الأسفار الالهية كل أحد لكونها أفضل حالة من الزيجة وتشتمل أعظم كمال وقداسة ربنا ومخلصنا الالهي قد علم بقولهِ: من يحتمل فليحتمل (متى ص12ع12)ويقول الرسول المصطفى: أما البتولية فليس عندي بها وصية من الرب لكنني أفيدكم فيها مشورة بما ان الرب رحمني أن أكون أمينًا (1قور ص7ع25).

الثالث عشر لماذا يتزوج الرجل والامرأة

علينا أن نبين هنا الأسباب الداعية لزواج الرجل والامرأة الأول ميل الطبيعة الغريزي إلى الألفة بين الرجل والامرأة أملاً بالمعاضدة والمساعدة بحيث الواحد بعين الآخر بفعلهِ كي يستطيع بأوفر سهولة احتمال ضيقات هذه الحياة وضعف الشيخوخة. الثاني رغبة الحصول على أولاد لا لكي يورثوهم الخيرات والفنى فقط بل ليربوهم على الإيمان الحق والديانة المستقيمة فيتبين جليًا من الأسفار الإلهية أن هذا كان جل مقاصد الأباء باتخاذهم الزوجات ولهذا لما كان رافائيل الملاك يرشد طوبيا ويعلمهُ كيف يستطيع أن يدفع قوة الشيطان قال: استمع فأخبرك من هم الذين يستطيع الشيطان أن يقوي عليهم هم الذين

(410)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يتزوجون فينفون الله من قلوبهم ويتفرغون لشهوتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما (طوبيا ص6ع16و17) ثم قال تتخذ البكر يخوف الرب وأنت راغب في البنين أكثر من الشهوة لكي تنال بركة ذرية ابراهيم (ص6ع22) وهذا كان السبب الوحيد الذي من أجلهِ سنَّ الله الزواج منذ البدء (تكوين ص1ع8) فلذلك كان من أقبح الاثم وأفظعه ثم أولئك الذين يتزوجون فيتناولون أدوية لمنع الحبل أو لمنع الولادة لأن ذلك يعد تواطئًا اثيمًا على القتل.

الرابع عشر لماذا سُنَّ الزواج بعد الخطبة

السبب الثالث المضاف الى السببين السابقين بعد سقطة أبينا أدم هو أنهُ لما فقد البر الذي كان فطر عليهِ الانسان أخذت الشهوة تضاد العقل القويم فالإنسان العارف بضعفهِ ولا يريد أن يحارب الجسد ليس لهُ الاَّ أن يستعمل دواء الزواج كي يتجنب خطايا الشهوة الزنائية وبهذا المعنى كتب الرسول المصطفى قائلاً.ولكن لسبب الزنى فلتكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ويعيد ذلك حين علم بوجوب الامتناع أحيانًا عن المضاجعة الزواجية لأجل التفرغ للصلوة أردف كلامه بقولهِ: ثم عودا إلى ما كنتما عليهِ لئلا يجر بكما الشيطان لعدم عفتكما (1قور ص6ع2و15) فهذه هي الأسباب التي يجب أن يقصدها كل من رام أن يتزوج يتقوى الله والعبادة كما يليق بأبناء القديسين. واذا اضيف اليها أسباب أخرى تغري الناس يعقد الزيجة فقصدوا في انتخاب الزوجات مثلاً تخليف

(411)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الميراث والغنى وجمال الطلعة وحسن الأصل ومناسبة الأخلاق فلا يؤاخذون بذلك لأن هذه الأسباب لا تطعن في قداسة الزيجة لأن يعقوب أبا الأسباط لم يُلَم في الكتاب المقدس على تفضيلهِ راحيل على ليَّا لانشغافهِ بجمالها (1قور ص26ع17) هذا ما اقتضى ايراده في الزيجة بحسب كونها اقترانًا طبيعيًا.

الخامس عشر لماذا رقى المسيح الزيجة إلى مقام السر

أن الزيجة بما أنها سر يجب أن يقال أن جوهرها أفضل جدًّا وغايتها اسمى مما لو كانت مجرَّد اقتران طبيعي فكما أن الزيجة بحسب كونها اقترانًا طبيعيًا قد سُنَّت من البدء لتكفير النوع البشري هكذا فيما بعد قد رُقيت إلى مقام السر كي ينشأ البشر ويترَّبوا على عبادة الله الحق ودين مخلصنا يسوع المسيح لأن المسيح الرب لما شاء أن يعطينا علامة على شديد اتحاده بالكنيسة وعلى محبتهِ الفائقة لنا رفع ذاك الاقتران المقدس بين الرجل والامرأة إلى مقام سر عظيم. وتعقل أن ما صنعهُ ربنا هو في غاية الحكمة واللياقة من أن لا يوجد عهد بشري يقيّد الناس بعضًا ببعض مثلما يقيدهم وثاق الزواج ويلحم الرجل والامرأة بالمحبة والانعطاف ولهذا كثيرًا ما تمثّل لنا الأسفار المقدسة والاتحدا الالهي بين الكنيسة والمسيح بمثل العرس (متى ص22ع2و25و10).

السادس عشر كيف أن الزيجة هي سر حقيقي في شريعة الانجيل

أن الكنيسة قد اعتقدت وتحقَّقت دائمًا أن الزيجة هي سر من

(412)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كلام الرسول المصطفى الذي كتب إلى الأقسوسيين قائلاً: يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم ومن أحبّ امرأته أحب نفسه ولا يبغض أحد جسده قط بل يغذّيه ويربيّه كما يعامل الرب الكنيسة فأننا أعضاء جسده ومن لحمه ومن عظامه ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم زوجته فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا. أن هذا السر عظيم أقول هذا في المسيح وكنيستهِ (أفسس ص5ع28و29و30) فقوله هذا السر عظيم يشير دون ريب إلى سرّ الزيجة الذي صنعه الرب وهو سر لأنهُ علامة مقدسة لذاك الرباط المقدس الذي يقيد بهِ المسيح الرب مع الكنيسة.

السابع عشر كيف يثبت من قول الرسول أن الزيجة هي سر

أن الأباء القديسين الأقدمين الذين فسروا الأية المذكورة أبانوا أن هذا المعنى الحقيقي الخاص لهذا الكلام وفسر هذا التفسير نفسه المجمع التريدنتيني المقدس. فمن المحقق اذن أن الرسول المصطفى يشبه الرجل بالمسيح والامرأة بالكنيسة وأن الرجل رأس الامرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة ومن هذا القبيل يجب على الرجل أن يحب امرأَتهُ وعلى الامراة أن تحب رجلها وتكرمه لأن المسيح أحب الكنيسة وبذل نفسه دونها (أفسس ص5ع25) ثم أن الرسول قد علم أيضًا أن الكنيسة تخضع للمسيح هكذا يجب على النساء أن يخضعنَ لرجالهنَّ في كل شئ ثم أن المجمع التريدنتيني المقدس قد أفصح بكلامهِ الآتي عن النعمة التي يدل عليها هذا السرور ويمنحها اذ قال: أن المسيح مبدع الأسرار

(413)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الجليلة ومكملها قد استحق لنا بلآمهِ النعمة التي تكمل هذه المحبة الطبيعية وتثبت الاتحاد الذي لا ينحل البتة وتقدس القرينين (أه) فلذلك يجب على الرعاة أن يعلموا المؤمنين أن نعمة هذا السر تربط الرجل والامرأة برباط المحبة المتبادلة بينهما بحيث يثبت كل منهما على مودةالآخر فلايطلب محبات غريبة ومضاجعات محرّمة وهكذا يكون الزواج مكرّمًا في الجميع ومضجع أهله نقيًا (عبرا ص13ع14).

الثامن عشر ما الفرق بين زيجة الشريعة الجديدة وبين زيجة الناموس الطبيعي وناموس موسى

أننا نعرف كم يفضل سر الزيجة على باقي الزيجات التي كانت تعقد قبل الناموس الموسوي وبعده من كون الزيجة عند الأمم عاريةً بالكلية من قوة السر ونوعيتهِ ولو زعموا انها تحتوي شيئًا الهيًا وحسبوا المضاجعات الغربية خارجة عن ناموس الطبيعة وان الزنى والفسق وباقي ضروب الشهوة الدينية تقتضي بالانتقام على صاحبها. واليهود كانوا يرعون شرائع الزواج بأوفر احترام وعبادة لا شك في أن زيجاتهم كانت أقدس من الطبيعية لأنهم كانوا نالوا الوعد بان الجميع الأمم يتباركون يومًا ما بزرع ابراهيم (تكوين ص12ع3و18) وكانوا يرون من ثمَّ بحق وسواب أن الزيجة هي فعل تقويّ عظيم كي يلدوا الاولاد ويكثروا نسل الشعب المختار الذي سوف يولد منه ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بحسب الطبيعة البشرية ومع ذلك كانت زيجاتهم خالية من نوعية السر الحقيقية.

(414)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع عشر أن الزيجة الطبيعية بعد سقوط أبوينا الأولين في الخطبة قد فقدت جمالها الأصلي الاولي الذي أتاها من الله في الشريعة الطبيعية أو في الشريعة الموسوية

نقول أيضًا أننا اذا لاحظنا الشريعة الطبيعية بعد الخطبة أو الشريعة الموسوية ترى أن الزيجة سقطت عن حرمة أصلها وجمالها لأننا في زمن الشريعة الطبيعية نجد كثيرًا من الأباء الأقدمين كانوا يتزوجون نساءً كثيرات معًا ثم قد أُنتج لهم في شريعة موسى لأسباب موجبة أن يطلقوا نساءهم. أما كلا الأمرين فقد زالا بشريعة الانجيل وارتدت الزيجة إلى حالتها الأولى. لأن الزواج بنساء كثيرات يغاير جوهر الزيجة ولو ان بعض الأباء الأقدمين لا يلامون على اتخاذهم نساءَ كثيرات لأنهمٍ لم يفعلوا ذلك الاّ بسماح من الباري تعالى. فسيدنا يسوع المسيح قد بيّن بطلان الزيجة بنساءٍ كثيرات بهذا الكلام: فلأجل هذا يترك الإنسان أباه وأمه ويلزم امرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا (متى ص15ع5و6) ثم قال: فليس هما اثنين لكن جسدًا واحدًا (أه) فقد صرًّح بهذا الكلام أن الله سن أن يكون الزواج بين اثنين لا أكثر. وصرّح هذا التعليم أجلى تصريح بقولهِ: من طلق امراته وتزوج أخرى فقد زنى وأن خلّت الامرأة زوجها وتزوجت آخر فهي زانية (مرقس ص10ع11) فلو جاز للرجل أن يتزوج نساء كثيرات لما كان وجه للحكم بان من يطلق امرأَته ويتخذ أخرى مجرم جريمة الزنى أكثر ممن يبقى امرأَته في بيتهِ ويتزوج

(415)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أخرى فلأجل ذلك اذا تنصر الغير المؤمن وكان تزوج نساءَ كثيرات بموجب عادة أمته وسنتها تامره الكنيسة بأن يترك نساءه كلهنّ ما عدا التي اتخذها أولاً فتكون لهُ امرأة وحدها فقط في الشرع والعدل.

العشرون أن الوثائق الزيجة لا ينقض بالطلاق

أن من قول ربنا يسوع المسيح لهُ المجد يثبت أن وثائق الزيجة لا ينقض بالطلاق أصلاً لأن الامراة لو انحلت من الرجل بالطلاق لجاز لها أن تتزوج بآخر ولا تزني والحال أن الرب قد صرّح جليًا بقوله: كل من يطلق امرأَته ويتزوج أخرى فهو زان ولذا قد تحقق أن رباط الاقتران لا يحل الاَّ بالموت وقد اثبت ذلك الرسول المصطفى بقوله: أن الامرأة مقيدة بالناموس مادام رجلها حيًا فإن وقد رجلها فهي معتقة فلتتزوج بمن تشاء لكن في الرب فقط (قور ص7ع39 ورومية ص7ع2) وقال أيضًا أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب بأن لا تفارق المرأة رجلها وأن فارقتهُ فلنبقَ غير متزوجة أو فلنصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأَته (1قور ص7ع10) فالرسول صرّح بهذا الأمر من قبل الله اللامرأة التي تركت زوجها لسبب معقول بأنها أما أن تبقى بلا زواج أو تصالح زوجها لأن الكنيسة لا تسمح للرجل والامرأة أن يفترق أحدهما عن الآخر بدون أسباب باهظة.

(416)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحادي والعشرون لماذا يجب أن لا يحل رباط الزواج بسبب من الأسباب بتةً

يجب على الرعاة أن يبنوا للمؤمنين منافع سر الزيجة حتى لا يستقلوا نيرها من عدم حل رباطها. وليعلم الناس أن يفضلوا في عقد الزواج الفضيلة والأخلاق على الغنى والجمال ولا شك في وجوب الاعتناء بذلك لخير الجمهور ثم لو انحلت الزيجة بالطلاق لما انقطعت بين البشر أسباب الخصام التي ما يرح يبثها كل يوم عدو الصلح والطهارة وأما الآن فحيث يوقن المؤمنون في ذواتهم أن القرينين ولو افترقا افتراق المعيشة والمضجع لا يزالان مقيدين برباط الزيجة ولا رجا لأحدهما أن يقترن بغير قريتهِ فيتأتي من ذلك أنهما يتعودان كظم الغضب وحسم أسباب الخصام ثم اذا افترقا حينًا ولا يقدران أن يصبرا طويلاً على هذا الافتراق يتيسر لهما العود إلى الالتحام بالمصالحة على يد أصدقائهم ومعارفهم.

الثاني والعشرون اذا انفصلا بحكم الهجر يقدران أن يرجعا فيما بعد إلى الاقتران

يلزم الرعاة الاَّ يتغاضوا عن نصيحة القديس اغوسطينوس الخلاصية التي يبين أنهُ يجب الاَّ يستقل المؤمنون مصالحة نسائهنّ بعد ان هجروهن بدعوى الزنى اذا تبنَ عن اثمهنَّ لأنهُ يقول: لماا لا يقبل المؤمن امرأته التي تقلبها الكنيسة أو لماذا لا تصفح الزوجة لرجلها اذا تاب والمسيح قد صفحُلهُ. وكلام الكتاب المقدس الذي يدعو احمق منَ

(417)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أبقى عنده امرأته الزانية (أمثال ص17ع22) يراد بهِ من أصرت على الزنا لا من ارتدت وتابت عنه. وقد تبين مما تقدم أن زيجة المؤمنين تفضل كثيرًا شرفًا وكمالاً زيجات الأمم واليهود.

الثالث والعشرون ما هي الخيرات التي تتأنى للمتزوجين من هذا السر

ثم ينبغي أن نعلم المؤمنين أيضًا ان خيرات الزيجة ثلاثة النسل والامانة والسر وهي تخفف مشتقات الزيجة التي أشار اليها رسول الأمم وبهذا الكلام: تكون لمثل هؤلاء مشقة بالجسد (1قور ص7ع28) ومنها يتأتى أن المضاجعات التي تجري خارج الزيجة وتكون مرذولة اثيمة بحق وصواب تصير بواسطة سر الزيجة حلالاً طاهرة.

الخير الأول النسل أي الأولاد الذين يولدون من امرأة شرقية ناموسية وقد اعتبره الرسول اعتبارًا حلمه على القول: بان الامرأة تخلص بولادة الأولاد 01تيمو ص3ع15) وليس بولادتهم فقط بل بتهذبيهم ولذلك أردف الرسول قوله بقوله: أن استمروا على الإيمان (ع15) لأن الكتاب المقدس يأمر بقوله: إن كان لك أولاد أديهم وأحنهم منذ صغرهم (جامعة ص7ع25) وهذا نفسه يعلمناه الرسول المصطفى وموعظته (أفسس ص6ع4) ويأتينا طوبيا البار (ص14)وأيوب الصديق ص1ع8) وغيرهما من الأباء القديسين بنومذجات هذه التربية الجميلة في الأسفار المقدسة. وسنأتي بشرح واجبات الوالدين

(418)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

والأولاد على وجه التفصيل والإسهاب في الوصية الرابعة من وصايا الله العشر.

الرابع والعشرون ما هي الأمانة في الزيجة وكيف يرعى زمامها

الخير الثاني من خيرات الزيجة الأمانة أو الطمأنينة وهي عقد يرتاح بهِ كل قرين في أن يولي قرينه على ما يحق لهُ من السلطة على جسده ويعاهده بعدم الخيانة في هذا السر المقدس وهذا يتلخص من كلام أبينا آدم حين اتخذوا حواء زوجةً لهُ (تكوين ص2ع24) ومن كلام السيد المسيح تثبيًا لقول أدم: ولهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ويكون الإثنان جسدًا واحدًا (تكوين ص2ع24) ثم من قول الرسول أن الإمرأة لا تتسلط على جسدها بل رجلها وكذلك الرجل لا يتسلط على جسده بل إمرأته (1قور ص7ع4) ولهذا بكل حق قد قيّض الرب في الشريعة القديمة على الزناة أشد العقاب لخيانتهم عهد الزيجة. ثم أن الزيجة تستلزم أيضًا أن الرجل والإمرأة يتحدان بينهما برباط محبة فريدة مقدسة طاهرة لا كما يجب الفاسقون بعضهم بعضًا بل كما أحب المسيح كنيسته. لأن الرسول المصطفى سن هذا القانون بقولهِ: أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة (أفسس ص5ع25) وقد أحبها حقًا إلى الغاية لا لفائدته بل لفائدتها بما أنها عروسته.

(419)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس والعشرون ما هو السر الذي يعدَّ من جملة خيرات الزيجة

الخير الثالث السر أي رباط الزيجة الغير الممكن حله لأن الرسول يقول: أن الرب يأمر بأن الإمرأة لا تفارق رجلها وأن فارقته فلتبقَ غير متزوجة او فلنصالح رجلها ولا يترك الرجل إمرأته (1قور ص7ع10) لأن الزيجة بما أنها سر تشير إلى اتحاد المسيح مع الكنيسة والحال ان المسيح لا يفارق الكنيسة أبدًا هكذا لا يمكن الرجل نظرًا إلى رباط الزيجة أن يفارق إمرأته أبدًا. وحفظًا لا لفة هذا الاقتران المقدس ينبغي أن تبين ما على الرجل والإمرأة من الواجبات التي وردت في رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس (ص5ع22و25) وفي رسالة القديس بطرس هامة الرسل الأولى 0ص3ع1و2)

السادس والعشرون ما هي واجبات الرجل على وجه الخصوص

فمن واجبات الرجل أن يعامل إمرأته بالكرامة والمودة وعليه أن يتذكر في هذا الصدد أن أدم دعا إمرأته اليفة اذ قال الإمرأة التي أعطيتنيها اليفة (تكوين ص3ع10) ولهذا السبب قد علم بعض الأباء أنها نسلت من جنبهِ لا من رجلهِ. ولم تؤخذ من رأسهِ لتعقل أنها ليست سيدة الرجل بل خاضعة لهُ ثم يحسن بالرجل أن يتشاغل دائمًا باجتهاد بأشغال لائقة ممدوحة كي يمكنهُ أن يقدم ما كان لازمًا لأمر

(420)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المعيشة ثم لئلا يذوي بالكل الذي تصدر عنهُ جميع الرذائل ولكي يرتب أمور العائلة حسنًا ويصلح أداب الجميع ويوقف كلاً منهم على حدود واجباتهِ.

السابع والعشرون ما هي واجبات الإمرأة

قلنا وتقول أن واجبات الإمرأًة قد ذكرها بطرس هامة الرسل بقولهِ: كذلك أنتنَّ أيها النساء أخضعنَ لرجالكنَّ لكيما تربحنَ بأعمالكنَّ الحسنة من دون تعب أولئك الذين لا يطيعون الكلمة اذ يرون أنكنَّ سالكات بالتقوى والعفة ولا تكن زينتكنَّ بالزينة الخارجة بضفاير الشعر وحلى الذهب والثياب الفاخرة بل بزينة انسان القلب الداخل بروح متواضع غير فاسد الزينة الفاصلة عند الله لأنهُ هكذا أيضًا من قديم كانت النساء القديسات المتوكلات على الله يزينَّ أنفسهنَّ وكن خاضعات لأزواجهنَّ كما كانت سارة تطيع ابراهيم وتدعوه سيدها (1بطرس ص3ع1) وليكن أيضًا جل اجتهادنَّ في تربية الأولاد على الديانة والعبادة واعتناؤهنَّ في تدبير أهل بيتهنَّ ويمكثنَ بطيبة القلب والخاطر في بيوتهن ولا يخرجنَ منها إلا عندما تدعوهنَّ الضرورة ولا يقدمن أبدًا إلى ذلك بدون اذن أزواجهنَّ ثم فلنتذكر الزوجات دائمًا أنهُ يجب عليهنَّ بحسب الرب أن لا يجيبنَ ولا يعتبرونَ أحدًا أكثر من رجالهنَّ ويلزمهنَّ أن يطعنهم ويوافقهم أيضًا في كل شئ لا يضاد تقوى الله والديانة وذلك مع فرح القلب الفائق.

(421)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثامن والعشرون ما القول في احتفالات الزيجة

على الرعاة أن يشفعوا ما تقدم ببيان الاحتفالات أيضًا الواجب حفظها في عقد الزيجة ولا حاجة إلى أن نضع لهم سننًا في هذا الخصوص لأن المجمع التريدنتيني المقدس في الجلسة24 في الفصل1 من رسم الاصلاح عن الزيجة قد رسم بالتدقيق والتفصيل ما يلزم مراعاته في هذا الأمر ولا يجهل الرعاة هذا الرسم فحسبنا اذن أن ننبهم إلى ان يقفوا على ما يتعلق بهذا الموضوع من تعليم المجمع المقدس ويجتهدوا في أن يعلموه المؤمنين.

التاسع والعشرون أن الزيجات الخفية غير صحيحة

يجب على الرعاة أن يعلموا صريحًا أن الزيجة أن لم تعقد بحضرة خوري الرعية أو كاهن آخر مرخصُ لهُ منه أو من الأسقف المألوف وأمام شاهدين فهي غير صحيحة وغير ثابتة وذلك حذرًا من ان الشبان والصبيات بداعي صغر سنهم وصعف عقلهم يقدمون إلى عقد زيجات باطلة عن تغفل وغرور وعشق قبيح.

الثلاثون من الواجب أيضًا أن تبين موانع الزيجة

ينبغي أيضًا أن نبين الموانع التي تمنع الزيجة أو تبطلها فأكثر العلماء القديسين الأفاضل الذين كتبوا في مسائل الرذائل والنضائل قد دققوا في مسئلة الموانع فيسهل على الجميع أن يروا عنهم في هذا الموقع ما كتبوه في هذا الشبان. وعلى الرعاة أن يلازموا مطالعة هذه الكتب ولا يهملوها أبدًا بل يقراون بتمعن تلك

(422)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرسوم وتلك السنن التي سنها المجمع المقدس في الموانع الصادرة أما عن قرابة روحية أو عن الأدب العمومي أو عن الزنى ويعتنون في بيانها للمؤمنين.

الحادي والثلاثون كيف ينبغي أن يكون استعداد الذين يقدمون إلى عقد الزيجة

قد تبين مما أوردناه كيفية الاستعداد الواجب على المؤمنين أن يتصفوا بهِ حين يعقدون الزيجة لأنهم ينبغي أن لا يحبسوا ذاويهم قادمين على أمرٍ بشري بل الهي تشير إلى وجوب استعماله بتقوى الله والطهارة نموذجات الأباء الأقدمين الذين ولو لم تكن زيجاتهم بالغة إلى مقام السر مع ذلك كانوا دائمًا يعتبرونها جديرة بتقوى الله والقداسة.

الثاني والثلاثون بطلب رضى الوالدين لتمكين الزيجة

من جملة ما ينبغي أن ينصح بهِ أبناء العيال هو أن يأدّوا هذا الإكرام لوالديهم ولمن هم في عهدتهم وتحت سلطانهم أي أنهم لا يتزوجون بدون اطلاعهم وبغير خاطرهم لأننا نرى في العهد القديم أن الوالدين كانوا دائماًا يزوجون أولادهم وأشار الرسول إلى وجوب الاعتماد في هذا الأمر على خاطر الوالدين اذ قال: من يدفع بتولته إلى الزواج محسنًا يصنع ومن لا يدفعها إلى الزواج فأفضل احسان يصنع (1قور ص7ع38).

الثالث والثلاثون ما ينبغي أن يؤمر بهِ من جهة الفعل الزواجي

بقي علينا أن نتكلم عن هذا الجزء الاخير من عقد الزواج المتعلق

(423)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

باستعماله. فعلى الرعاة أن يتصرفوا بالتعليم تصرفًا يصانون بهِ من التفوّه بأدنى كلمة غير لائقة تخدّش أذهان العابدين أو يمكن أن تحرّش على الضحك لأن النبي داود يقول: أقوال الرب أقوال نقية (مزمور11ع7) ومن أعظم اللائقات أن معلم الشعب المسيحي يستعمل أقوالاً تشف عن رصانة فريدة وطهارة قلب عظيمة ولهذا ينبغي أن يتعلم المؤمنون أمرين على الخصوص أولهما لا يباشرون الزواج لمجرّد الشهوة أو اللذة البدنية بل يتصرفون بهِ للغايات التي رسمها الرب القائل: من لهم زوجات يكونون كمن لا نساء لهم (1قور ص7ع29) وقول القديس اريرونيموس في آخر كتابهِ الأول دحضًا لجوفينان: أن الرجل العاقل يجب أن إمرأته بالعقل لا بالشهوة ويكظم وثبات الشهوة لا يتهور إلى الانهماك بالمضاجعة فما من شئ أقبح من الرجل أن يحب إمرأته حب زانية.

الرابع والثلاثون يجب أحيانًا امتناع المتزوجين عن مضجع الزواج

ثانيهما لما كان ينبغي أن نستمد من الله سبحانه كل خير بالصلوة لزم أن نعلم المؤمنين أن يمتنعوا أحيانًا عن الجماع تفرغًا للصلوة وعبادة الله وليعلموا أن هذا يراعي خاصة ثلاثة أيام قبل تناول سر الافخارستيا المقدس ثم مرات عديدة في اختفالات الصوم الخمسيني كما رسمت أباؤنا بالتقوى والقداسة. فينأتي من ذلك أن خيرات الزيجة تنمو وتزيد يومًا

(424)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فيومًا بفيضان النعمة الإلهية واذ يقتفون أثر التقوى لا يصرفون حياتهم بالهدوء والسلام فقط بل يرجون الله رجاء وثيقًا لا يخزى نوال الحياة الأبدية السعيدة.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(425)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الباب الثالث

من التعليم المسيحي الروماني

في وصايا الله العشرة

الفصل الأول

في الوصايا بالإجمال

أولاً يتبين أن وصايا الله العشرة هي خلاصة جميع الوصايا قال القديس اغوسطينوس في كتابهِ الثاني بحث 130 قد تكتم سفر التكوين أن العشرة كلمات تتضمن جميع السنن وهذا نصه قد تكلم الرب على أشياء كثيرة ومع ذلك سلم موسى لو حين فط يسميان لوحي الشهادة المستقبلة وحفظًا في التابوت لأن كل ما أوصى الله بهِ يفهم أنهُ راجع إلى هذه الكلمات العشرة التي كتبت على اللوحين بم ان هذه الكلمات العشرةنفسها تنحصر في أمرين أي محبة الله ومحبة القريب المتوقف عليها الناموس كلها والانبياء (أه) بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كلهُ والانبياء (متى ص22ع40).

ثانيًا ينبغي على الرعاة أن يتدبروا الكلمات العشرة ويشروحها شرحًا جهيدًا مدققًا

لما كانت العشرة كلمات خلاصة الناموس كله اقتضى أن الرعاة يحيون النهار والليل في تأملها. قال داود النبي: في شريعة الرب هواه وفي شريعتهِ يهز نهارًا وليلاً (\_مزمور1ع2) كي يرتبوا سيرتهم على هذه

(426)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

القاعدة ثم يفقهوا الشعب المسلم لعهدتهم في شريعة الرب: لأن شفتي الكاهن تحفظان العلم ويطلب الناموس من فيهِ لأنهُ ملاك رب الجنود (ملاخيا ص2ع18) وهذا يتعلق خاصة برعاة الشريعة الجديدة لنهم أقرب اليهِ تعالى ويلزمهم أن يتحولوا إلى تلك الصورة بعينها من مجد إلى مجد كما يكون من الرب الروح (2قور ص3ع18) وحيث ساهم الرب نور العالم كان من وظيفتهم الخصوصية أن يكونوا نورًا لأولئك الذين هم في الظلام (متى ص5ع14) ومودبين الجهال (رومة ص2ع20) ومعلمي الصغار (غلاطية ص6ع1) وأن أحد سقط في زلة فهم معشر الروحانيين يصلحونهُ بروح متواضع وفي الاعترافات أيضَا يقومون مقام قاضٍ ويقطعون الحكم على كل جنس ونوع من الخطايا فلهذا اذا لم يشأوا أن يخدعوا ذواتهم وغيرهم أيضًا يجهلهم من اللازم أن يكونوا منتبهين للغاية وخبيرين جدًّا في تفسير الوصايا الإلهية كي يستطيعوا أن يحكموا بموجب هذه القاعدة الإلهية على كل فعل وإهمال ويعلموا المؤمنين التعليم الصحيح أي تعليمًا لا يشوبه أدنى خلل كما أمر الرسول المعظم (2تيمو ص4ع3) ويطيبوا أمراض النفوس أي الخطايا ليكون الشعب مقبولاً عند الله يتنافس في الاعمال الصالحة (طيطوس ص2ع14) فيلزم الراعي في مثل هذه المباشرات أن يضع نصب عينيه ِ وأعين غيره ما يتمكن بهِ من إفادة الناس إلى طاعة الشرائع

ثالثًا من سنَّ الكلمات العشرة والشريعة الطبيعية

من أقوى الأسباب الداعية الناس إلى حفظ أوامر هذه السنة

(427)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ونواهيها هو كون الله سبحانه وليها وواضعها ولو قيل أنها أعطيت على يد الملائكة مع ذلك ما من ريب في أن الله نفسه واضعها ولنا على ذلك دليل بين ليس من كلام المشترع نفسه فقط الذي سنأتي بشرحه بعد قليل بل من نصوص أيضًا تكاد لا تحصى وردت في الأسفار الإلهية يتيسر على الرعاة مطالعتها بدون تعسف لأن كل انسان يرى أن الله غرس في نفسهِ سنة يميز بها الخير من الشر والفضيلة من الرذيلة والعدل من الظلم ولما كانت قوة هذه السنة ونوعيتها لا تختلف عن السنة المكتوبة فما من أحد يتجاسر على ان ينكر الله سن الشريعة الطبيعية والمكتوبة فيجب على الرعاة اذن أن يعلموا الشعب ان هذا النور الإلهي قد أظلم بفساد الأداب وتمادي الشر ولما اعطى الله موسى السنة قد زاده اشراقًا لا أنهُ سنَّ سنة جديدة لئلا اذا سمع الشعب أن شريعة موسى نسخت يظن أنهُ غير ملتزم بهذه الشرائع فمن المحقق الخالي من الريب أننا نلتزم بالطاعة لهذه الوصايا لا لأن موسى أعطاها بل لأنها مطبوعة في قلوب الجميع وقد أثبتها وأضحها سيدنا يسوع المسيح.

رابعًا كيف يستهم الشعب إلى حفظ الشريعة من قبل مشترعها نفسه أن يتوفر لنا أعظم مساعدة وأقوى قوة للرضوخ والامتثال حين نفتكر أن واضع الشريعة هو الله الذي لا نفقدر أن نشك بحكمتهِ وعدلهِ ولا نستطيع سبيلاً إلى الفرار من قدرتهِ الغير متناهية ولهذا لما كان الله بأمر على يد الانبياء بحفظ الشريعة كان يقول: أنا هو الرب الإله (احبار ص18ع5) وفي فاتحة الكلمات العشرة قال أنا هو الرب إلهك (خروج

(428)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ص20ع2) وفي محل آخر: إن كنت أنا أبًا فأين كرامتي وإن كنت سيدًا فأين مهايتي (ملاخيا ص1ع6).

خامسًا ما أعظم الإحسان الذي من الله علينا بوضعهِ الشريعة

ذلك التفكر يستهم المؤمنين لا على حفظ وصايا الله فقط بل على أسدآ. جزيل الشكر أيضَا لهُ تعالى على إعلانه لنا إرادته الإلهية المتوط بهِ أمر خلاصنا ولذلك لما أعلنت الأسفار الإلهية مرات عديدة هذا الإحسان العظيم أوعزت إلى الشعب بأن يعرف مقامه وإحسان الله إليهِ كما في تثنية الاشتراع حيث قال فأحفظوها وعلموا بها فإنها حكمتكم وفهمكم لدى عيون الامم الذين اذا سمعوا بهذا الرسوم يقولون لا جرم أن هذا الشعب العظيم هو شعب حكيم فهيم (تثنية ص4ع6) وفي المزامير: لم يصنع هكذا إلى أمة من الأمم ولم يعرفوا أحكامه (مزمور147)

سادسًا لماذا أراد الله في القديم أن يسلم شريعته إلى الإسرائليين بجبروت وجلال عظيمين

أن الرعاة اذا بينوا من نصوص الأسفار الإلهية كيفية اعطاء الشريعة للاسرائليين يدرك المؤمنون بكم من التقوى والخشوع يلزمهم أن يحترموا ويوقروا الشريعة التي نالوها من الله فقبل أن أعطيت بثلاثة أيام قبل للجميع عن أمر الله أن يغسلوا ثيابهم ولا يقربوا نساءهم كي يكونوا على أحسن استعداد وأوقر قداسة ويحضروا اليوم الثالث ثم حين قربوا من الجبل حيث كان الرب مزمعاًا أن يعطيهم الشريعة على يد موسى قبل لموسى وحده أن يصعد إلى الجبل حيث أتى الله بعزة وجلال عظيمين

(429)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وغشت ذاك المكان البروق والوعود والنار والغمام الحالك واحد يخاطب موسى واعطاه الشريعة والوصايا. وما قصدت الحكمة الإلهية بهذه التجلة الباهرة إلاَّ أن تتبهنا إلى أن نقبل شريعة الله بالطهارة وتواضع القلب وأننا اذا تهاونا بحفظها سيدركنا ما اعدّه العدل الإلهي من العقاب

سابعًا كيف أن الشريعة التي يثبت بين دواعي المخاوف والرعبات يمكن الناس أن يعلموا بها وأن ما من شئ أدعي منها إلى محبة الله

على الراعي أن يبين أيضًا أن أوامر السنة ونواهيها غير صعبة كما أثبت المجمع التريدنتيني في الجلسة2 عن التبرير في الفصل 11 منها ثم في القانون 12و19و20 ولنا بيان ذلك من برهان القديس اغوسطينوس القائل: قل لي يا هذا كيف تقول أن الإنسان لا يمكننا أن يحب. هلا يمكنهُ أن يحب خالقه المحسن إليهِ أباه الودود ثم إلا يمكنه أن يحب طبيعته نفسها في شخص أخوته والحال الكتاب يقول أن من يحب قريبه قد أكمل الناموس. ولهذا قد شهد يوحنا الرسول شهادة صريحةً أن الوصايا ليست بثقيلة بنعمة الله (يوحنا ص5ع3) فلم يكن ممكنًا أن يطلب من الإنسان شئ أعدل وأجل وأقود منها صرَّح القديس برنردوس. ولذلك قد أنذهل القديس اغوسطينوس رأفة الله وهتف نحوه قائلاً: من انا يارب حتى تأمرني بأن أحبك وإن لم أحبك تغتاظ عليَّ وتتوعدني بعذاب أليم العلّ عدم حبيّ اياك تعاسة قليلة وإن اعتذر أحد عن قلة محبتهِ لله بداعي ضعف الطبيعة

(430)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فليعلم أن الله الطالب المحبة قد افاض قوة المحبة في قلوبنا بالروح القدس (رومية ص5ع5) فإن الأب يمنح هذا الروح الصالح لمن يسالهُ (لوقا ص11ع13) فيحق قد طلب القديس اوغوسطينوس من الله قائلا أعطِ ما تامر بما يشاء (في الكتاب العاشر من اعترافاته في الفصل 29و36و37). فحيث قد أعدّ عونًا لا سيما بعد موت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي بهِ القى أركون هذا العالم خارجًا لم بعد لأحد داعٍ للهلع من صعوبةٍ لأن ليس للمحب أمر عسير كما قال القديس اغوسطينوس في تفسيره المزمور12.

ثامنًا هل يلتزم جميع الناس ضرورةً بحفظ السنة

ثم يفيدنا كثيرًا أن نبين بيانًا مقنعًا التزام الجميع بطاعة السنة من باب الضرورة لا سيما في هذه الأزمنة حيث لا يخلو الامر من قوم لم يرهبوا أن يزعموا زعمًا كافرًا عائدًا إلى ضررهم. أن السنة سهلة كانت أو عسيرة ليست بلازمة للخلاص خلافًا لما قرره المجمع التريدنتيني المقدس في الجلسة6 في الفصل 10و11و18و19 منها. فعلى الراعي أن يفتد هذا القول الأثيم النفاقي بنصوص الأسفار الإلهية ولا سيما نص الرسول المصطفى نفسه الذي يحاول أولئك الدفاع عن كفرهم بكلامهِ. ترى ما قال الرسول لعمرك أنهُ يقول: ليس الختان بشئ ولا الغرلة بشئ بل حفظ وصايا الله (1قور ص7ع19). وفي محل آخر عادود هذا القول مضيفًا إليهِ: والخليقة الجديدة بالمسيح (غلاطية ص7ع15) مشيرًا اشارة صريحة بالخليقة الجديدة بالمسيح إلى من يحفظ وصايا الله

(431)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لأن ربنا يقول: من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي (يوحنا ص14ع21) وفي محل آخر يقول: من يحبني يحفظ كلمتي (ع23) لأن الإنسان ولو أمكنهُ أن يتبرر وينقل من حالة الإثم إلى حالة البرارة قبل أن يتم كل وصية من وصايا الناموس بأفعال خارجة مع ذلك لا يمكن مَن بلغ سن الرشد أن ينتقل من حالة الإثم إلى حالة البرارة ما لم يكن مستعدًا في قلبهِ إلى أن يحفظ جميع وصايا الله

تاسعًا ما يحبني من أثمار الفوائد من يحفظ الشريعة الإلهية

فيجب على الراعي كي لا يفوته شئ مما يغري بهِ الشعب المؤمن بحفظ الشريعة أن يبين ما في حفظها من أثمار الفوائد الغريزة الشهية ويتوفر لهُ هذا البيان مما ورد في المزمور الثامن عشر لأن فيهِ يذكرمدائح الله ومن جكلتها هذا المديح الأعظم المعبر السماوية نفسها بجمالها وكمالها التي تعبث بالامم ولو وحشية. إلى الانذهال من عظمتها وتدعوهم إلى معرفة مجد مبدع الموجودات كلها وحكمته وقدرته (رومية ص1ع20) لأن شريعة الرب كاملة ترد النفوس وشهادة الرب صادقة تحكم الغبي (مزمور18ع8) لأننا اذ نعرف سبل الله وإرادته القدوسة بواسطة الشريعة تقوّم خطواتنا في سبل الرب (أيوب ص18ع28) لأن الخائفين الله وحدهم حكماء حقًا وقد أردف النبي كلامه بقولهِ شريعة الرب تعلم الصغار الحكمة ومن ثم أن الذين يحفظون شريعة الله يرتعون في هذه الحياة والآخرة برياض الأفراح الحقة ومعرفة الأسرار الإلهية ثم يفيض اللذات

(432)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وعظيم المجازاة.

عاشرًا كما أن المخلوقات جميعها تصنع مشية الله فبكل عدل وجب على الإنسان أن يطيع هذه المشية الإلهية

يجب علينا أن نحفظ السنة لا لفائدتنا فقط بل لإكرامه تعالى الذي أظهر للناس بواسطتها إرادته الإهلية. فلما كانت جميع المخلوقات خاضعة لها فمن بابا أولى وأحرى وجب على الإنسان أن يخضع لها ولا يفوتنا أن الله سبحانه أعلن لنا بها رأفته نحونا وغنى جودته العظيمة لأننا اذ كنا ملتزمين أن نخدم جلاله بدون مكأفاة مع ذلك أراد أن يجمع بين مجده وفائدتنا بحيث أن ما ينتفع بهِ الإنسان يتمجدبهِ الله فعلى الراعي اذن أن يعلم المؤمنين هذا الامر الخطير الجلل وهو ما أشار إليهِ النبي داود بقولهِ: وفي حفظها ثواب عظيم (مزمور18ع12) فلم يعدنا فقط تلك البركات العائدة إلى سعادة الدنيا كي نكون مباركين في المدينة مباركين في الحقل (تثنية ص28) بل بذاك الأجر العظيم في السماء الذي نعطاء كيلاً صالحًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا في أحضاننا (لوقا ص6ع38) الذي نستحقهُ بعون الرحمة الإلهية لأجل أعمالنا المفعولة بالبرّ والتقوى.

الحادي عشر كيف شريعة موسى تلزم البشر في جميع إعصارهم وباي معرض يُثبت على الإسرائليين

أن هذه الشريعة ولو أعطاها الرب لليهود على جبل سينا (خروج ص19ع20) مع ذلك كانت من قبل بزمان طويل

(432)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مكتوبة ومطبوعة في قلوب الجميع وعقولهم واراد الله أن جميع الناس يمتثلونها دائمًا ولذلك فإن الرعاة يأتون المؤمنين بكبير فائدة اذا شرحوا لهم العبارات التي بها أعلن موسى خادم الله وكلميه السنة للشعب الإسرائيلي وأوردوا لهم تاريخ هذا الشعب الموعب أسرارًا فعلى الرعاة اذًا انم يعلموا المؤمنين أن الله منذ البدء اختار من جميع الأمم التي تحت السماء أمةً واحدةً من نسل ابراهيم وأراد أن يكون ابراهيم غريبًا في أرض كنعان (تثنية ص4ع27) التي وعده بأن يملكه اياها ومع ذلك قد استمر هو ونسله أكثر من أربعمائة سنة غرباء بين الأمم قبل أن سكنوا أرض الميعاد على أنهُ تعالى لم يتخلى عنهم قط في غربتهم فساروا من أمة إلى امة ومن مملكة إلى شعب آخر ولم يسمح الله سبحانهُ بأن يدركهم أدنى ظلم لا بل قرض الملوك الذين كانوا يظلمونهم (تكوي ص20ع3 وص37ع28) ثم قبل أن ينحدروا إلى أرض مصر أرسل اليها رجلاً أنقذهم والمصريين بحكمتهِ من هلكة الجوع وقد شملهم في مصر برأفتهِ حتى نموا نموًّا عجيبًا على عهد الملك فرعون عدّوهم العامل في هلاكهم ولما بالغ في تعنيفهم وظلمهم ومعاملتهم بأشد القسوة كالعبيد أقام الله لهم موسى ديديانًا أخرجهم من مصر بذراع قديرة وقد ذكر الرب هذا الخلاص خاصة في بداية السنة اذ قال: انا هو الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية.

الثاني عشر ترى لماذا اتار الله اليهود لهُ شعبًا

قد تقدم أن الله قد اختار من بين الأمم كلها أمةً واحدة دعاها

(434)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

شعبه وأقامها على معرفته وعبادته (تثنية ص7ع7) لا لأنها أكثر عددًا أو أوفر برًا كما أبان الله للعبرانيين بل لأنهُ هكذا أراد لكي يغني وينميي هذه الأمة الفقيرة ويعلن بها قدرته وجودته بأوفر بيان وأجمل بهاء عند الجميع البشر. فلما كان أولئك الناس على مثل تلك الحالة من الذل والاضطراب لزمهم الله واجبهم (تثنية ص10ع15) حتى أنهُ مع كونه رب السماء والأرض قد تنازل إلى أن يدعى إلههم ويغير باقي الأمم غلى أن يقبلوا إلى عبادة الله الحق لدى نظرهم سعادة الإسرائليين كما شهد أيضًا رسول الأمم أنهُ بالسعادة الموضوعة للأمم وبمعرفة الله الحق التي فقههم بها يحرش إلى الغيرة الذين هم من دمهِ (رومة ص11ع14)

الثالث عشر لماذا عنف العبرانيون كثيرًا وفي زمان طويل قبل أن ينالوا الشريعة

على الراعي أن يعلم المؤمنين أن الله قد سمح أن الأباء العبرانيين يتغربون زمانًاطويلاً وأن ذريتهم أيضًا تعنف وتتعذب تحت نير عبودية قاسية جدًّا كي نتعلم من ذلك أننا لا نصير خلان الله ما لم نكن أعداء العالم وغرباء في الأرض وهكذا اذا افترقنا عن العالم نتقرب إلى الله على أيسر منوال واذ ننقطع إلى عبادته تعالى ندرك كم تفوق سعادة من يعبدون الله سعادة من يخدمون العالم وأن الأسفار الإلهية قد عبرت لنا عن هذا الامر بقولها: بل اجعلهم عبيدًا لسباق ملك مصر حتى يعرفوا فرق التعبد لي من التعبد لممكلة الأرض (أيام ص8ع12) ثم يلزم الراعي أن يبين أن الله عزّ وجلّ أنجز وعوده للإسرائليين بعد

(435)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أربعماية سنة ونصف كي يتغذى ذاك الشعب بالإيمان والرجاء لأن الله يريد أن خاصتهُ يتعلقون بهِ على الدوام وأن يجعلوا كل رجاهم في جودته الإلهية كما سنقول في شرح الوصية الأولى من الوصايا العشر

الرابع عشر لماذا أعطيت الشريعة في مكان وزمان معينين

على الراعي أيضًا أن يبين الزامن والمكان اللذين فيهما قبل الشعب الإسرائيلي الشريعة من الله وذلك لدى خروهِ من أرض مصر واتبانه البرية كي يكون مغزي بذكر احسان الله الجديد ومرتعدًا بقفر المكان المئردد فيهِ فيزداد تأهبًا لقبول الشريعة لأن الناس يتقيدون خاصةً بأولئك الذين نالوا منهم فضلاً وإحسانًا ويلوزون بعونهِ تعالى متى رأَوا ذواتهم مقطوعين من كل رجاء بشري فمن ثم نرى أن المؤمنين ينعكفون أعظم انعكاف إلى الهذيذ بالتعليم السماوي بقدر ما يزدادون تجردًا عن غرور العالم وعن الملاذ الجسدية كما قال النبي اشعيا: من يعلمه العلم أو من يفهمُ السماع المفطومين عن الثدي (ص20ع9).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(436)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثاني

في الوصية الأولى من الوصايا العشر

أنا هو الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية (خروج ص20ع2)

أولاً ما المقصود من هذه الأية وما تتضمنهُ من الأسرار يلزم الراعي أن يعتني جهده في أن يرسخ دائمًا في قلوب المؤمنين هذه الآية الكريمة: أنا هو الرب الهك (خروج ص20ع2) وأن يفهموا منها ان صاحب السنة انما هو الخالق الذي خلقهم ويحفظهم في حيز الوجود وبحق لهم أن يقوموا مع النبيدواد: هو الرب إلهنا ونحن شعبه وغن رعيتهِ (مزمور 94ع7) فبهذا الكلام تنبيه شديد حثيث يزيد المؤمنين تأهبًا لحفظ الشريعة والابتعاد عن الماثم. وأما قولهُ التالي: الي أخرجتك من أرض مصر من بيت العبودية فإنهُ وأن استبان أنهُ يطلق فقط على اليهود الذين نجوا من عبودية المصريين مهع ذلك اذا اعتبرنا معناه الباطن نظرًا إلى الخلاص العام يطلق من باب أولى على المسحيين الذين أنقذهم الله لا من عبودية مصر بل من مصر الخطية وسلطان الظلمة وأحلهم في ملكوت أبناء مودته (قور ص1ع12) فلما كان النبي ارميا ينظر إلى هذا الإحسان العظيم بعين النبوة هتف قائلاً: ها أنها تأتي أيام بقول الرب لا يقال فيها من بعد حيٌّ الرب الذي أخرج بني اسرائيل من أرض مصر بل حيٌّ الذي أخرج بني اسرئيل من

(437)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أرض الشمال ومن جميع الأراضي التي القيتهم اليها وأبعدهم إلى أرضهم التي أعطيتها لابآئهم ها أنا مرسل قناصين كثيرين يقول الرب فيقنصوبهم (ارميا ص16ع14و15و16) لأن الأب الأزلي الكثير الرحمة والرأفة قد جمع باِبنه البنين المبددين إلى واحد (يوحنا ص11ع25) حتى لا نكون بعد عبيدًا للخطية بل للبر. (رومية ص6ع2) فنعبده بلا خوف بالقداسة والبر جميع أيام حياتنا (لوقا ص1ع74و75)

ثانيًا ما الاستعداد المترتب على المؤمنين من قبيل فاتحة الوصايا العشر هذه

يجب على المؤمنين أن يقاموا جميع التجارب يترس تعليم الرسل المصطفى القائل فيه: أننا اذ قد متنا للخطية كيف نحبا أيضًا بها (رومية ص2ع8) لأننا لم نعد نحن لأنفسنا بل للذي مات عنا وانبعث لأنهُ ربنا وغلهنا الذي اقتنانا بدمهِ (2قور ص15ع15) فكيف نقدر أن نخطي ضد ربنا وإلهنا ونصلبهُ ثانيةً (عبرا ص6ع6) فإذا لكي نكون أحرارًا حقًا لزمنا أن نثبت على الحرية التي متعنا بها المسيح حت بعد أن جلعنا أعضانًا عبيدًا للخطية نجعلها صسلا بر لله (رومية ص6ع12)

لا يكن لك ألهة أخرى تجاهي

ثالثًا مذا تتضمن هذه الوصية الأولى من الأمر والنهي

يجب على الرعاة أن يعلموا أن الوصايا العشر تحتوي أولاً ما يتعلق بالله وثانيًا ما يختص بالقريب لأن الله سبحانهُ هو علة ما نؤديه للقريب

(438)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من المحبة والمواساة لأننا نحب القريب من قبل وصية الله ونحبهُ لأجل الله لذلك جأت هذه الوصية مسطرة في اللوح الأول ثم أن الكلمت المرودة أعلاه تتضمن وصيتين أحداهما وصية ايجابية والأخرى سلبية لأن قولهك: لا يكن لك ألهة أخرى تجاهي: تأويله أعبدني أنا الله الحق لا تعبد آلهة أخرى غيري.

رابعًا كيف تتضمن الإيمان والرجا والمحبة في هذه الوصية

أن هذه الوصية الأولى تحتوي الإيمان والرجا والمحبة لأننا حين نقول الله نعترف أنهُ غير متحرك ولا متغير وهو دائمًا وأمين ومنزه عن الإثم ليس عنده تغير ولا ظل دوران (يعقوب ص1ع17) وهو هو وسنوه لن تفنى (مزمور101ع28) الله حق لا جور عنده هو العدل المستقيم (تثنية ص32ع4) فمن ثَّم من الضرورة نصدق أقواله ونعزي اليهِ كل صدق في قولهِ وفعلهِ ومن يتأمل قدرته الضابطة الكل ورأفته وانعطافه إلى الإحسان لا يمكنهُ الاَّ أن يضع فيهِ كل أمالهِ واذا شاهدنا غنى خيريتهِ ومحبيتهِ الذي اسبغه علينا تحتم أن نحبه. ومن ثم كثيرًا ما كان الله سبحانهُ في الكتاب المقدس يفتتح ويختتم أوامره ونواهيه بهذا الكلام: أنا الرب.

خامسًا بيان هذه الوصية من وجه كونها سلبية

الجزء الثاني من هذه الوصية لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. قد استعمل المشترع صورة هذا الكلام لا لكون الوصية لم تستوفِ بيانها بصورة الإيجاب هذه أعبدني أنا الله الواحد لأنهُ اذا كان الله فهو واحد

(439)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لكن قد زادها صراحةً بعبارة السلب من أجل عمى الكثيرين الذين كانوا في القديم يعبدون الله الحق مع ذلك يشركون معه في العبادة الهة كثيرين كما صنع كثيرون من العبرانيين الذين كان يعترضهم ايليا النبي بقوله: لماذا تعرجون على الجنبين (2 ملوك ص18ع21)وكما فعل أهل السامرة اذ كانوا يعبدون اله اسرائيل والهة الأمم (4 ملوك ص7ع27و28و29).

سادسًا كيف يجب أن تعد هذه الوصية أعظم الوصايا

يبقى أن نزيد على ما تقدم أن هذه الوصية هي أول جميع الوصايا وأعظمها لا ترتيبًا فقط بل مقامًا وجلالاً وبمقتضى العدل لأننا نلتزم من وجوه لا تحصى أن نحبه تعالى ونكرمه أكثر جدًا مما نحب السادة والملوك ونكرمهم لأنهُ هو خالقنا ومدبرنا وهو أعالنا ونحن في مستودع والداتنا ثم أوجدنا في هذا العالم ويعتني بنا ويمن علينا بكل ما يلزم لحياتنا ومعيشتنا.

سابعًا من يعد مجرمًا بتعديه هذه الوصية

يتعدّى هذه الوصية من ليس لهم إيمان ورجا ومبحة وخطيتهم عظيمة جدًا ومنهم من يتورطون في الأرطقة الذين لا يؤمنون بما تأمرهم أمنا الكنيسة المقدسة أن يؤمنوا بهِ ثم من يصدقون الأحلام ويتعاطون العرافة والشعبذة والتفاؤل والسحر والرقية وسوال الجان والتوابع واستشارة المتى (تثنية ص18ع10و11) وباقي الخرافات والاعتقادات الباطلة ثم من يأبسون من خلاصهم ولا يتكلمون على

(440)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

جودة الرحمة الإلهية. ثم من يرتاحون إلى الغنى فقط ويتكلمون على صحة الجسد والقوى الطبيعية وقد شرح هذه كلها باسهاب من كتبوا في الخطايا والرذائل.

ثامنًا لا يضاد هذه الوصية يقدم للقديسين من الإكرام بحسب الإصطلاح المقبول في الكنيسة

ينبغي على الرعاة أن يعلموا في شرحهم هذه الوصية أن إكرام واستشفاع الملائكة والقديسين والنفوس الطوباوية المتمتعة بالمجد السماوي والتركيم أيضًا الذي تقدمهُ دائمًا الكنيسة الكاثوليكية لأجسادهم ورفاتهم لا يطعن بهذه الوصية كما يشهد بذلك المجمع السابع والقديس اغوسطينوس في كتابه7 عن مدينة الله في الفصل 27 منه وفي كتابه10 في الفصل الأول منهِ ثم في الفصل21 من كتابه21 دحضًا لفوستينوس ومثله القديس باسيليوس في خطبته 20 على الأربعين شاهدًا وفي عظة 26 على القديس الشهيد ماما ومثله القديس غريغوريوس في مقالته التي مدح بها القديس كيرنانوس وغيرهم كثيرون من الآباء القديسين. لأنهُ ما من أحد يتوغل إلى هذا الحد من الجهل والحماقة حتى يخال بفكره أن الملك اذا نهى عن أن أحدًا يجعل نفسه ملكًا عوضه أو يتطاول على كرامة الملك وشرفه لا يريد أن يكرم أهل دولته وبطانته تكريمًا يليق بشأنهم ولو قيل أن المسيحيين يسجدون للملائكة على مثال قديسي العهد القديم فإنهم لا يؤدون لهم ذات الإكرام الذي يؤدونه لله واذا قرأنا أن الملائكة أبوا أحيانًا

(441)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أن يسجد الناس لهم يفهم أنهم أبوا أن يكرموا ذاك التكريم المتوجبة وحده.

تاسعًا كيف يتبين من الأسفار الإلهية أن تكريم الملائكة جائز

أن الروح القدس الذي قال: لله الواحد الذي لا يموت ولا يرى الكرامة والمجد (تيمو ص1ع17) هو نفسه يأمرنا بأن نكرم الوالدين والشيوخ: أكرم أباك وأمك كي يطول عمرك في الأرض (خروج ص20ع 12) قم قدام الأشيب وكرم وجه الشيخ (أحبار ص19ع32) ثم أن الرجال القديسين الذين كانوا يعبدون الله الواحد مع ذلك كانوا يكرمون ملوك الأرض ويسجدون أمامهم صاغرين كما رود الأسفار الإلهية. فإن كان الملوك الذين يسوس الله العالم بهم يكرمون مثل هذا التكريم العظيم أفلا تستوجب كرامة أعظم من كرامة الملوك تلك الأرواح الملائكية الذين أقامهم الله على خدمته ويستخدمهم لا في تدبير كنيسته فقط بل في إدارة باقي الأشياء أيضًا وينقذونا بمعونتهم من أهوال أخطار النفس والجسد ولو احتجبوا عن أبصارنا لا سيما أنهم جواهر عقلية يفوقون الملوك أنفسهم وجلالاً فضلاً عما يحفوننا بهِ من أعظم المحبة التي تحملهم على حراسة الممالك والمقاطعات التي ينولونها ويقدمون الصلوات عنها كما ذكرت الأسفار الإلهية منها سفر دانيال اذ جاء فيهِ من كلام هذا النبي: وقد قاومني رئيس مملكة فارس واحدًا وعشرين يومًا لنصرتي ميخائيل أحد الرؤساء الأولين (دانيال ص10ع12) ويفيضون بالصلوات لأجلنا ولا

(442)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

شك أنهم يأتون أيضًا أولئك الذين تقلدوا حراستهم كما عملوا مع طوبيا البار (ص3ع20و18) لأنهم يقدمون لله صلواتنا وعبراتنا ولذلك قد نهى الرب عن احتقار الصغار لكون ملائكتهم يشاهدون دائمًا في السماء وجه أبيه الذي في السما (متى ص18ع9).

عاشرًا أن الاستغاثة بالملائكة القديسين من الحقائق المثبوتة في الكتاب المقدس

أننا نستغيث بالملائكة القديسين لأنهم يشاهدون الله ويأخذون على عاتقهم بتمام الرضى والاختبار المحاماة عن خلاصنا الموكولة اليهم ولنا بينات من الكتاب المقدس على هذه الاستغاثة. فإن يعقوب اسرائيل لما صارع الملك طلب اليهِ أن يباركه لا بل أنهُ أجبره على هذه البركة اذ قال لهُ لا أتركك حتى تباركني (تكوين ص48ع16) ولم يلتمس هذه البركة لهُ من الملك الذي شاهده بل أيضًا من ملك لم ينظره اذ قال: أن الملك الذي خلصني من كل سء فهم يبارك هذين الغلامين

الحادي عشر أن الاسغاثة بالقديسين وتكريم ذخائرهم لا يخل في شئ من كرامة الله

يتلخص مما تقدم أن تكريم القديسين الذين رقدوا بالرب واستشفاعهم وتوقير ذخائرهم ورفاتهم لا ينقص شيئًا من مجد الله بل يزيده كثيرًا لكونه يزيد الرجا انتعاشًا وتوطدًا في قلوب البشر ويحضهم على اقتفاء أثر القديسين وذلك ثابت من المجمع النيقاوي الثاني في الجلسة 6منهُ ومن مجمع كنغرا في القانون20 منهُ ومن المجمع التريدنتيني

(443)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ونصوص الأباء القديسين.

الثاني عشر بأية حجج خاصةً الاستغاثة بالقديسين

يجب على الراعي كي يكون متضلعًا في تفنيد مذهب المضادين لهذه الحقيقة أن يطالع كتب القديس ايرونيموس في دحض فيجيلنسيوس ولا سيما مرلفات القديس يوحنا الدمشقي ويضيف إلى حجمها العادة المأخوذة عن الرسل والجارية والمرعية دائمًا في بيعة الله كما أثبت المجمع التريدنتيني في الجلسة 13 منه ثم المجمع الخلقيدوني وهل يطلب برهان أقوى واوضح من شهادة الأسفار المقدسة التي تطلب في مدح القديسين إلى حد ما يقضي بالعجب لأننا نقرأَ في الكتاب المقدس نشائد يؤدون لهم عزيز الإكرام فضلاً عن أننا نلتزم بتكريم القديسين والاستغاثة بهم بأولى حجة لأجل هذا السبب وهو أنهم يصلون على الدوام لأجل خلاصنا وأن الله سبحانهُ يولينا احسانات كثيرة باستحقاقهم ولإكرامهم فإن كان كما قال ربنا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب (لوقا ص15ع7) فلا بد أيضًا من أن سكان السماء مع الله اذا التجينا اليهم.

الثالث عشر ينبين أن استشفاع القديسين لا يصدر عن عدم الثقة بالعون الإلهي وعن صعف ايماننا

ان قال البعض أن الالتجاء إلى القديسين هو لغو لأنهُ تعالى

(444)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يتقبل صلواتنا بدون ترجمان فللراعي أن يفتد القول النفاقي بما قالهُ القديس اغوسطينوس من أن الله سبحانهُ لا يمنحنا أشياء كثيرة الاَّ على يد وسيط وشفيع ومثلهُ قال القديس امبروسيوس في كتابه عن دعوة الأمم في الفصل 10 منهُ والقديس غريغوريوس البابا في الفصل 8 من كتابه الأول الذي الفه على صورة سؤال وجواب فيما بين غريغوريوس وبطرس ولنا أيضًا دلائل قاطعة على صحة قولنا وبطلان اعتراض المعترض مما توقع لا بيمالك اذ شفاء الله من دئاه على صلاة ابراهيم (تكوين ص20ع17) ولأصحاب أيوب اذ قال الله لهم: والأن فخذوا لكم سبعة ثيران وسبعة كباش واصعدوا محرقةً عنكم وعبدي أيوب يصلي من أجلكم فإني أرفع وجههُ لئلا أعاملكم بحسب حماقتكم (أيوب ص42ع8) وأن زعم المعترض أيضًا أن الالتجاء إلى القديسين دليل ضعف الايمان وقلة الثقة بالعون الإلهي فالجواب عند قائد المائة الذي قال فيهِمخلصنا أنهُ لم يجد مثل ايمانهِ حتى في اسرائيل مع ذلك قد بعث إلى المخلص شيوخ اليهود بترجونهُ أن يأتي ويخلص فتاه من المرض.

الرابع عشر أن التعليم بوحدانية الوسيط المسيح لا ينبغي شفاعة القديسين

نعم أن الوسيط بين الله والناس واحد وهو يسوع المسيح الذي وحده صالحنا بدمه مع الأب السماوي (تيمو ص2ع5 ورومية ص5ع10) والذي قادران أن يخلص على الدوام الذين

(445)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بتقربون بهِ إلى الله اذ هو حي كل حين يشفع فيهم (عبرا ص7ع25) إلا أنهُ لا يمكن قطعًا أن ينتج من ذلك أن الالتجاء إلى القديسين غير جائز لأنهُ لو كان محرمًا علينا طلب المدد من القديسين لما كان الرسول المصطفى طلب بكل اجتهاد موازرة الدعاء من المؤمنين الأحياء قائلاً لهم: أساء لكم يا إخواتي بسيدنا يسوع المسيح وبمحبة الروح القدس أن تعينوني في صلواتكم عني إلى الله (رومية ص15ع20) لأن صلوات الأحياء لا تنقض من مجد الوسيط المسيح ومقامهِ أقل من صلوات القديسين في السماء.

الخامس عشر كيف تثبت قوة الذخائر وكيف يتبين قدرها وفاعليتها

ترى من لا يتحقق وجوب الإكرام للقديسين والالتجاء إلى ما اتخذوه لأجلنا من الحماية وكثيرون سمعوا وطالعوا ما روته عنهم شهود شقاة وعيان كالقديسين امبروسيوس واغوسطينوس الجليلين من اجتراح الآيات المعجزة على مدافنهم كا عإدة البصر للعمي ورد الأيدي للقطع وباقي الأعضاء المقطوعة للأجسام والحياة والموتى وطرد الشياطين من المعترين ثم اذا كانت ملابس القديسين وأزرهم وظل أجسادهم قبل انتقالهم من الحيوة كان يشفي المرضى ويعيد القوى إلى الضعفاء كما ذكر في سفر الملوك (ص2ع14 وفي الأبركسيس ص19ع12 وص5ع15) فهل من ينكر أن الله سبحانهُ يعمل مثل المعجزات برفاتهم وعظامهم وباقي ذخائرهم وقد شهدت لنا بذلك تلك الجثة التي وضعت على غير قصد في قبر اليشع النبي فحالما مست جسد النبي عادت إلى

(446)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحياة (4ملوك ص13ع21).

السادس عشر أن الكلمات التالية لا يقوم بها وصية أخرى ثانية بل وصية واحدة مع الكلام المتقدم

أن هذه الكلمات التالية: لا تصنع لك منحوتًا ولا صورة ما شئ مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من اسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض ولا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ (خروج ص20 ع4و5) عدَّها البعض وصية أخرى ثانية جامعين الوصيتين الأخيرتين إلى وصية واحدة والحال أن القديس أغوسطينوس قد فصل الوصيتين الأخيريتن ورأَى أنم هذه الكلمات تختص بالوصية الأولى وهذا القول المصيب ونحن نمشي عليه لأنهُ مقبول ومعول عليهِ فيالكنيسة وعدنا أيضًا برهان سديد على ذلك وهوانهُ من الموافق أن يختص بالوصية نفسها ما يترتب من الثواب والعقاب على من يحفظها أو يخالفها.

السابع عشر إن استعمال الصور الجاري في الكنيسة لا يضاد هذه الوصية

فلا يخطرنَّ على بال أحد هذه الوصية تحرم صناعة التصوير سواء كان بالألوان أو بالنقش أو بمادة أخرى على حجر أو شمع أو خشب أو قماش أو نحاس وما شاكل ذلك من التماثيل لأننا قرأنا في التوارة أن الله سبحانهُ أمر بعمل صورة وتماثيل زنصبها في تابوت الشهادة اذ قال: واصنع كروبين من ذهب صنعة ظرف تصنعها على طرفي الغشاء تصنع كروبًا على هذا الطرف وكروبًا على ذاك الطرف من الغشاء تصنع

(447)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكروبين على طرفيه ويكون الكرويان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما عل الغشاء وأوجههما الواحد على الآخر وإلى الغشاء تكون أوجههما (خروج ص25ع19و20) وأمر أيضًا بعمل تمثال حبة من نحاس ونصبها في البرية كي ينظر إليها كل من لذعتهُ الحية فيشفي (عدد ص21ع8) فصح اذن أن عمل الصور والتماثيل واتخاذها لم يكن محرمًا بالإطلاق بل انما حرّم أنها لإتخاذها آلهة دون الله كما يصنع الوثنيون عبدة الأصنام.

الثامن عشر بكم نوع يفتري على العزة الإلهية بواسطة الصور

يمكن أن يغيظ الناس العزة الإلهية على نوعين خاصة بالنظر إلى هذه الوصية. أولاً اذا عبدوا الصنم والصور بمنزلة الله أو اعتقدوا أن فيها ألوهية أو قوة ولأجلها يحق لها أن تعبد أو يلتمسون منه شيئًا أو يلقون إليها اتكالهم ورجاهم كما كانت تصنع الامم في القديم الذين كانوا يجعلون رجاهم في الأصنام كما ذكرت ذلك الأسفار الإلهية وعابتهُ في أماكن شتى (اشعيا ص10ع10و11 وص40ع18و19 حكمة ص12ع16و17 مزمور112 ع8 تثنية ص4ع16و17 اشعيا ص40ع80) ثانيًا اذا حاول الإنسان أن يشخص الله بهيئة ما كانهُ ينظر بأعين جسدية أو يمكن أن يصور بألوان أو هيئات. قال القديس يوحنا الدمشقي: من يستطيع أن يشخص الله الذي لا يقع تحت النظر وهو مجرد من الجسد ولا يحصرهحد ولا يمكن رسمهُ بصورة ما. (أه) وقد أتى المجمع النيقاوي الثاني ببيان هذه الحقيقة بالإسهاب.

(448)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وقد أصاب الرسول المصطفى بقولهِ في عبدوة الأوثان أنهم: استبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد وطيور وذوات أربع وزحافات (رومية ص1ع23) فإنهم كانوا يصنعون هذه الصورة ينصبونها في هياكلهم ويعبدونها نظير الله ولهذا لما كان الإسرائيليون يهتفون أمام صنم العجل قائلين: هذه الهتك يا اسرائيل الذين أخرجوك من أرض مصر سموا وثنيين لأنهم استبدلوا مجد الله بشكل ثورًا كل خشب (مزمور105ع20).

التاسع عشر ما معنى القسم الاخير من هذه الوصية

بعد أن نهى الله عن العبادة الآلهة غريبة حرّم أيضًا أن ترسم صورة الألوهية على نحاس مسكوب أة على مادة أخرى من المواد استئصالاً لجرثومة الوثنية وقد أعلن ذلك اشعيا النبي بقوله: فبمن تشبهون الله وأي شبه تعادلونهِ بهِ (اشعيا ص40ع18) فيستدل أن هذا القول متضمن في هذه الوصية من كتابات الآباء القديسين الذين تأوَّلوه بهذا المعنى كما في المجمع المسكوني السابع وقد عبرت عنهُ تعبيرًا صريحًا كلمات تثنية الاشتراع حيث لما عمد موسى إلى ردَّ الشعب عن الوثنية قال لهم: فاحتفظوا لأنفسكم جدًا أنكم لم تروا صورة في خطاب الرب لكم في حوريب من وسط النار (تثنية ص4ع15) وهذا قالهُ المشترع الحكيم تحذيرًا من أن يضلوا ويصوروا الألوهية ويقدموا للخليقة الإكرام المتوجب لله.

(449)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العشرون أن الذين يصورون أقانيم الثالوث الأقدس لا يتعدون هذه الوصية

لا يخالنَّ في بال أحد بداعي ما تقدم أن الذين يصورون أقنومًا من أقانيم الثالوث الأقدس ببعض علامات ظهر بها في العهد القديم والعهد الجديد (تكوين ص18ع3 خروج ص22ع23) الله اذ ما من أحد بلغ إلى هذه الدرجة من الجهل والغباوة حتى يعتقد أن اللاهوت مرسوم بهذه الصورة بل على الراعي أن يعلم المؤمنين أن هذه الصور تشير إلى بعض صفات أو أعمال تعزي اليهِ تعالى كما صوره دانيال النبي قديم الأيام مستويًا على العرش والأسفار أمامهُ مفتوحة دلالةً على أزلية الله وحكمتهِ الغير امتناهية التي بها يعاين جميع أفكار البشر وأعمالهم كي يبث فيهم حكم عدلهِ (دانيال ص4ع15).

الحادي والعشرون كيف تصور الملائكة

إن الملائكة يصورون أيضًا بشكل انسان ولهو أجنحة كي يفهم المؤمنون شدة انعطافهم إلى النوعالبشري واستعدادهم إلى قضاء أوامر الرب بدليل قول الرسول المصطفى: إن جميعهم أرواح خادمة ترسل للخدمة من أجل الذيت يرثون الخلاص (عبر ص1ع14)

الثاني والعشرون في أن الروح القدس يصور بشكل حمامة

أن الروح القدس يمثل في الإنجيل بشكل حمامة (متى ص2ع16) وفي الأبركسيس بصورة السنة نارية (ص2ع2) دلالة على بعض

(450)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

صفات للروح القدس وشهرتها تغني عن التطويل في شرحها.

الثالث والعشرون ينبغي أن تصور صورة المسيح والقديسين وتكرم لم تحرّم هذه الوصية تصوير المسيح الرب لهُ المجد وأمه الكلية القداسة والطهارة وباقي القديسين الذين كانوا بشرًا لا بل أن تصويرهم عُدَّ في كل حين أمرًا مقدسًا وبرهانًا وثيقًا على اعتبارنا لهم وامتناننا نفضلهم وأثبتته الأثار من عهد الرسل والمجامع المسكونية ونصوص الآباء العلماء الكرام باتفاق الكلمة.

الرابع والعشرون ما هو استعمال الصور الجائز في الكنيسة

على راعي النفوس أن يبين أن نصب الصور في الكنيسة وتكريمها ليس جائزًا فقط لكون الإكرام الذي يؤدي لها عائدًا إلى الحقيقة بل ان يبلغ المؤمنين أيضًا أن ذلك يعود عليهم بأعظم الخير كما شهد القديس يوحنا الدمشقي في كتابه الذي ألفه في الصور والمجامع السابع وهو النيقاوي الثاني. غير ان عدو الجنس البشري دابهُ أن يبذل جهده بجيله ومكره في افساد كل رسم مقدس ولذلك اذا اتفق أن يضل الشعب في هذه المادة يجب على الراعي أن يصلحهُ ويتبع ما أمكنه مرسوم المجمع التريدنتيني ويفسره للشعب ويعلم الأميين الذي يجهلون رسم هذه الصور نفسها أن الصور قد صنعت لأج معرفة أخبار العهدين القديم والحديث أو لتجديد ذكرها حتى اذا ما تنبهنا بذكر الأشياء الآلهة نضطرم حماسة بعبادة الله ومحبتهِ ويبين أن الصور قد وضعت في الهياكل تتكرم وتستهمنا بنموذج أصحابها إلى أن نماثلهم بسيرتنا وأدابنا ثم قال الله في أثناء

(451)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

هذه الوصية ما يأتي:

لأني أنا الرب الهك الهٌ غيور افتقد ذنوب الأباء في البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع رحمةُ إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي (خروج ص2ع5و6).

الخامس والعشرون أن هذا الملحق لا يختص فقط بالوصية الأولى بل بباقي الوصايا أيضًا

ينبغي أن نلاحظ أمرين في القمس الاخير من هذه الوصية ونبينهما جليًا فالاول هو أن الوعيد بالعقاب وإن جاء محكمًا في هذا المقام بداعي التعدي الفظيع على هذه الوصية وميل الناس إلى اقترافهِ مع ذلك يعم جميع الوصايا لأنم كل وصية يغري الناس بحفظها رهبة العقاب ورغبة الثواب ومن هذا القبيل قد تكررت وتواترت وعود الله ووعيده في الأسفار الإلهية فقد ورد من ذلك ما لا يحصى في العهد القديم نضرب صفحًا عن ايراده كتفاءَ بذكر ما جاءَ في الإنجيل المقدس. قال الرب يسوع: إن شئت أن تدخل الحياة احفظ الوصايا (متى ص19ع17) ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات لكن الذي يعمل ارادة أبي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات (متى ص7ع21) وقال: كل شجرة لا تثمر ثمارًا صالحة تقطع وتلقى في النار (متى ص3ع10) ومن قولهِ: وفي محل آخر: وإن لم تغفروا للناس فلا يغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم (متى ص6ع15)

(452)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس والعشرون هل يجب أن يرسخ هذا الوعيد بالعقاب على المخالفين في قلوب الكملاء على حد سواء والأمر الثاني هو أن العقاب ينبغي أن يبلغ الكملاء والجهال بوجه مختلف جدًا لأن الكملاء الذين يتدبرون بروح الله (رومية ص 8ع14) ويطيعونُ بطيبة الخاطر وفرح القلب يتخذون أوامر الله بمنزلة رسول السرور وأقوى دليل على انعطاف الإرادة الإلهية نحوهم لأنهم يعرفون بها عظم اهتمام الله الودود بالبشر اذ يغريهم بعبادتهِ وإكرامهِ تارة بوعيد العقاب وتارة بوعد الثواب كما قال القديس أغوسطينوس في الفصل 29 من الكتاب العاشر في اعترافهِ. ويعرفون خيريتهُ نحوهم الغير المحدودة التي تأمرهم بطاعته وتصرف أعمالها في سبيل مجد اسمه الإلهي وليس يعرفون ذلك معرفة فقط بل يرجون رجاءَ وثيقًا أنهُ يوليهم كي يستطيعوا أن يطيعوه في ما يأمرهم بهِ. اما الجهال الشهوانيون الذين لم يتحرروا بعد من روح العبويدة وتردعهم عن الأثام رهبة العقاب أكثر من حب الفضيلة فيستثقلون أوامر الله ونواهيه ووعيده ويجدونها مرَّة شاقة فلذلك يجب امدادهم بالنصائح التقوية واقتيادهم باليد إلى طاعة الشريعة. فعلى الراعي أن ينحو هذا النحو كلما سنحت لهُ الفرصة لشرح وصية من وصايا الله.

السابع والعشرون ما ينبغي أن نتراوه من هذا الكلام: أنا الله القوي

قد جعل في ملحق هذه الوصية سببان كأنهما مهازان للجسديين

(453)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

والروحيين يحثان البشر خاصة على حفظ الوصية فمن الواجب أن نبذل الجهد والعناية في شرح هذا القول: أنا الله القوي لأن الجسد الذي قَّل ما يتأثر على الغالب من مخاوف الوعيد الإلهي بصورة أسبابًا يزعم أنهُ يستطيع بها أن يفرَّ من العقاب المقبض. ما من يتحقق أن الله قدير يضطر إلى أن يقول مع النبي داود: أين أذهب من روحك وأين أفرَّ من وجهك (مزمور138ع7) ومن لا يتكل على الوعود الإلهية يتوَّهم أن قوة اأعداء بالغة إلى حد أنه يعتبر ذاته قاصرًا عن مقاومتها وبالعكس من يتوكل على الله بإيمان وطيد يتقوى ويثبت وينتعش ويقول: الرب نوري وخلاصي فممن أخاف (مزمور26ع1).

الثامن والعشرون ما معنى قولهِ تعالى: أنهُ غيور

أما المهماز الثاني الذي يحث الناس على حفظ الوصايا الإلهية لنا هو غيرة الله عينها لأن الناس يتوهمون أحيانًا أن الله لا يعتني بالأمور البشرية (أيوب ص22ع13و14) ولا يهمه إن حفظنا شريعته أو لم نحفظها ومن هنا يتأتي تبليل السيرة وفسادها أما متى اعتقدنا أن الله غيور قيدنا هذا الفكر في حفظ الشريعة

التاسع والعشرون كيف ينبغي أن تعزي الغيرةُ لله

إن الغيرة التي تعزي إلهِ تعالى لا تدل على شئ من اضطراب العقل حاشا بل عن محبتهِ ومودتهِ الإلهية التي بها لا يطيق أن النفس تفترق عنهُ بدون عقاب بل يهلك من يفترقون عنه كما قال النبي داود أن الذين يتباعدون عنك يهلكون وتدمر كل من يزني منك

(454)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(مزمور72ع27) لأن غيرة الله هي عدله الكلي الهدوء والسكون الذي بهِ يدفع عنهُ النفس المفسودة بالآراء الكاذبة والشهزوات القبيحة وبقصيها عن الاقرتان بهِ كأنها زانية زنعرف غيرة الله هذه عذبة للغاية من كونها تعلن لنا ارداته الرحومة نحونا الفائقة الوصف والادراك لأن ما من حب أعظم بين البشر ولا من اتحاد أوثق من المحبة والاتحاد بين المقترنين بعقد الزواج. فقد أبان الله اذن عظم محبتهِ لنا بتسميتهِ ذاته غيورًا مرارًا تشبهًا باعلروس أو القرين. فعليهِ يجب على الراعي أن يعلم في هذه المقام أن الناس ينبغي عليهم ان يتوقوا إلى عابدتهِ تعالى وإكرامهِ حتى يصح القول فيهم عن ذاتهِ: غرت غيرةَ لرب الجنود (2ملوك ص19ع14) بل على مثال المسيح نفسهِ القائل على لسان النبي داود: غيرة بيتك أكلتني (مزمور68 ع109.

الثلاثون ما هي قضية الوعيد المقرر هنا

يجب على الراعي أن يبين أن الله سبحانه سوف ينتقم من الخطأة ويعاقبهم أما معاقبة أب لأولاده وأما معقبة ديان عادل شديد مقسط وقد أشار إلى هذا المعنى موسى النبي في محل آخر بقوله: فأعلم أن الرب الهك هو الله الاهل الأمين يحفظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه إلى الف جيل ويكافئ مبغضيه في الحال (تثنية ص7ع9) وقال يشوع بن نون: لا تستطيعون أن تعبدوا الرب أنهُ الهٌ قدوس الهٌ غيور لا يصبر على ذنوبكم وخطاياكم لأنكم اذا تركتم الرب وعبدتم ألهةً

(455)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

غريبةً يصدّ عنكم ويسئ إليكم بعد ما كان بارككم (يشوع ص24ع19و20).

الحادي والثلاثون كيف يفتقد الله ذنوب الأباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع

ينبغي أن نعلم الشعب أن الوعيد بالعقاب إلى الجيل الثالث والرابع يطلق على ذرية الناس الأثمة الفجار لا لأن الأبناء يعاقبون دائمًا بأثام أبائهم ولكن ولو أن الأباء والأبناء يعفون من العقاب مع ذلك لا تنجو ذريتهم كلها من غضب الله أو من العقاب ودليلهُ فيما جرى ليوشيا الملك لأن الله صفح عنه لتقواه الفريدة وأعطاه أن يوضع بسلام في قبر أبائه لئلا يعاين الشرور المزمعة أن تلم في الأزمنة التالية بيهوذا وأورشليم بسبب نفاق منساجده الا أنهُ بعد وفاتهِ نقمة الله ذريته ولم تعف حتى عن لولاد يوشيا (1ملوك ص22ع19 4ملوك ص21ع11 وص23ع26 الخ).

الثاني والثلاثون كيف يتفق هذا القول مع كلام النبي حزقيال

أن القديس غريغوريوس مع جميع باقي القديسين باتفاق الكلمة يبين جليًا أن كلام السنة هذا لا ينقض ما جاء من قول النبي حزقيال: النفس التي تخطاء هي تموت (ص18ع4) اذ قال: كل من يقتفي اثم أبيهِ الأثيم يتقيد أيضًا بأثم والده ومن لا يقتفي خطية والديه فلا يتحملها قطعًا ومن ثم قد يتفق أن الابن الأثيم لا يعاقب فقط على خطاياه التي زادها على خطايا أبيه بل أيضًا على خطايا والديه لأنهُ يعلم

(456)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أن أباه أغضب الله بأثامه ولا يرهب أن يضيف اليها أثمة لأن العدل يقتضي أن من لا يهاب حكم الله الديان المقسط ولا يرهب أن يسلك في طرق أبيهِالأثيم لتزم في الحياة الحاضرة أن يفي أيضًا عن خطايا أبيهِ الأثيم (أه) ثم يذكر الراعي أن جودة الله ورحمتهُ تفوقان عدلهُ لأن الله يغضب إلى الجيل الثالث والرابع. أما الرحمة فيمنحها إلى ألف جيل. الرحمة تفتخر على الدينونة (يعقوب ص2ع13).

الثالث والثلاثون كيف يفهم أن المعتدين على السنن الإلهية يبغضون الله

أن قوله تعالى الذين يبغضون يدل على جسامة الخطية. ترى هل من شر أفظع ومن قباحة أشنع من بغض الجودة العظمى نفسها والحق الأعظم. فهذا يطلق على جميع الخطأة فكما أن من كانت عنده وصايا الله ويحفظها فهو يحب الله (يوحنا ص14ع21) هكذا من يحتقر شريعة الرب ولا يحفظ وصاياه يقال فيهِ بحق أنه يبغض الله.

الرابع والثلاثون ما معنى قوله تعالى واصنع الرحمة مع الذين يحبوني

يعلمنا بهذا الكلام طريقة حفظ الشريعة وكيفيته اذ من اللازم أن الذين يحفظون شريعة الله يقادون إلى طاعته بنفس المبحة والود الذي بهِ يحبون الله كما ذكر المجمع التريدنتيني المقدس في الفصل18 من الجلسة السادسة وسيأتي بيان ذلك في كل من الوصايا

(457)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثالث

في الوصية الثانية

لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً (خروج ص7ع20) أولاً لماذا شاء الله أن بسن سنة بوجوب تكريم اسمهِ تعالى وأن كانت الوصية الاولى من الشريعة الإلهية الأمرة بأن يعبد الله بالتقوى والقداسة تتضمن ضرورةً ما يليها في الوصية الثانية لأن من يريد أن يكرم هو عينه يطلب أن نكرمه بتكلمنا عنه وينتهي عن الخلاف كما أشار الرب صريحًا بكلامهِ في نبوة ملاخيا اذ قال: الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيد فإن كنت أنا ابًا فإين كرامتي (ملاخيا ص1ع6) مع ذلك أراد الله سبحانهُ نظرًا إلى عظمة هذا الأمر أن يسن سنةً على حدتها لتكريم اسمهِ الإلهي القدوس وأمرنا بذلك بعبارات سديدة صريحة

ثانيًا على الرعاة أن يتخذ هذا الموضوع على مجمل الاعتبار العظيم ولا يكتفي بالكلام عليهِ بوجهِ الإجمال بل لا بد لهُ من أن يتروا ويبين صريحًا وجليًا للمؤمنين كل ما يتعلق بهذا المقالة ولا يستكثر فيها الاجتهاد حيث يوجد قوم من الناس قد بلغ منهم عمى البصيرة وهذه الدرجة لا يرهبوا أن يلعنوا من تمجده الملائكة ولا يحاولون بالشريعة التي سنت عليهم مرة واحدة بتكريم الجلال الإلهي بل ينقحون

(458)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كل يوم كل ساعة بل كل دقيقة على تخفيض شانه وسلب كرامتهِ. من لا سمع كثرة الحلفانات والأقسام والتجاديف والسباب واللعانت حتى وأن ما من أحد يبيع أو يشتري شيئًا أو يباشر تجارةً الاَّ لستعمل الحلف الديني واتخذ اسم الله الف مرة في أمر طفيف باطل. فعلى الراعي أن يبذلك العناية والجهد في تحذير المؤمنين غير مرة من هذا الاثم الممقوت الفظيع

ثالثًا ما تأمر به هذه الوصية الثانية وما تنهي عنه

أن في شرح هذه الوصية يتبين أولاً ما تنهي السنة عن فعلهِ ثم الأمر بتلك الأشياء التي يلتزم البشر بفعلها فينبغي اذًا على الراعي أن يعلم المؤمنين كلاً من النهي أمر على حدتهِ فيذكر ما تامر بهِ السنة ثم ما تنهي عنهِ كي يدور ويحلف بهِ حلفًا ببر وقداسة وتنهي عن احتقار اسمهِ الإلهي وعن اتخاذه باطلاً سواء كان بالحنث أو بالباطل أو بدون داعٍ موجب

رابعًا ماذا يفهم هنا باسم الله

على الراعي أن يوصي المؤمنين في هذا القسم الذي بهِ نؤمر بتكريم اسم الله بانهُ ينبغي الاَّ يفهم اسم الله باعتبار حروفه وحركات لفظهِ أو كلمة مجردة بذاتها بل كونه عبارة عن الضابط الكل العزة السرمدية وحيد الذات ومثلث الأقانيم فيتخلص من ثم ما كان من الخرافات الباطلة عند بعض اليهود الذين كانوا يكتبون اسم الله ولا يتجرأون على لفظهِ كأن القوة الإلهية كانت في تلك الحروف الأربعة في الذات الإلهية ولكن ولو حرّم الله اتخاذ اسمهِ بالباطل مع ذلك لا يفهم

(459)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عن اسم واحد بل عن كل ما يعزي اليهِ تعالى اذ يطلق عليهِ اسماء كثيرة كالرب والضابط الكل ورب الجنود وملك الملوك والقدير إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى نقرأها في الأسفار الإلهية ولجميعها ينبغي الإكرام والتمجيد بعينهما. ثم يجب على الراعي أن يعلم المؤمنين كيف يجب أن يؤدي الإكرام المتوجب لاسم الله اذ لا يليق بالشعب المسيحي الذي يلزمه أن يترنم على الدوام بمائح الله وتسابيحهِ أن يجهل مثل هذا الأمر الجزيل الفائدة والشديد اللزوم خلاصهِ كما قال القديس توما اللاهوتي في كتابه الأول في الفصل 11من البحث ع13.

خامسًا كيف يجب علينا أن نوقر ونكرم الاسم الإلهي

ان اسم الله يكرم ويمدح بأنواع كثيرة غير أن قوتها واعتبارها فيما ياتي ذكره. فأولاًأن اله يمدح ويكرم اسمهُ حين نعترف أمام الجميع واثقين بأنهُ ربنا والهنا وكما اننا نعرف المسيح ولي خلاصنا هكذا أيضًا ننادي بهِ على ؤوس الاشهاد ثم حين نصغي بورع واجتهاد إلى كلام الله الذي بهِ يعرفنا مشيته ونهذ بهِ على الدوام ونتعلمه برغبة ونشاط أو بالمطالعة أو بالسماع حسبما يوافق ويناسب كل انسان بمقتضى حالتهِ ووظيفتهِ. ثم أن نكرم ونوّقر اسم الله حين نسبحه بالمدائح الإلهية عملاً بالتقوى والديانة ونؤدي لهُ مزيد الشكر والحمد في كافة الأمور في السراء والضراء لأن النبي داود يقول: باركي يا نفسي الرب وللا تنسي جميع مكافأتهِ (مزمور102ع2) وفي مزامير كثيرة تنشد المدائح الإلهية السنية بقلب ولسان مضطرمين بتقوى الله

(460)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولنا أيضًا مثال الصبر الجميل في أيوب البار الذي حين المت بهِ تلك المصايب الهائلة والبلايا الشديدة لم يكف قط من أغلاه اسمهِ تعالى التسبيح والتمجيد هكذا يلزمنا نحن أيضًا حينما تلم بنا أوجاع النفس والجسد وتدهما الأكدار والبلايا أن نبادر حالاً إلى تمجيد الله وتسبيحه من كل قبنا قائلين مع أيوب الصديق: فليكن اسم الرب مباركًا (أيوب ص1ع21).

سادسًا كيف نطيع هذه الوصية من وجه آخر

لا نكرم اسم الله أقل تكريمًا اذا التحيينا اليه بثقة مستمدين عونه في الشدئد والضيقات كي ينقذنا منها أو يخولنا قوة على احتمالها بالطبر والثباتوهذا مما يريده الله لأنهُ قال: ادعني يوم حزنك فأنقذك وتمجدني (مزمور49ع15) وأمثال هذا التوسل كثيرة نراها في عدة أماكن من الأسفار المقدسة ولاسيما في المزامير (16و43و118) وما عدا ما ذُكر أننا نكرّم اسم الله حينما نستشهده تعالى في الحق لاثبات قولنا وهذا النوع يختلف كثيرًا عن الأنواع السابق ذكرها لأن هذه التي ذكرناها أنفًا من طبعها جيدة مقبولة وما من شئ أدعي لسعادة الانسان وأشهى لديه من ان يحيح نهاره وليله في مباشرتها والمثابرة عليها عملاً بقول النبي داود: أبارك الرب في كل حين وتسبحته في فمي (مزمور23ع1) أما الحلف وأن كان أمرًا صالحًا فمع تلك تكاثره غير محمود.

(461)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سابعًا لماذا لا يحمد استعمال الحلف الصادق متوترًا

أن البرهان على كون الحلف المتواتر غير محمود ولو صادقًا هو أنهُ قد رسم لهذا السبب فقط وهو ان يكون بمنزلة دوآ للضعف البشري وواسطة لازمة لاثبات ما تقولهُ لأنهُ كما قال القديس اغوسطينوس في الفصل 3 من كتابه الأول في شرحهِ موعظة ربنا يسوع المسيح الجبل كما ان الدوآ لا يفيد ما لم يكن لازمًا وبقدر الاحتياج اليهِ بل يضر اذا كان غير لازم وزارد على الحاجة هكذا ما لم يوجد سسب باهظ وعادل لا يجدي استعمال الحلف نفعًا واذا تواتر استعماله فلا يكون بدون فائدة فقط بل أيضًا ياتي على الحالف بضرر عظيم ولهذا قال القديس يوحنا الذهبي الفم قولاً جليلاً: أن الحلف لم يوجد في بداية خلقه العالم ولكن بعد أن شبّ العالم فشت فيهِ السرور بالطول والعرض وذاغ كل شئ عنمكانه ونظامه وتبللت الأشياء كلها واختلطت وانقلبت كلها ظهرًا لبطنٍ ومالت إلى الخراب والدمار وما كان أقبح من هذه جميعها تورط البشر بأجمعهم في عبادة الأوثان وانخرطوا في رجاستها وفي الآخر بعد أن صارت البشر هذا المصبر الفظيع تفاقم تفاقهم وكفرهم حتى لم يعد الواحد يصدق كلام الأخر الدنس في عادي الزمان بين البشر ملكة الحلف فأحذوا يحلفون باسم الله كذبًا وبعضهم صدقًا بما بإكثار وبدون داعٍ موجب (أه).

ثامنًا بأي شئ يقوم جوهر الحلف وما هو الحلف بوجه الخصوص

لما كان المقصود خاصة من فرع الوصية نوعية تعليم المؤمنين

(462)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كيف ينبغي أن يستعملوا الحلف بالتقوى والقداسة فنقول أولاً أن الحلف ليس هو شيئًا أخر الاّ دعوة الله للشهادة كيفما كانت صورة الفاظه وأسلوبها. فإن القول يشهد الله علىَّ وبالله هو حلف أيضًا حين تحلف بالمخلوقات قصد الاقناع كما لو قيل بإنجيل الله المقدس بالصليب بذخائر القديسين واسمهم وما شاكل ذلك كما قال القديس اغوسطينوس في المقالة 28 من تفسيره كتاب أعمال الرسل والقديس توما اللاهوتي في الفصل 1 في المبحث 89 على ان هذه الأشياء بذاتها لا تكسب الحلف قوة اثباتًا لكن الله سبحانهُ يخولها ذلك اذ أن نور جلالهِ الالهي ساطع فيها. ومن ثم ينتج أن الذين يحلفون بالانجيل يحلفون بالله نفسه لأن حقيقتهُ متضمنة وظاهرة بالانجيل ومثلهم من يحلف بالقديسين لأنهم هياكل الله وامنوا بحق الانجيل واكرموه بحفظه تمامًا وبثوه بين الأمم والشعوب في أربعة أقطار المسكونة.

تاسعًا في صورة الحلف التي تجري بصيغة الدعاء على الحالف أو غيره

أن نوعية الحلف التيتجري بالدعاء على الحالف أو على غيره لا تختلف عما ذكر ومثالها ما نطق بهِ الرسول المصطفى بقوله: أنني استشهد الله على نفسي (2قور ص1ع23) لأن الحالف على هذه الصورة يضع ذاته تحت حكم الله بما أنه المنتقم من الكذب ولا ننكر أن البعض من هذه الصور قد تؤخذ كان ليس بها قوة الحلف مع ذلك من الامور المفيدة أن ما تقدم ذكره في الحلف يراعي أيضًا في هذه الصور

(463)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وأن يحفظ فيها القياس نفسه والقانون بعينهِ

عاشرًا إلى كم يقسم الحلف

أن الحلف يقسم إلى نوعين اولهما ما يسمى بالحلف الإيجابي أو التقريري أي حين نثبت شيئًا بوجه الديانة عن أمر حاضر أو ماضي كما ورد في رسالة رسول الأمم إلى أهل غلاطية من قوله وما أنا كاتب بهِاليكم هانذا أمام الله لست أكذب فيهِ (غلاطية ص1ع23) وثانيهما المعروف بالحلف الوعدي ومنه الوعيد والتهديد ويختص بالمستقبل وذلك حين نعد بشئ ونثبت أنهُ سيكون كما وعدنا مثلما حلف داود لبتشبع زوجتهِ باسم الرب الاههِ واعدًا بأن سليمان ابنه سيكون ورائه وسيخلفه على سرير الملك.

الحادي عشر كم من الشروط المطلوبة للحلف الشرعي الجائز

أنهُ ولو كفى للحلف أن نجعل الله شاهدًا مع ذلك تطلب شروط كثيرة ليكون الحلف مستقيمًا ومقدسًا يقتضي ببيانها بالتفصيل والتدقيق فارميا النبي قد ذكرها على وجه الايجاز كما شهد القديس ايرونيموس اذ قال أي ارميا ويكون حلفك حي الرب بالحق والحكم والعدل (ارميا ص4ع2) فقد عبر بهذه الكلمات تعبيرًا موجزًا واجماليًا عما يقتضيه كمال كل حلف أي الحق والحكم والعدل.

الثاني عشر كيف يحلف الانسان بالصدق أي بالحق

أن أول ما يطلب للحلف الصدق أي أن ما يقرر يكون حقًا بذاتهِ وباعتقاد الحالف أيضًا وذلك لا على سبيل الطيش وعن تخمين

(464)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

طفيف بل عن أدله وثيقة. والنوع الثاني من الحلف الذي بهِ يقيد بشئ يستلزم الصدق والحق كالنوع الأول على حد سواء كما قيل القديس توما اللاهوتي في القسم الثاني في الفصل 3 من المبحث 89 والقديس اغوسطينوس في مقالته 28 في تفسيره الأبركسيس لأن من يعد شيئًا لزمه أن يكون قاصدًا انجاز ما وعده في وقته لكون الانسان الفاضل لا يرضي أبدًا أن يتخذ على عهدته عمل ما بيان يخالف ارادة الله ووصاياه المقدسة بل أنهُ لا يخلف أبدًا ما وعده مرة في كل ما جاز لهُ أن يعده ويحلف عليهِ الاَّ اذا تنيرت حالة الأشياء نفيرًا يمسي بهِ نجاز الوعد مكرومًا عند الله ومرذولاً. ثم ان داود النبي اشار إلى لزوم الصدق في الحلف بقولهِ بالذي يحلف قريبهِ ولا يخادع (مزمور12ع4).

الثالث عشر من الذي يقال فيهِ أنه يحلف بالحكم ولماذا لا يكف الصغار إلى اليمين

الشرط الثاني لجوا: الحلف الحكم فلا يجوز أن نحلف بطيش وتغفل بل عن ترو وحكمة فلذا ينبغي على الحالف أن يتروى أوللاً فيما اذا كان اضطرار إلى اليمين أولاً ويتمعن جديًا في هل أن الأمر هو من الأمور المحتاجة إلى حلف وليراعينَّ أيضًا ظروف الزمان والمكان ويلاحظنَّ أشياء أخرى كثيرة تتعلق باسباب اليمين فلا يقدم على الحلف عن نبض ولا عن هوى ولا عن الم نفساني بل عن حكم الوقاع ولزمهِ. فإن لم يسق مثل هذا التأني والتروي الجهيد كان الحلف عن تسرع وتغفل كحلف أولئك الذين يحملون بدون وقار في امر طفيف للغاية بدون

(465)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

داعٍ وبدون افراز بل عن ملكة شريرة كما نشاهده جاريًا كل يوم عند البائعين والمبتاعين لأن هؤلاء وأولئك لا يرهبون أن يكثروا من الحلف في مدح السلعة أو ذمها كي يبيعوها بثمن غالٍ أو يشتروها بثمن رخيص فحيث يقتضي للحلف افراز وحكمة ولا يستطيع الصغار أن يحسنوا الادراك والافراز بداعي صغر عمرهم رسم القديس كورنيليوس الحبر الأعظم ان الصغار لا يكلفون إلى اليمين قبل أن يبلغوا سن الرشد أي قبل الرابعة عشرة من عمرهم.

الرابع عشر كيف يحلف بالعدل

بقي شرط العدل المطلوب خاصةً في الوعود. فمن يعد بشئ غير عادل أو غير جائز ويحلف أنهُ ينجز وعده يخطي واذا أنجزءه مزيد اثمًا على اثم. ولنا في ذلك مثال الملك هيرودس الذي قيد ذاته بيمين غموس ودفع للصبية الرقاصة رأس يوحنا المعمدان جزاء رقصها (متى ص14ع7) ومثله اليهود الذين حلفوا أنهم لا يذوقون طعامًا قبل أن يقتلوا بولس كما ذكر في الأبركسيس (ص3ع12).

الخامس عشر ما الأسباب التي تجوز أحيانًا الحلف

غب ما تقدم شرحه لا يبقى أدنى شك في أن اليمين تجوز كل راحة ضمير لمن يحفظ فيه جميع ما ذكر ولمن يعتصم في يمينه بهذه الشروط التي هي بمنزلة عواصم عم الخطاء لأن سنة الرب الطاهرة المقدسة تأمر بذلك (مزمور18ع8) قال الله: اخشَ الرب الهك واباء وحده

(466)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اعبد واحلف باسمهِ (تثنية ص6ع13) والنبي داود: أما الملك فيفرح الله وكل من يحلف بهِ يفتخر (مزمور62ع12) وزد على ذلك أن الأسفار المقدسة تدل على أن أنوار الكنيسة ذاتها أي الرسل القديسين قد استعملوا الحلف أحيانًا كما يتبين من رسائل الرسول المصطفى. ثم أن الملائكة أنفسهم حلفوا بعض الاحيان لأن القديس يوحنا الرسول يقول في جليانه: أن الملاك أقسم بالحي إلى دهر الدهور (ص10ع6) لا بل أن الله تبارك اسمه رب الملائكة قد حلف بنفسي اقسمت يقول الرب (تكوين ص22ع16) وفي محال كثيرة من العهد القديم أثبت الله بالقسم مواعيده لابراهيم وجاءَ في سفر المزامير أن الرب قسم ولن يندم أنك انت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (مزمور109ع4).

السادس عشر أن اليمين حميدة اذا تمت على حقها

لنا برهان واضح على أن اليمين حميدة اذا تروّي الحالف في الأمر المحلوف عليه من الجميع وجوههِ وحالاته وامعن نظره في مصدره وغايته. لأن اليمين أصله من الايمان الذي يعتقد الناس بهِ أن الله سبحانه ولي كل حق وصدق ولا يمكن أن يُنش ولا يَغش أبدًا وما من خليقة مستقرة أمامه بل كل شئ عار مكشوف الباطن لعينه (عبر ص4ع13) وهو الذي يدبر كل شئ حسنًا وعنايته شاملة كافة الأمور البشرية (حكمة ص8ع1) حتى لا يستط عصفور على الأرض الاَّ بارادته وشعور رؤوساء محصاة عنده (متى ص10) فالناس

(467)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لتمسكهم بعروة هذا اليقين يقيمون الله شاهدًا للحق اذ يعتبرون أباة تصديقه كفرًا قبيحًا واثمًا فظيعًا.

السابع عشر غاية الحلف حسم الخلاف والنزاع

أما الحلف فنظرًا إلى غايته يقصد بهِ تزكية الانسان وتبرئته وحسم الخصام والنواع وهذا ما يعلمنا الرسول في رسالتهِ إلى العبرانين حيث يقول: ونما الناس يقسمون بما هو أعظم منهم وتنقضي كل مشاجرة بينهم بالقسم للتثبيت 0ص6ع169.

الثامن عشر كيف المسيح الرب حرّم الحلف

ما قررناه عن جواز الحلف وصلاحه لا ينقضه كلام مخلصنا المورد في بشارة متى حيث يقول: قد سمعتم أيضًا أنهُ قيل للأوليين لا تحنث بل أوفِ للرب بأقسامك أما انا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء فإنها عرش الله ولا بالأرض فإنها موطاء قدميه ولا بأورشليم فإنها مدينة الملك الأعظم وال تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة منه بيضاء أو سوداء ولكن ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير (ص5ع33و34و35) لأن المسيح الرب لهُ المجد لم يحرم بهذا الكلام كل أنواع الحلف بالعموم والاطلاق لأننا قد راينا فيما تقدم أن المسيح ذاته والرسل حلفوا مرارًا ولكن الرب قد أراد أن يونب اليهود على ما كان في حكمهم من أن الحلف ليس فيهِ محظور الاَّ الكذب ولذا كثيرًا ما كانوا يحلفون على أمور طفيفه لا طالما لها البتة ويستحلفون عليها. فالمخلص ذّنب هذه العادة السيئة ورذلها

(468)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وعلم وجوب الامتناع عن الحلف الاَّ اذا دعت الضرورة.

التاسع عشر لماذا قال المسيح ان ما زاد على تقرير الحق تقريرًا بسيطًا هو من الشرير

لأن الحلف قد رسم مراعاةً للضعف البشري وبالحق يكون من الشرير حيث يدل على عدم ثبات الحالف أو على عناد المستحلف الذي لا يذعن الاَّ بالحلف ومع ذلك أن الضرورة تقيم عذرًا للحلف. فقول المسيح الرب: ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا عبارة عن ترحيم ملكة الحلف في المباحثات والمحادثات الأهلية والامور الطفيفة فيحذرنا الرب من التساهل والانصباب إلى الحلف وهذا ما ينبغي أن ننذر بهِ جهدنا ونودعه مسامع المؤمنين لأن الكتاب المقدس والآباء القديسين يشهدون بأن شرورًا لا تحصى تنجم عن ملكة الحلف المتواتر. قال ابن سيراخ لا تعوّد فمك على الحلف لأن فيه سقطات كثيرة (ص23ع8) وقال أيضًا: الرجل الحلاف يمتلئ اثمًا ولا يبرح السوط في بيتهِ (ص23ع12) وورد في هذا المعنى نصوص كثيرة في كتب القديسين باسيليوس وأغوسطينوس ضد الكذب وقد استوفينا الكلام إلى الآن على أوامر هذه الوصية فيقى علينا أن نتكلم على تواهيها.

العشرون لماذا الحنث والحلف بالباطل اثم جسيم

تهانا الله سبحانهُ عن أن تأخذ اسمه بالباطل فمن البين أن من يقدم إلى الحلف عن تغفل وقحة يرتكب اثمًا جسيمًا بدليل قولهِ تعالى:

(469)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لا تأخذ اسم الهك بالباطل. فكأنه يبرهن لنا في هذا الكلام على جسامة هذا الاثم وقبحهِ بكونه يحط بعزة من نعتقده الهنا وربنا فهذه الوصية اذًا تنهانا عن الحلف بالكذب لأن من لا تجنب هذا الخطاء الفظيع حتي يقيمه تعالى شاهدًا للكذب يهينه جل جلاله شر اهانة لكونه أما أنه يعزي اليهِ الجهل اذ يحتسبه غافلاً عن حقيقة أمر من الأمور أو يطعن في جودة طويته حيث يشاء أن يثبت الكذب بشهادته

الحادي والعشرون كيف يحنث من يحلف صدقًا على ما كان صدقًا

لا يحنث فقط من يثبت بالحق ما يعلمهُ كذبًا بل أيضًا من يقرّر بيمينهِ ما كان حقًا ويعتقده كذبًا لأن الكذب انما هو كذب حين ما يتكلم الانسان ضد ما في عقلهِ وضميره فمن المحقق بأنهُ يكون حينئذٍ كاذبًا وحانثًا

الثاني والعشرون كيف يخطاء من يحلف كذبًا مع يقينه أنهُ حالف صادقًا

وعلى هذا النحو أيضًا يحنث من يحلف على ما يعتبره حقًا مع كونه بالحقيقة كذب ولم يكن بذل جهده وجده في الاطلاع على حقيقة الواقع لأن كلامه ولو كان مطابقًا لضميره مع ذلك هو مخالف للوصية

الثالث والعشرون كيف يخطئ من لا يفي بيمينهِ أو بوعده المقترن بالحلف

يرتكب اثم الحنث ذاته من يعد حالفًا أنهُ سينجز وعده حال

(470)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كونه غير عازم في نفسه على انجازه أو تيسر لهُ أن: في ولم يفِ ومثله أيضًا من يقيد نفسه بالزام نذر الله ولا يفيه وهذا حكم القديس توما اللاهوتي في القسم 2 في الفصل السابع من البحث 89 وكما ورد في سفر الأحبار (ص27) وفي تثنية الاشتراع (ص23ع21و22) اذا نذرت نذرًا للرب الهك فلا تؤّخر وفاءه لأن الرب الهك يطالبك بهِ فيكون عليك خطيئة.

الرابع والعشرون كيف يخطئ من يحلف أنهُ يقرتف اثمًا مميتًا أو يخالف المشورات الانجيلية

يخطئ ضد هذه الوصية أيضًا من يخلو حلفه من العدل الذي هو من الشروط الثلاثة المقترنة بالحلف فعليه من يحلف أنهُ سيقترف اثمًا مميتًا كالقتل وما شاكله يخالف هذه الوصية ولو حلف بجدٍ وبقصد الانجاز وقارن يمينه الصدق الذي هو أول شرط من شروط الحلف كما تقدم. ومن هذا الباب أيضًا تلك اليمينات الصادرة عن الاحتقار كمن يحلف أنهُ لا يطيع المشورات الانجيلية التي تحث الناس على التبتل والفقر الاختياري ولو لم يكن أحد ملزومًا باتباعها مع ذلك اذا حلف أحد أنهُ لا يريد لها فيحتقرها بيمينه وينتهك حرمتها

الخامس والعشرون يخطئ أيضًا من يحلف تحت شبهة الصدق الطفيفة

ثم يخالف هذه السنة ويأثم بالحكم من يحلف أن ذاك الشئ حق ويعتقده حقًا سندًا إلى بعض أسباب طفيفة ودلائل بعيدة

(471)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لأن هذا الحلف ولو قارنهُ الحق مع ذلك لا يخلو من الكذب لأن من يحلف على هذا المنوال من التهاون يتورط في خطر جسيم للحث

السادس والعشرون من يحلف بالآلهة الكاذبة يخطط قتيلاً

ثم يحلف زورًا من يحلف بالآلهة الكاذبة بدليل قولهِ تعالى واسم الألهة الأخر لا تذكره ولا يسمع من فيك (خروج ص23ع13) لأن ما من شئ أبعد عن الحق من اقامة الآلهة الزور الكاذبة شهودًا للحق بمنزلة الاله الحقيقي

السابع والعشرون يخطئ من يزدري كلام الله بتأويله اياه بئس التأويل أو يتحويله إلى الأباطيل

أن التوراة المقدسة لما حرّمت الحنث قالت لا تحلفوا باسمي كذبًا ولا تدنس اسم الهك (أحبار ص19ع13) فقد حرّم علينا الاستخفاف الواجب تجنبه في كافة جميع الأمور التي بها يتوجب الاكرام لله عملاً بهذه الوصية ومن الجملة الاكرام لكلام الله الذي يراعي حرمته لا أصحاب الدين الأفاضل فقط بل أحيانًا الكفرة المنافقون أيضًا كما ورد في سفر القضاة عن عجلون ملك الموابين (ص3ع20) فلهذا من يحرّقون كلام الكتاب المقدسة عن معناه القويم الحقيقي ويأولونه إلى تعليم الكفر والأرطقة يمنهنونه امتهانًا فظيعًا وقد حذرنا هامة الرسل من هذا الاثم بقوله: كما أنهُ (أي بولس الرسول) في رسائله كلها تكلم على هذه الأمور التي فيها أشياء صعب فهمها يعوجها

(472)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أولئك الذين لا علم عندهم ولا رسوخ كما يعوجون باقي الكتب لهلاكهم 02بطرس ص3ع16) ثم إن الكتاب المقدس يدنس وتنتهك حرمته حينما يعوج الناس الأشرار أقواله واياته الكريمة المستوجبة كل احرتام وإكرام إلى معاني عالمية وإلى الهزل والحكايات الباطلة وأحاديث خرافات ومثالب وتهريجات وكشف الخبث وطعن بالعرض وما شاكل ذلك فالمجمع التريدنتيني في آخر جلستهِ الرابعة أم ربتعقب أصحاب هذا الاثم.

الثامن والعشرون كيف يخطئ من لا يستغيث بالله في الأحزان والضيقات التي تدهمهُ

ثم كما ان الذين يستغيثون بالله في شدائدهم ويستمدون عونه يكرمونه هكذا يخلَّ باكرامه تعالى من لا يلتمسون عونه في الملمات المذكور قوقد نبهم داود النبي بقوله: هناك جزعوا حيث لا جزع (مزمور13و5)

التاسع والعشرون أن التجديف على الله والقديسين هوشر ما ذكر من الأثام

يرتكب أفظع إثم وشر نفاق من يتجاسرون على ان يجذّفوا ويشتموا بفم دنس اسم الله القدوس الواجب أن تباركه جميع المخلوقات وتيجله بأعظم المدائح وأساها أو اسم القديسن المالكيين معهُ تعالى في السعادة الأبدية فلا جرم أن هذه الخطية هي فظيعة وقبيحة حتى أن الأسفار الإلهية اذا ورد كلام على التجديف تستعمل أحيانًا اسم البركة يدل

(473)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اللعنة دليلاً على ما يتوجب لاسمهُ تعالى من الكرامة والاحترام

الثلاثون لما اردفت هذه الوصية بالتهديد

لما كان خوف العقاب والعذاب يردع الناس عادة عن ارتكاب المأثم وجب على الراعي كي يحرك قلوب البشر وبعزيهم بحفظ الوصية أن يبذل جهده في شرح هذا الملحق وهو: لأن الرب لا يزكي من يحلف باسمه باطلاً (خروج ص20ع7) فيعلمهم أولاً أن هذه الوصية بكل حق وصواب قد شفعت بذكر الوعيد لمن يخالفها كي نعرف بذلك جناية الخطية وجوده تعالى نحونا فمن كونه لا يسر بهلاك البشر يرعبنا بهذه التهديدات الخلاصية كي لا نقع تحت غضبه ورجزء أي ان نتقصد رضاه أحرى من أن نختير غضبه وليبذل الراعي أقصى جهده هنا ويلحّ ويبالغ فيث تعريف الشعب جسامة الاثم كي يمقته مقتًا شديدًا ويصرف في مجانيته أعظم اجتهاد ودراية.

ثم يتبين ما في البشر من شديد الميل إلى ارتكاب هذه الخطية حتى لم يكن كافيًا لردعهم سن الشريعة بل اقتضى أيضًا ردفها بالوعيد والتهديد فلا يُقدر ما ينجم من الفائدة عن هذه المعرفة فكما أنهُ لا شئ اوقع للضرر من استكانة النفس الصادرة عن التغفل والجهل هكذا ليس أمر أنفع من معرفةىالانسان ضعف نفسه. ثم فليعلن للشعب أن الله سبحانه لم يقيض عذابًا معلومًا للمخالف بل توعده بوجه العموم انه لا يحتمل من يتورط في هذا الاثم بدون عقاب فلأجل ذلك أن البلايا المختلفة التي تلمَّ بنأكل يوم لا بد من أن تفطنا بشر هذه الخطية لأنهُ

(474)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يسوغ لنا أن نقدر على ان البشر يبلون بمثل هذه النكبات لمخالفتهم هذه الوصية. فإذا جعلوا هذه النصائح نصب عيونهم لا بد من أنهم يزدادون تيقظًا واحترازًا في المستقبل. وهكذا اذا أصاب المؤمنين مثل هذا الخوف المقدس بذلوا جهدهم في اجتناب هذا الثم. لأننا اذا كنا نلتزم أن نعطي جوابًا يونم الدين عن كل كلمة بطالة (متى ص12ع36) فترى مذا تجاوب عن المآثم الفظيعة القاذفة شر الاهانة لاسم الله العظيم الجلالة والعظمة والمجد.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الرابع

في الوصية الثالثة

اذكر يوم السبتَّ لتقدسه

في ستة أيام وتصنع جميع أعمالك واليوم السابع سبت للرب الهك لا تصنع فيع عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ويهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوايك لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسهُ (خروج ص20ع8إلى12 تثنية ص5ع12 والباقي)

(475)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأول مذا يؤمر المؤمنون بهذه الوصية

أن في هذه الوصية الثالثة من الكلمات العشر قد رسمت تلك العبادة الخارجة المتوجبة علينا لله من باب الحق والنظام فهي كأنها ثمرة الوصية الأولى لأننا اذ نكرَّم الله ونعبده بحواسنا الباطنة عملاً بالايمان والرجاء اللذين نمتلكهما بعبادته لا يمكننا أن لا نكرمه بالعبادة الخارجية نؤدي لهُ الحمد والشكر. كما قال القديس توما اللاهوتي في الجزء 2 في الفصل الرابع من البحث221. ولما كان الناس غير قادرين على تأدية هذه العبادة لإنهماكهم في الأمور العالمية قد عين لهم زمن معلوم يتمكنون فيه من أدائها على هينة.

الثاني لماذا يقتضي من الراعي أن يبذل غاية جهده في أن يرسخ في ذهن المؤمنين ما رُسم في هذه الوصية

لما كانت هذه الوصية بحسب وضعها تأتي الناس بأعظم فائدة ومنفعة لزم الراعي أن يعمل جهده في بيانها فإن للكلمة الاولى منها وهي (اذكر) قوة عظيمة على اضرام نار الجتهاد والنشاط في قلب الراعي لأن المؤمنين كما أنهم يلتزمون أن يتذكروا مثل هذه الوصية هكذا من واجبات الراعي أن يكثر من تذكيرها وتعليمها كما ورد في المجمع التريدنتيني في الفصل 4 من الجلسة 24. ويستبين عظم الفائدة الناجمة عن حفظ هذه الوصية من أنهم اذا راعوا حرمتها باجتهاد يتدربون بأسهل سبيل إلى حفظ باقي أوامر السنة. لأن من جملة ما يجب عليهم عمله أيام الأعياد الحضور إلى الكنيسة لسماع كلام الله فإذا تفقهوا في معرفة الشرائع الإلهية

(476)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يتأتى لهم أن يحفظوا من كل قلوبهم سنة الرب. فلذا كثيرًا ما يوم في الأسفار الإلهية حفظ السبت وتكريمه كما ورد في سفر الخروج (ص16ع23) وسفر الأحبار (ص56ع2و4و5) وارميا (ص17ع21و22) وحزقيال (ص20ع12) فإن في جميع هذه الأسفار وغيرها التي اقتصرنا عن ذكرها خوف التطويل تعلن لنا الوصية بتقديس السبت.

الثالث كيف ينبغي أن يحض ولاة الأمور على مساعدة روساء الكنيسة

يجب أن نوعز إلى أولياء الأمور والحكام ونحثهم على أن يعاضدوا بسلطانهم روساء الكنيسة في تلك الأمور خاصة التي تاول إلى الاستمساك بعبادة الله هذه ونمائها ويأمروا الشعب بالاذعان إلى وصايا الكهنة. أما ما يتعلق بشرح هذه الوصية فينبغي السعي الجهيد فيتعليم المؤمنين الأشياء التي تتفق بها هذه الوصية مع غيرها والأشياء التي بها تفرق عن غيرها فعلى هذا النحو يتدبرون الأسباب والعلل التي لأجلها نقدس لا السبت بل اليوم الأحد ونكرّمه.

الرابع كيف تفرق هذه الوصية عن باقي سنن الكلمات العشر

أننا نرى بعض الفرق بينهما من حيث أن باقي وصايا الكلمات العشر طبيعية وأزلية ولا يمكن أن تتغير البتة ومن ثم اتفق أن شريعة موسى قد نسخت أما جميع الوصايا التي سطرت على اللوحين فيقيت مرعية الا جزآء الشعب المسيحي وهذا ناتج لا عن أمر موسى بل عن كونها

(477)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

موافقة الطبيعةت التي تنتدب البشر بقوتها إلى حفظها أما الوصية في تقديس يوم السبت فإذا لاحظنا الزمن المعين ليست بثابتة ولا قارة بل متغيرة ولا تغلق لها بالآداب بل بالطقوس ولا طبيعية لأن الطبيعة لا ترشدنا ولا ترسم علينا أن نؤدي لله العبادة الخارجية في يوم دون غيرها بل أن العبرانيين قد اختاروا السبت لأداء العبادة المذكورة لأنهم في مثل هذا اليوم نجوا من عبودية فرعون.

الخامس أن في زمن موت المسيح قد نسخت الشريعة الطقسية ومعها نسخ السبت الذي كان من وجهٍ طقسيًا

أن الزمن الذي فيهِ كان واجبًا أبطال تقديس السبت هو عينه الذي فيه وجب نسخ عبادات العبرانيين وطقوسهم أي زمن موت المسيح الرب لأن هذه الطقوس لما كانت بمنزلة ظل ورموز النور والحق الذي هو يسوع المسيح (يوحنا ص5ع5و17) اقتضى أنها تزول بمحيه وقد كتب الرسو المصطفى بهذا المعنى إلى أهل غلاطية يوبخ الذين استمروا متمسكين بالطقوس المسوية قائلاً: فإنكم تحفظون أيامًا وشهورًا وأوقاتًا وسنين فإنا أخاف عليكم أن أكون قد تعبث فيكم عبثًا (ص5ع10) وكتب مثل ذلك إلى أهل قولوسايس (ص2ع16) فهذا هو الفرق الموجود بين هذه الوصية وباقي الوصايا

السادس كيف تتفق هذه الوصية الثالثة مع باقي الوصايا السبع

أن هذه الوصية تتفق مع باقي الصايا لا من حيث الطقس والاحتفالات بل من كونها تشتمل على شئ يتعلق بالأداب والحق

(478)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الطبيعة لأن عبادة الله والدين المعبر عنهما بهذه الوصية وجدًا بحق السنة الطبيعية من كون الطبيعة ذاتها ترشدنا إلى أن نتفرّغ بعض ساعات من الزمان إلى العمل فيما يختص بعبادة الله بدليل أننا نرى عند جميع الأمم أيامًا تعينت للعموم وتكرّست لقضاء العبادة الإلهية والأمور المقدسة لأن من طبع الانسان أن يتخذ وقتًا معلومًا يقضي فيه الأعمال اللازمة كالراحة والرقاد للجسد وغير ذلك فكما يقتضي أن يؤخذ وقت للجسد هكذا من اللازم طبعًا أن تعطي النفس وقتًا للتروض في الهذيذ بالله. فمن اللازماذن أن يتعين وقت من الأوقات لمباشرة الأمور الإلهية وعبادة الله وذلك من فروض الأداب.

السابع قد رتب الرسل يوم الأحد بدل يوم السبت لقضاء العبادة لله

قد عين الرسل الكرام اليوم الأول الذي سموه يوم الرب لقضاء العبادة الإلهية لأن القديس يوحنا الرسول في جليانهِ يذكر يوم الرب بقولهِ: وصرت في الروح يوم الرب (ص1ع10) ورسول الأمم يأمر بجمع الصدقات للقديسين في كل أول أسبوع (1قور ص16ع2) وهو اليوم الأحد كما فسر القديس يوحنا الذهبي الفم في مقالتهِ 13 في تفسيره الرسالة الأولى لأهل قورنتية يقول أن الرسول يأمر بأن الجبايات تجمع يوم الأحد كي نفهم أن يوم الأحد كان من بداية الكنيسة معدودًا يومًا مقدسًا. فعلى الراعي أن يقسم هذه الوصية أربعة أقسام ويشرح كل قسم على حدته شرحًا وافيًا كي يعرف المؤمنون ما ينبغي

(479)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أن يعلموه ذاك اليوم وما يجب أن يمتنعوا عن عمله.

الثامن مذا يؤمر هنا على وجه العموم بهذه الكلمة: اذكر يجب على الراعي أن يبين أولاً بوجه العموم ما المفهوم والمأمور بهذه الكلمات: اذكر يوم السبت كي تقدسه فقد وُضعت هذه الكلمة اذكر في بداية الوصية بصواب حتى تنظم عبادة هذا اليوم في سلك الطقوس فكان يرى من الواجب تنبيه الشعب إلى هذا الامر لأن السنة الطبيعية تعلم بوجوب عبادة الله على طريقة من طرائق الديانة وفي زمن ما الاَّ أنها لم تعين بوجه الخصوص يومًا معلومًا يجب فيه قضاؤها فضلاً عن ذلك ينبغي أن نعلم المؤمنين أن يخلصوا من هذه الكلمات الكيفية والنوع الموافقين للعمل في كامل الأسبوع أي كأننا نترقب دائمًا يوم عيد سوف نؤدي فيه حسابًا لله عن جميع أعمالنا. فمن اللازم أن نعمل أعمالاً لا ترذل يوم ادين ولا تكون لنا البكاء والنوح زمعثرة القلب (1ملوك ص25ع31) وفي الآخر نتعلم ما ينبغي أن نتحذره من قوات الفرص لئلا يدركنا نسيان هذه لوصية بأن يستهوينا مثل الذين يتوانون بحفظها أو ميلنا إلى اللهو والمراسح والملاعب التي كثيرًا ما تقصينا عن تقديس هذا اليوم وعن قضاء الفروض الدينية فلنأتين الآن إلى الكلام على تقديس السبت.

التاسع ماذا يعني السبت وفعل سبت في الأسفار الإلهية

أن السبت لفظة عبرانية ومعناها الانكفاف عن الشغل وسبت انكف عن الشغل واستراح وبهذا المعنى قد اتفق أن اليوم السابع دُعي

(480)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سبتًا لأن الله بعد أن خلق العوالم كلهاوأكملها استراح من كل عمل (خروج ص2ع3) ولهذا دعا الرب ذاك اليوم سبتًا (خروج ص20ع12) وفيما بعد دُعي الأسبوع كله سبتًا تبركًا بيوم السبت وبهذا المعنى ورد في بشارة مار لوقا من كلام ذاك الفريسي ما قوله: أصوم مرتين في السبت أي السبة هذا ما كان من معنى السبت (لوقا ص18ع12)

العاشر كيف يقدس المؤمنون السبت

إن تقديس السبت في الكتاب المقدس عبارة عن الانكفاف عن الأشغال والأعمال الجسدية كما تدل صريحًا هذه الكلمات التالية من الوصية: لا تعمل فيهِ أدنى عمل. وليس فقط يعني الانكفاف عن العمل الاَّ لكفى القول في الكتاب احفظ يوم السبت وكنه قال أيضًا في المحلنفسه: كي تقدسه دليلاً على أن السبت وتقدسه بالتمام والكمال حين نؤدي لله واجبات التقوى والديانة وهذا هو السبت حقًا الذي يسميه اشعيا النبي نعيمًا لأن أيام الأعياد هي بمنزلة نعيم للرب وللأنام الأفاضل الأنقياء. فلذا اذا اقترنت أعمال الرحمة بالتقوى والقداسة في يوم اسبت فلا شك أننا نفوز بالثوب العظيم الجزيل المذكور في هذا الاصحاح نفسه.

الحادي عشر ما المعنى الأصلي لتلك الكلمات المارّ ذكرها

إن معنى هذه الوصية الحقيقي الخاص محمول على أن الانسان يعكف مجتهدًا بنفسه وجسده على أن يتفرّغ وقتًا معلومًا عن المهام

(481)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

والأشغال الجسدية إلى تكريمهِ تعالى وعبادتهِ.

الثاني عشر على ما يدل القسم الثاني من هذه الوصية

يستدل منه على أن اليوم السابع قد تعين بأمر الله للعبادة اذ قد كتب: في ستة أيام تعمل أعمالك كلها واليوم السابع سبت الرب الهك فمآل هذا الكلام هو أن السبت كما تقدّم مكرَّس للرب وفيهِ تؤدي لهُ الواجبات الدينية وأن اليوم السابع عبارة عن علامة الراحة للرب

الثالث عشر لماذا استحسن أن يعين لليهود يوم معلوم وهو اليوم اسابع لقضأء فرائض الدين

إن هذا اليوم قد تعين لعبادة الله حيث لم يستحسن أن الشعب الغليظ الطباع يفوّض انتخاب الوقت على ايثاره لئلا يقتفي أثار المصريين في عباداتهم الوثنية فلهذا قد تعين اليوم الأخير من السبعة الأيام لعبادتهِ تعالى. ومن ثم قد دعاه الله علامة كما جاء في سفر الخروج من قوله: وأنت قمر بني اسرائيل وقل لهم سبوتي فاحفظوها لأنها علامة بيني وبينكم مدى أجيالكم لتعلموا أني أنا الرب مقدسكم ص31ع13)

الرابع عشر لاية أمور كان احتفال السبت علامة

كان علامةً تشير إلى أن البشر يلتزمون أن يكرموا ذواتهم لله ويكونوا لهُ قديسين لكوننا نرى أن ذلك اليوم مكرّس لله وهو يره مقدس لكون البشر يلتزمون أن يكرّموا فيه خاصةً القداسة والدين كما قال اغوسطينوس في الفصل 12 من رسالة 119 والقديس ايرونيموس في الكتاب 15 من تفسيره الفصل 6 من نبؤة اشعيا ثم في

(482)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكتاب 16 في الفصل 58 من تفسيره الفصل 13 من نبوة زقيال والقديس توما اللاهوتي في الجزء الاول والثاني في الفصل 4 من البحث 110. ثم كان علامة وكمثل ذكر لخلقة هذا العالم البديع. ثم علامة أعطيت تذكارًا للاسرائليين ليتعظوا بها ويتذكروا أنهم نجوا وعتقوا من نير عبودية مصر وهذا ما عبر عنه الرب بهذا الكلام: واذكر أنك كنت عبدًا في أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد قديرة وذراع مبسوطة ولذلك أمرك الرب الهك بأن تحفظ يوم اسبت أخيرًا كان علامة تدل على السبت الروحي والسماوي.

الخامس عشر ما هو السبت الروحي للشعب المسيحي

إن السبت الروحي يقوم براحة ما سرية ومقدسة أي حينما يدفن الانسان العتيق مع المسيح ويتجدد للحياة (رومية ص6ع4و6) ويترّوض في تلك الأعمال التي تليق بالتقوى المسيحية اذ يجب على الذين كانوا من قبل ظلمة والآن هم نور بالرب أن يسعوا مسعى أبناء النور في جميع أعمال الخير والبرَّ والحق ولا يشاركوا أعمال الظلمة الفاقدة الثمار (أفسس ص5ع8).

السادس عشر وللطوباويين أيضًا سبت سماوي

أما السبت السماوي فهو كما قال القديس كيرللوس في كتابهِ 4 فصل 51 في تفسيره انجيل يوحنا لدى كلامهِ على قول الرسول المعظم هذا: قد بقي لشعب الله راحة سبت (عبرا ص4ع9) تلك الحياة التي تمتع فيها بكافة الخيرات ونحن عائشون مع المسيح اذ

(483)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

نستأصل الخطية حسب المقول في اشعيا: لا يكون هناك أسد ولا يصعد اليهِ وحش مفترس: ويكون هناك مسلك وطريق يقال لهُ الطريق المقدس (ص35ع8) لأن عقل القديسين يكتسب الخيرات كلها في مشاهدة الله: فلذا يلزم الرعاة أن يحضوا وينشطوا المؤمنين بهذا الكلام فلنجتهد اذن أن ندخل تلك الراحة (عبرا ص4ع11)

السابع عشر كان لليهود أيام أعياد غير السبت

كان لشعب اليهود عدا اليوم السابع أعياد أخرى وايام مقدسة موسومة بسنة الله يجددون فيها ذكر احسانات الله العظيمة كما قال القديس كيريلوس في الكتاب الذي الفه على السجود بالروح والحق وهو الكتاب السابع عشر في كتبهِ

الثامن عشر لماذا عين الرسل لعبادة الله اليوم الاول من الأسبوع وتركوا اليوم السابع

قد استحسنت كنيسة الله أن تنقل عبادة يوم السبت واحتفاله إلى يوم الأحد فكما أن النور قد أنار أولاً المسكونة كلها في ذلك اليوم هكذا مخلصنا الإلهي قد نقلنا من الظلمة إلى النور وفتح لنا باب الحيوة الأبدية بقيامته من الموت التي تمت يوم الأحد ومن ثم قد أراد الرسل الكرام أن يسموا ذاك اليوم يوم الرب. ثم أن الكتاب المقدس يشهد لنا بما جرى في اليوم المذكور عن عظائم أعمال الله كبداية خلقة العالم وقيامة المسيح الرب حلحول الروح القدس على التلاميذ. هكذا قال القديس غريغوريوس النزنيزي في عظتهِ 43 ومثله القديس يوحنا

(484)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الدمشقي في الفصل 24 من كتابهِ الرابع لأن السبت كان ذكرًا لذلك اليوم الذي فيه استراح الله من خلقه العالم والأحد هو ذكر لذلك اليوم الذي فيه استراح الله الابن من تجديد خلاص العالم.

التاسع عشر لماذا أضاف المسيحيون أعيادًا أخرى إلى يوم الأحد

أن الرسل المعظمين والأباء القديسين قد رسموا منذ نشأة الكنيسة ثم في توالي الأزمنة أيام أعياد أخرى كي نتذكر بالتقوى والقداسة احسانات الله ومن جملتها تلك الأيام الشهيرة التي عينت للعبادة تذكارًا لأسرار فدائنا ثم أعيادًا للبتول والدة الله الكلية القداسة ثم للرسل والشهداء وباقي القديسين المالكين مع المسيح فإنه بانتصارهم تحمد وتمنح جودة الله وقدرته ونحمل على ان نقدم لهم ما يستحقونه من الكرامة ويغري الشعب المؤمن باقفاء أثارهم.

العشرون كيف يحض المؤمنين من قبل هذه الوصية إلى الهرب من البطالة

وهذا القسم المعبر بهذا الكلام: في ستة أيام تعمل عملك واليوم السابع سبت الرب الهك لما كان لهُ قوة عظيمة على حفظ الوصية تحتم على الراعي أن يشرحهُ شرحًا جهيدًا وافيًا قد يتخلص من هذا الكلام وجوب حث المؤمنين على أن لا يقضوا أيامهم بالبطالة والكسل بل بالحري أن يتذكروا ما قاله الرسول المصطفى: من أن كل أحد يعمل ما يعينه ويشتغل بيديه كما أوصى (تسالو ص4ع11) فضلاُ عن

(485)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

إن الله سبحانه أمرنا بالشغل في نفس هذه الوصية بقوله: في ستة أيام تعمل عملك لئلا يبقى شئ مما يلزم عمله في أيام الأسبوع ويؤخر إلى يوم العيد وهكذا تعاق النفس عن الاهتمام والاجتهاد في الأمور الإلهية.

الحادي والعشرون ماذا يحرّم على الخصوص أيام الأعياد

ثم ينبغي أن نشرح القسم الثالث من هذه الوصية وفيه يصرّح كيف يجب علينا أن نكرّم السبت ونبين على الخصوص ما يحرَّم علينا عمله ذاك اليوم ولهذا قال الرب: لا تعمل فيه أدنى عمل أنت وابنك وابنتك وعبدك والغريب داخل أبوابك: فأول ما نعمله من هذا الكلام هو أن نتجنب كل ما يمكن أن يعيقنا عن أدآ العبادة لله ونفهم بدون صعوبة أن المحرَّم علينا هو كل نوع من الأعمال الخدمية لا كأنها من ذاتها شريرة أو قبيحة بل لأنها تلهي عقلنا وتشغلهُ عن عبادة الله التي هي غاية الوصية وبالأكثر يجب على المؤمنين أن يتجنبوا الخطايا لأنها ليس فقط تصرف نفسنا عن العمل في الأمور الالهية بل تفصلنا أيضًا بالكلية عن محبة الله

الثاني والعشرون أن الأعمال الخارجية العائدة إلى عبادتهِ تعالى غير محرّمة يوم السبت

لا تحرّم تلك الأعمال ولا تلك الأشغال المختصة بعبادة الله ولو خدمية كترتيب المذبح وتزيين الهياكل بداعي يوم عيد ما شاكل ذلك ولهذا قال الرب أن الكهنة يحلون السبت في الهيكل ولا لوم عليهم (متى ص12ع5).

(486)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث والعشرون ويُمسح أيضًا ببغض أعمال خدمية أيام الأعياد لأجل الضرورة

ولا تحرّم هذه السنة بعض أعمال اذا أُهملت يوم العيد تاتي على الانسان بالخسران وقد سمحت بها القوانين أيضًا لهذا الداعي. ثم إن الرب قد أعلن في انجيلهِ المقدس أن أعمالاً أخرى كثيرة تجوز أيام الأعياد كما يرى في بشارة متى (ص12ع3و4و5) وبشارة يوحنا ص5ع8.

الرابع والعشرون لماذا أراد الله أن الحيوانات تستريح يوم السبت

قد عرّض الرب هنا بذكر الحيوانات كي لا يفوتنا معرفة شئ يعيقنا عمله عن تكريم السبت لأن البشر يعاقون عن آداء العبادة يوم السبت بداعي شغل البهائِم فلو أطلقت الدواب إلى العمل يوم السبت الزم أيضًا فعل الانسان لتشغيلها لأنها لا تستطيع وحدها على العمل بل أنها تعاون الانسان الذي يسوقها ويقوم باداتها والحال لا يجوز لأحد العمل ذاك اليوم فإذن ولا للبهائِم التي يستخدمها البشر للعمل ثم اذا كان الله يأمر بهذه الوصية أن البشر يعفون البهائِم من الشغل يوم السبت بأولى حجة يأمرهم أن يخففوا أثقال الأشغال عن الخدم والصناع.

الخامس والعشرون بأي أعمال خاصة يجب على المسيحيين أن يتروضوا أيام الأعياد

لا يفوتنّ الراعي أن يعلم جهده الأعمال والأفعال التي يقتضي أن الشعب المسيحي يمارسها أيام الأعياد فهي الآتي ذكرها وما شاكلها: الحضور

(487)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

إلى بيعة الله وسماع القداس هناك بانتباه وعبادوة واستعمال أسرار الكنيسة المقدسة المرسومة لأجل خلاصنا ومداواة كلوم أنفسنا فلا أصلح ولا أفضل عملاً للمسيحين من أن يعترفوا تواترًا بخاطياهم للكهنة. فللراعي أن يحضهم على اتمام هذا العمل متخذًا البراهين والححج على استحسانه ممما مرّ من الكلام على سر التوبة في محلهِ ويستهمهم أيضًا كل الاستهمام على الاكثار من تناول سر الافخارستيا المقدس. وعلى المؤمنين أيضًا ان يسمعوا الوعظ برغبة واجتهاد لأن ما من شئ أوجب للذم وأقبح من ازدراء كلام المسيح الرب أو سماعهِ يكسل وتهاون ويجب عليهم أن يكثروا من التروض بالصلوات والتسابيح الالهية ويصرفوا أخص اعتنائهم في ان يتعلموا ما يتعلق بتهذيب السيرة المسيحية وتثقيفها ويمارسوا بكل اجتهاد أفعال الرحمة كالتصدق على الفقراء والمعوزين وعيادة المرضى وتعزية الحزاني والمضنوكين بضيق النفس والجسد: لأن الديانة الطاهرة الزكية (كما قال يعقوب الرسول) عن الله الأب هي افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقهم (ص1ع27) فيتخلص مما ورد يرتكب من الاعمال المغايرة قانون هذه الوصية ونظامها.

السادس والعشرون لماذا اقتضى تخصيص بعض أيام لعبادة الله

من واجبات الراعي أيضًا أن يكون واعيًا في ذهنه بالحضرة نقولاً يتخذ منها برهانات وحججًا يقنع بها الشعب أن يحفظ سنة هذه الوصية بالتدقيق والاجتهاد ذلك يفيد كثيرًا في أن الشعب يعقل ويدرك أن

(488)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من العدل والصواب أن تتخذ بعض أيام نصرفها في عبادة الله ونعرف ونكرّم ونعبد ربنا الذي منه نلنا احسانات عظيمة لا تقدّر لأنهُ لو أمرنا أن نعبده كل يوم أما كان واجبًا علينا أن نبذل كل أعمالنا بطيبة القلب الخاطر في سبيل طاعته مكأفاة على ما اسبغه علينا من نعم واحسانات عظيمة لا حد لها ولا نهاية فالآن حيث عين لنا أيامًا قليلة لعبادتهِ فلا يسوغ لنا أن نتهاون ونستصعب قضاء عبادته التي اذا أعملناها ارتكبنا شر ذنب واثم.

السابع والعشرون ما الفائدة التي يغتنمها من يحسنون الطاعة لهذه الوصية

ثم يجب على الراعي أن يبين ما لهذه الوصية من عظيم القوة حتى إن الذي يحفظونها تمام الحفظ يرون كأنهم قائمون تجاه الحضرة الالهية ويخاطبونهُ لأننا نتأمل جلاله الالهي في وقت صلواتنا وتخاطبهُ وفي سماعنا المواعظ نتلقى صوت الله الذي يطرق ما معنا بواسطة أولئك الذين يعظون بالتقوى والقداسة في الأمور الالهية ثم اننا نسجد للمسيح الرب الحاضر في الذبيحة أمامنا على المذبح. فمن يحفظ هذه الوصية تمام الحفظ يتمتع خاصة بهذه الخيرات.

الثامن والعشرون ما القول في الذين يعلمون بالعكس أي يتهاونون كل التهاون في حفظ هذه السَّنة

إن الذين يتهاونون كل التهاون في حفظ هذه الوصية يعصون الله والكنيسة ولا يعبأ بأمره تعالى ومن ثم هم أعداء الله وسنته ويتبين

(489)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ذلك من كون هذه الوصية يمكن حفظها بدون أدنى عناء فإن كان الله سبحانهُ لا يضع علينا أثقالاً بل يأمرنا بان نتجرَّد عن الاهتمامات الأرضية أيام الأعياد فلا جرم أن مخالفة سنة هذه الوصية دليل قحة كبيرة. فينبغي علينا أن ننعظ بالعقاب الذي أنزلهُ الله في الذين تعدوها كما ذُكر في سفر العدد وذلك لما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يتحطب حطبًا في يوم السبت فقاده الذي وجدوه إلى موسى وهرون وكل الجماعة فالقوة في السجن لأنهُ لم يتبين ما يصنع بهِ فقال الرب لموسى يقتل الرجل قتلاً يرجمهُ بالحجارة كل الجماعة في خارج المحلة فأخرجتهُ الجماعة كلها إلى الخارج المحلة ورجموه بالحجارة فمات كما أمر الرب موسى. فمن الواجب اذن كي لا نقع تحت هذه الغضب الالهي أن نردد في ذهننا على التواتر هذه الكلمة: اذكر يوم السبت: وإن نجعل نصب عيوننا تلك الفوائد العظيمة والخيرات الوافرة التي نغتنمها من تكريمنا يوم السبت كما تقدم الكلام ثم أشياء أخرى كثيرة تضاهيها في استطاعة الراعي الجهيد الصالح أن يأتي بإيرادها وبيانها باتساع واسهامها حسبما تقتضي الفرصة وظروف الحال.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(490)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الخامس

في الوصية الرابعة

أكرم أباك وأمك كي يطول عمرك على الأرض التي يعطيكها الرب الهك الأول ما مقام هذه الوصية وما وجه اتفاقها مع الوصايا التي تقدمها

لما كان للوصايا قوة عظيمة ومقام سني فيحق قلنا أن الأشياء التي اقبلنا الآن على بيانها تحل المحل الثاني بعد تلك لكونها في غاية اللزوم لأن الأولى تتجه رأسًا إلى الغاية التي هي الله. أما هذه فترشدنا إلى محبة القريب ونتوصل بها ولو عن بعد إلى الله الغاية القصوى الذي لأجله نحب قريبنا ولهذا قد ساوى المسيح الرب بين هاتين الوصيتين بمحبتهِ تعالى ومحبة القريب اذ قال: هذه هي الوصية العظمى والأولى (محبة الله) والثانية التي تشبهها أحب قريبمك كنفسك بهاتين الوصيتيين يتعلق الناموس كله والأنبياء (متى ص32ع38و39) فلا يقوى اللسان هنا ان يعبر عما لهذا الوصية من الفوائد العظيمة وما تؤتى حافظها من الآثار الغزيرة السنية وانما هي بمنزلة علامة يستدل بها على الطاعة للوصية الاولى وعلى ما تأمر بهِ من العبادة لله. وطبقًا لهذا المعنى يقول يوحنا الحبيب: أن الذي لا يحب أخاه الذي يراه كيف يمكنه أن يحب الله الذي لا يراه (1يوحنا ص4ع20) فعلى هذا النحو

(491)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

إن كنا لا نكرّم ولا نوقر والدينا الذين نلتزم بمحبتهما حسب أمر الرب وهم قائمون لدينا في الحضرة فإي إكرام وأية عبادة تقدمها لله الآب الأعظم والكلي الجودة ولا نراه قط فيتحقق من ذلك إن كلنا الوصيتين في حكم واحد.

الثاني إلى أي حد تمتد وما أكثر ما تفيد الوالدين اسعافًا

إن العمل بهذه الوصية وسبع الأرجاء لأننا نلتزم أن نكرّم عدا أولئك الذين ولدونا أخرين كثيرين بمنزلة والدينا أما بداعي سلطتهم ومقامهم أو نفعهم لنا أو وظيفتهم ثم لأن هذه الوصية داعية إلى تخفيف تعب الوالدين والمتقدمين سنًا ومقامًا لكونهم أول ما يهتمون به هو أن يجعلوا الذين تحت سلطتهم على أن يسيروا سيرة طاهرة بحسب السنة فتتوفر لهم سهولة هذا الاهتمام اذا عرف الجميع أن الاكرام واجب الوالدين بما أن الله سبحانهُ أمر بهِ ونبهنا اليه. ويلزمنا كي نستطيع سبيلاً إلى القيام بهذا الواجب أن نميز الفرق الواقع بين الوصايا المسطرة على اللوح الأول وبين الوصايا المرسومة على اللوح الثاني.

الثالث كيف تتميز وصايا السنة المرسومة على اللوحين

ينبغي على الراعي أولاً وبدأ أن يبين هذه الأمور ويعلم خاصةً أن وصايا الكلمات العشر الالهية قد رُقشت على لوحين ففي اللوح الأول كانت الوصايا الثلث الأولى التي مر بيانها كما علمنا الآباء القديسون اكليمنضوس الاسكندري في كتابهِ 6 والكسندروس آلس

(492)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

في القسم 3 من البحث 29 وعلى اللوح الثاني كانت مرقوشة باقي الوصايا فقد وُضع لنا هذا الرسم كي نتميز أنواع الوصايا بنظامها لأن كل ما أمرت بهِ السنة الالهية في الأسفار المقدسة أو نهت عنه صادر عن أحد هذين النوعين من الوصايا. اذ أن العبرة في كل عمل نعمله انما هي المحبة لله أو للبشر فالوصايا الثلث الاولى تعلمنا المحبة لله وأما ما يتعلق باتحاد البشر وسلامهم وإيتلافهم فيتضمن في السبع الوصايا الأخرى ولذا لم يقع هذا التمييز بين الوصايا عبثًا بأن بعضها رُفش على اللوح الأول وبعضها على الثاني.

الرابع كيف أن المحبة لله تتضمن في الثلث الوصايا الاولى والمحبة للقريب في باقيها وما الفرق بين كلتيهما

إن موضوع الوصايا الاولى الثلث التي تكلمنا عليها والمتجه اليها كأنهُ مادتها هو الله أي خير القريب. ففي الثلاث الأولى محبة الله العظمى وفي البقية محبة القريب. فالاولى تلاحظ الغابة رأسًا والبقية تجري على ما يأول إلى الغابة ناهيك أن محبة الله تختص بذاته الالهية لأن الله بذاتهِ بمعزلٍ عن كل سبب آخر يستحق أعظم محبة أما محبة القريب فتصدر عن محبة الله وتتجه اليها كقانون وقاعدة راهنة لأننا إن أحببنا والدينا واطعنا روسأنا وكرمنا الاعلى منا مقامًا فإننا نفعل ذلك خاصة لأن اله خالقهم وهو أقامهم علينا رؤساء وعلى أيديهم يدبر باقي البشر ويصونهم هو خالقنا ويريد أن نوقر مثل هؤلاء الانام ولأجل ذلك يلزمنا أن نؤدي لهم

(493)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الاكرام والمحبة لأن الله سبحانه حباهم هذا الاكرام كما قال القديس اغوسطينوس في كتابهِ 3 عن التعليم المسيحي فصل 129 وفي كتابهِ 4فصل 29و11و12 من اعترافهِ فينتج من ذلك أن الاكرام الذي نقدمهُ لوالدينا يستبين أننا نقدمهُ لله أكثر مما أننا نقدمه للبشر لأن الرب يقول في انجيل متى في صدد اكرام الرؤساء: من قلبكم فقد قبلني (ص10ع40) والرسول المصطفى في رسالتهِ إلى أهل أفسس لدى تكلمه على العبيد يقول: أيها العبيد طبعوا ساداتكم الجسديين بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح لا يخدمه العين كمن يرضي الناس بل كعبد المسيح (ص6ع5).

الخامس كيف محبة الله لا تنحصر حد بخلاف محبة القريب

يلي ما تقدم أننا لا نستطيع قطعًا أن نكرّم الله ونحبه ونعبده بقدر ما يستحق بل المحبة لهُ قابلة الزيادة إلى ما لا ينتهي فلهذا من اللزم إن محبتنا لله تزداد اضطرامًا يومًا فيومًا فبموجب أمره تعالى نلتزم أن نحبه من كل قلبنا ومن كل نفسنا ومن كل قوانا (تثنية ص4ع5) فلم يوضع حد لهذه المحبة كما قال القديس اغوسطينوس في تفسيره المزمور 62 ومار توما اللاهوتي في الجزء 20 في الفصل 7و8 من البحث 24. أما محبة القريب فقد انحصرت ضمن حدود معلومة لا تتجاوزها لأن الرب يأمرنا بأن نحب قريبنا كنفسنا (أحبار ص19ع18) فمن يتجاوز هذه الحدود بنوع أنهُ يساوي بين الله والقريب بالمحبة يخطئ شر خطآء بدليل قوله تعالى من يأتِ اليَّ ولا يبغض أباه وأمهُ وبنيه

(494)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ومرأته واخوته واخواته حتى نفسه فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا وبهذا المعنى قال الرب لمن أراد أن يدفن أباه قبل أن يتبع المسيح دع الموتى تدفن موتاها وامضِ وأنت وبشر بملكوت الله (متى ص8ع22)ولنا بيان واضح وأجلي لهذا القضية في قول ربنا ببشارة متى الرسول: من أحب أبًا أو أمًا أكثر منى فما يستحقني (ص10 ع37).

السادس كيف يجب أن نحب والدينا ولأي سبب لا نلتزم أحيانًا أن نطيعهم

فلا شك أننا نلتزم أن نحب والدينا محبة شديدة ونكرّمهم وافرًا غير أن التقوى تستلزم أولاً وبدءًا أن نكرّم أبا الجميع وخالقهم أعظم اكرام ونعبده اسمى عبادة ولهذا نحب والدينا الجسديين محبة تأول كل قوتها وعزمها إلى الأب السماوي الأزلي. فإن اتفق أحيانًا أن أوامر والدينا تخالف وصايا الله فلا شك أن الاولاد يلتزمون أن يفضلوا مشيئة الله على مشيئة والديهم. فلا ينسوا ما قاله الرسل ينبغي أن نطيع الله أكثر من الطاعة للبشر (ابركسيس ص5ع29)

السابع ماذا تعني لفظة اكرام بحصر المعنى في هذه الوصية

بعد أن يكون الراعي شرح ما تقدم ياتي إلى تفسيلا كلام الوصية وأولاً إلى بيان المعنى المقصود بلفظة اكرام فالاكرام هو عبارة عن الحكم بإجلال أحد واعتبار ما لهُ عظيمًا ويجمع هذا الاركرام بين المحبة والاحترام والطاعة كما قال مار توما اللاهوتي في القسم 1و5 من البحث 122 وارسطو الفيلسوف في الفصل 6 من كتاب

(495)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الادبيات. فبحق وصواب قد وضعت لفظة اكرام في السنة لا لفظة محبة أو مهابة ولو أن الاولاد يلتزمون أن بحبوا والديهم محبة شديدة ويهابوهم أعظم مهابة لأن المحبة لا تسلتزم دائمًا التوقير والاكرام والمهابة بل تقترض دائمًا المحبة بل أن من يكرم أحدًا قلبيًا في الوقت ذاته يحبه ويوقره. فإذا انتهى الراعي من شرح هذا الأصول ياتي بالكلام على الوالدين ويبين من هم الذين يعرفون بهذا الاسم.

الثامن من هم الذين يعرفون هنا باسم أب أو والد

إن الشريعة ولو عنت خاصةً بالأباء الذين وُلدنا منهم ومع ذلك قد يطلق هذا الاسم على غيرهم ممن تتناولهم السنة أيضًا كما يتخلص بدون عناء من نصوص كثيرة وردت في الأسفار المقدسة فإذن عدا الأباء الذين ولدونا توجد أنواع أباء أخرين ذكرهم الكتاب المقدس وأشرنا اليهم سابقًا وحكمنا بوجوب الكرامة لكل منهم فأولاً يُدعي آباء ولاة الكنيسة والرعاة والكهنة كما يتبين من كلام الرسول المصطفى القائل: وما كتبت هذه الرسالة لاخجلكم بل لأعظكم كأولادِ لي أحباء لأنه لو كان لكم في يسوع المسيح ربوات من المعلمين لكن ليس لكم أبًا كثيرين لأنني أن بيسوع المسيح ولدتكم بالبشارة (1قور ص4ع14و15) وكتب في سفر ابن سيراخ: لنمدح الرجال النجباء أباءنا الذين ولدنا منهم (ص44ع1) ثم يمسي أباء وأولئك الذين قد فوضت اليهم ولاية أمور أو ملك أو سلطة ويدبرون أمور الشعب. هكذا عبيد نعمان السرياني كانوا يسمونه أبًا (4ملوك ص5ع12) وداود يدعو شاول أبًا.

(496)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ثم يعد آولئك الذين كانوا مشهورين بعلو همتهم وصلاحهم وحكمتهم كالأوصياء على الصغار والأيتام والوكلاء والمعلمين والمهذبين. وعليهِ كان أبناء الأنبياء يسمون ايليا واليشاع أبوين. وفي الآخر نسمي أباء الشيوخ الطاعتين في السن. فعلى الرعاة أن يبذلوا جدّ الاهتمام في أن يعلموا بوجوب الاكرام للاباء الذين ذكرناهم بأنواعهم ولا سيما الذين ولدونا ووقع عليهم الكلام في هذه الوصية.

التاسع لماذا يلتزم الاولاد المسيحيون ان يقدموا اكرامًا خصوصيًا لأبائهم الجسديين

لأن الوالدين هم بمنزلة تماثيل الله الحي وفيهم نشاهد صورة وجودنا في العالم ومنهم اتخذنا الحياة الجسدية وقد استخدمهم الله في اعطائه إيانا على يدهم النفس والعقل وهم الذين اقتادونا إلى قبول الأسرار المقدسة وأرشدونا إلى الديانة والعبادة وهذبونا بمعرفة الأدبا السليمة والقداسة. وليعلم الراعي أيضًا أن الأم تتضمن في هذه الوصية في حكم الاكرام والمحبة كي نعتبر فضلها واحسانها لنا ما قاسته من العناء في حلمها إيانا في أحشائها وما كابدتهُ من الأوجاع في ولادتها إيانا وتربيتنا. كما قال ابن سيراخ: أكرم أباك من أقصى قلبك ولا تنسَ تنهد أمك اذكر أنك لولاهما لما ولدت فجازهما ككفايتهما لك (ص7ع21) وطوبيا: وأكرم والدتك جميع أيام حياتها واذكر ما المشقات التي عانتها لأجلك في جوفها وما كان أشدها (ص4ع2و3).

(497)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عاشرًا على أي وجه ينبغي أن نؤدي الاكرام لوالدينا الجسديين

ينبغي أن نكرم والدينا اكرامًا صادرًا عن جوارح القلب. وبكل حق وعدل يتوجب لهم ذلك لأنهم على درجة من المحبة لنا لا تأذنهم من أن يجانبوا أدنى تعب ومشقة وخطر بسببنا وما من شئ أهنى لديهم من ان يشعروا بكونهم محبوبين من اولادهم الذين عندهم في أعلى درجة من المحبة فإن يوسف الذي كان يقارب الملك بكرامة والمقام في مصر تلقي أباه يعقوب واسرائيل بالمجد والكرامة حين قدم إلى مصر وسليمان الحكيم لما دخلت أمه عليه قام إجلالاً لها وأجلسها على يمينه في العرش الملوكي. وتوجد أيضًا واجبات وإكرام أخرى ينبغي أن نؤديها لوالدينا وذلك أننا نكرّمهم أيضًا حين نلتمس لهم من الله أن يأتيهم بكل خير وتوفيق وأن يكونوا مكرمين عند الناس أعظم اكرام ونبتهل لله وقديسيه في السماء أن يشملوهم بالبركة والرضى. ثم نكرم لوالدينا حين نذعن لقولهم وارادتهم ولنا على ذلك برهان قاطع من كلام سليمان الحكيم القائل: اسمع يا بُنيَّ تأديب أبيك ولا تنبذ شريعة أمك فإنها اكليل نعمة لرأسك وأطواق لعنقك (أمثال ص1ع8) ويمثل ذلك يامرنا الرسول المصطفى قائلاً: أيها البنون اطيعوا والديكم في الرب فإن هذا هو العدل (أفسس ص6ع1) وقوله أيضًا: أيها البنون اطيعوا والديكم في كل شئ فإن هذا هو المرضى في الرب (قولو ص3 ع20) ويثبت ذلك أيضًا بنموذجات الأنام الأفاضل القديسين

(498)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كإسحق لأن أباه حين بسطهُ على المذبح ليقدمه ذبيحة الله قد أطاع بكل مهابة وبدون أدنى تردُّد ثم أن الراحبين (أي بني راحاب) قد امتنعوا عن شرب الخمر للأبد لئلا يخالفوا وصية أبيهم. وفي الأخر أننا نكرّم والدينا حين نقتدي باعمالهم الصالحة وأدابهم الحميدة لأنا نكرّم تكريمًا جزيلاً أولئك الذين نروم أن نتشبه بهم بقدر مكتنا ثم نكرم الوالدين ليس في التماسنا مشورتهم وأرائهم فقط بل أيضًا في اتباعهما

الحادي عشر كيف يجب علينا ان نساعد والدينا في احتياجاتهم ولا سيما في خطر الموت

ينبغي أن نساعدهم بإمدادنا إياهم بما يلزمهم من القوت والمعاش وهذا ثابت من شهادة المسيح الرب في توبيخهِ الفريسين على اثمهم ونفاقهم اذ قال: وأنتم لماذا تتعدون وصية الله من أجلّ سنتكم فقد قال الله أكرم أباك وأمك وكذا من لعن أباه وأمه فليقتل قتلاً وأنتم تقولون كل من قال لأبيه أو أمه كن قربان مني تنتفع بهِ فلا يكرم أباه وأمه فقد أبطلتم وصية الله من أجل سنتكم (متى ص15ع3و4) وعلينا أن نقدم كل حين مواجب الاكرام لوالدينا ولا سيما حينما يصابون بأمراض ذات خطر لأننا نلتزم حينئذٍ أن نبذل كل ما في وسعنا لئلا يفوتهم شئ مما يتعلق بالاعتراف السري أو بباقي الأسرار التي يجب على المسيحيين أن ينالوها حين يشرفون على الموت. ومن واجبات اهتمامنا أن ندعو الأناس الأفاضل الأنقياء إلى أن يكثروا من عيادتهم ويشددوا عزائمهم ويساعدوهم بمشورتهم أو ينعشوهم إلى رجاء الحياة الدائمة

(499)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

حتى اذا جردوا عقولهم من الامور الزمنية يلقون كل اتكالهم على الله وعلى هذا المنوال يتمنطقون بالايمان والرجاء والمحبة ويتحصون بحمى الديانة فلا يخافون الموت لكونهِ أمرًا محتومًا على الجميع بل يعدونه طريقًا للدخول في الأبدية السعيدة فيرتاحون اليه بشوق.

الثاني عشر كيف يجب أن نكرّم والدينا بعد وفاتهم

ثم نكرّم والدينا بعد وفاتهم اذا اقمنا لهم حفلة اللائق بشأنهم وإكرمنا دفنتهم واذا قدمنا قداسات كل عام لراحة نفوسهم واذا تممنا بالتدقيق جميع ما أوصوا بهِ في حياتهم.

الثالث عشر كيف يجب أن نكرم الأساقفة والكهنة

ينبغي أن نكرّم ليس والدينا ولدنا منهم فقط بل أيضًا أولئك الذين ندعوهم أباء كالأساقفة والكهنة والملوك والولاة والحكام والأوصياء والوكلاء والمعلمين والمشايخ وما شاكلهم لأنهم يستحقون أن يجنوا أثمرًا من محبتنا وطاعتنا لهم ومساعدتنا لهم كل حسب ما يقتضيه حاله ومقامه. وأما عن الأساقفة وباقي الرعاة فقد كتب رسول الأمم قائلاً: وليحسب الكهنة الذين يسنون التدبير أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم (1تيمو ص5ع17) أما أهل غلاطية فقد قدموا للرسول المعظم دلائل حب وطاعة لا تقدَّر حسبما شهد لهم الرسول نفسه رسالتهِ اليهم اذ قال: أنني أشهد لكم أنكم لو استطعتم لكنتم تقلعون عيونهم وتعطونيها (ص4ع15)

(500)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرابع عشر كيف يجب أن نقدّم للكهنة ما يلزمهم من القوت والمعاش

ثم نلتزم أن نقدم للكهنة لوازم المعيشة ولهذا قال الآنا المصطفى من يسعى إلى الحرب والنفقة على نفسه (1قور ص9ع7) وقد كتب في ابن سيراخ: اتقِ الرب وأكرم الكاهن وأعطهِ حصته بحسب ما أمرت بهِ والباكورة لأج الخطآء. (ابن سيراخ ص7ع33و34) وعلمنا الرسول أن نقدّم لهم الطاعة قائلاً: اطيعوا مدبريكم واخضعوا لهم لأنهم يسهرون على أنفسكم كمن يعطون جوابًا عن نفوسكم (عبر ص13ع17) لا بل أن المسيح الرب قد أمرنا بالطاعة والرؤساء ولو شريرين اذ قال: قد جلس الكتبة والفريسيون على كرسي موسى فكل ما قالوه لكم احفظوه واعملوا به ولكن مثل أعمالهم لا تعلموا لأنهم يقولون ولا يفعلون (متى ص23ع2و3)

الخامس عشر يجب علينا أن نكرّم أيضًا الحكام العالميين

يلزمنا أن نقدم الاكرام نفسه للملوك والولاة والحكام الذين نحن تحت سلطانهم فإن الأناء المصطفى أسهب الكلام على وجوب تقديم هذا الاكرام والوقار لهم في رسالتهِ إلى الرومانيين وأمر بتقديم الأدعية لأجلهم وهامة الرسل يقول: فاخضعوا اذن لكل خليقة بشرية من أجل الرب أما الملك فكالأ على وأما للولاة فكالمرسلين من قبله (1بطرس ص2ع13و14) لأننا اذا قدمنا لهم الاكرام فذلك يعود إلى الله لأن الدرجة المقام العالي تستوجب الالكرام من البشر لأنها تمثل

(501)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

القدرة الالهية وتحترم في هذا المقام العناية الالهية التي خولتهم وكالة الأمور الجمهورية وتستخدمهم بمنزلة أعوان سلطتها السامية

السادس عشر كيف يجب علينا ان نطيع الحكام العالميين ولو أشرارًا ومتى لا ينبغي ذلك

أننا لا نكرّم شر البشر أو نفاقهم فإن كان الحكام أشرارًا نكرّم السلطة الالهية التي خوّلوها وما لعلهُ يستبين مستغربًا هو أننا نلتزم بتكريمهم ورعايتهم ولو اضمروا لنا البغضاء والعداوة واستقر في قلوبهم الغيظ والغضب علينا. لأن داود كان يكرّم شاول أجزل تكريم مع أنهُ كان الدّ أعدائه. وقد أشار إلى ذلك بقولهِ: أنني للسلم وحين أنطق بهِ فإنهم للحرب (مزمور119ع7) وقال ايضًا: مع مبغضي السلام كنت صاحب سلامة (مزمور119ع7) أما اذا أمروا بفعل شر أو اثم فلا يجوز أن نطيعهم قطعًا لأنهم لا يفعلون ذلك عن سلطان بل عن جور وخبث قلوبهم. فغب أن يكون الراعي يشرح شرح هذه الأشياء بمفرادتها يبادر إلى الكلام على الجزاء والثواب المعد لمن يطيعون هذه الوصية الالهية.

السابع عشر أي ثواب يعده الله لمن يطيعون والديهم

إن الأولاد الذين يطيعون والديهم يغتنمون فائدة عظمى بأن يعيشوا زمانًا مديدًا لأنهم يستحقون أن يتمتعوا طويلاً بهذا الاحسان اذ يحفظون ذكره في أذهانهم إلى الأبد. فإذن من يكرّمون والديهم مكافأة لهم على كونهم علة وجودهم في هذه الدنيا بعد الله يبلغون من الحياة إلى

(502)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أقصى شيخوخة بحق وعدل ثم باقي الرعاة ببيان الوعد الالهي وهو أن الله تعالى وعدهم ليس بالحياة الأبدية السعيدة فقط بل أيضًا بطول الحياة في هذه الدنيا وقد عبر عن هذه الحقيقة رسول الأمم بقوله: أما التقوى فتنفع في كل شئ ولها موعد الحياة الحاضر والمستقبلة (1تيمو ص4ع8)

الثامن عشر كم يجب أن نعتبر الوعد هنا بطول الحياة

إن هذا الأجر ليس بزهيد ولا ينبغي أن نستخف بهِ ولو أن الأنام القديسين كايوب وداود والرسول قد أثروا الموت على حياة الدنيا وبعض الناس الأشقياء يكرهون طول الحياة لتنغصها بالأكدار والكروب لأن الله قد أردف وعده بطول الحياة بقوله: على الأرض التي يعطيكها الرب الهك مشيرًا بهذا الكلام ليس إلى الوعد بطول الحياة فقط بل أيضًا إلى حياة موعبة راحة واستكانة وسلامًا. لأنهُ في سفر تثنية الاشتراع لم يقل فقط أكرم أاك وأمك كي تطول أيامك: بل زاد قوله: وتصيب خيرًا (ص5ع16) وروى رسول الأمم هذه الآية نفسها قائلاً: كي تصيب خيرًا تطول أيامك على الأرض (أفسس ص6ع3).

التاسع عشر كيف الذين يكرمون والديهم ينالون الأجر الموعود بهذه الوصية ولوماتوا سريعًا

نقول أن هذه الخيرات الموعود بها في هذه الوصية تصيب أولئك الذين ينعم الله عليهم مكافأة على طاعتهم لوالديهم. لأن الله سبحانه قد وعد وحاشا أنهُ يخلف وعده وأما اذا كان أحيانًا بعض الاولاد

(503)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الذين يكرمون والديهم يعيشون عمرًا قصيرًا فذلك يتأنى أما عن تدبير العناية الالهية لأجل خيرهم الأعظم اذ ينقلهم الله من هذه الحياة قبل أن يتعرجوا عن سبل الفضيلة والعبادة فقد قال الحكيم: خطفه كي لا يغير الشر عقله ولا يطغى الغش مفسه وأما أن الله ينقلهم من أجسادهم حين توشك أن تحل الضربات في العالم واضطراب أحوال الخلائق كلها كي ينجوا من مرارة تلك الأزمنة التعيسة بدليل قول النبي اشعيا: من ووجه الشر ضمّ الصديق (اشعيا ص57ع1) وهعذا يحدث لئلا تمسي فضيلتهم أو خلاصهم في خطر الضياع حين يعاقب الله الناس بالضربات لأجل شرهم واثمهم أو حذرًا من أن يذوقوا أكواب الأحزان والغموم الشديدة من قبل ما يحل النكبات الأليمة باهلهم وأصدقائهم ولهذا كان من دواعي الخوف الشديد موت الأبرار قبل أوانهِ.

العشرون أي عقاب يحلّ بالذين يخالفون هذه الوصية

كما أن الله سبحانه قد أعدّ الأجر والمكافأة لمن أحسنوا معرفة الجميل لوالديهم هكذا قد قيض أشد العقاب للأبناء الكنودين الأثمة اذ قد ورد في الكتاب الالهي من يلعن أباه وأمه قتلاً يقتل (خروج ص21ع17) وقيل أيضًا: من أشقى أباهوطرد أمه فهو ابن الخزي والعار (أمثال ص19ع26) وجاء أيضًا من قولهِ تعالى: من لعن أباه وأمه ينطفئ سراجه في قلب الظلمة (أمثالص20ع20) ومن قولهِ أيضًا: العين المستهزئة بالأب والمستخفة بطاعة الأم تفقأها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر (أمثالص30ع7) وقد قرأنا في الأسفار

(504)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الالهية أن الله قد انتقم بشدة غضبهِ من أولاد كثيرين اهانوا والديهم ولم يترك داود عبده من دون ان ينتقم لهُ من ابنه ابيشالوم الذي عصاه بل عاقبهُ بثلاثة سهام انشبها في قلبه بواب قائد جيش داواد أبيه (2ملوك ص18ع14) أما الذين لا يطيعون الكهنة فقد كتب عنهم في سفر تثنية الاشتراع: وأي رجل كان متجبرًا حتى لا يسمع من الكاهن الواقف هناك يخدم الرب الهك أو من الفاضي فليقتل ذلك الرجل (ص17ع12)

الحادي والعشرون كيف يجب على الوالدين أن يجعلوا ذواتهم مستحقين لذاك الاكرام المرسوم بأمره تعالى

كما أن السنة الالهية قد رسمت أن الاولاد يكرمون والديهم ويطيعونهم ويحترمونهم هكذا قررت أن يكون عمل الوالدين واهتمامهم الخصوصي في أن يشربوا أولادهم الأداب المقدسة ويهذبوهم بالخصال الحميدة ويدربوهم أحسن تدريب في العيشة الصالحة فإذا ما تفقهوا وتأهبوا حسنًا للديانة يكرمون الله بالطهارة والقداسة كما قرأنا في سفر دانيال النبي ما علمه والدا سوسنة مع ابنتها المذكورة. فعلى الكاهن أن يعظ الوالدين في أن يعلموا أولادهم بقولهم وفعلهم الفضيلة والعدل والعفة والاحتشام والقداسة وأن يجتنبوا على الخصوص ثلاثة أمور التي كثيرًا ما يعثرون فيها أولاً فليحترسوا من أن يخاطبوا أولادهم بقساوة وجفاء ويامروهم بشئ عنيف وهذا ما اوصى بهِ الرسول المعظم اذ قال: أيها الأباء لا تنيظوا بنيكم لئلا يفشلوا (قولو ص3ع21) لأنهُ يخشى

(505)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من أن الجفا والقسوة في الأبناء الجبانة وضعف القلب اذ يمسون يخافون من كل شئ ولهذا يوصيهم بان يجانبوا القسوة الشديدة وبان يؤدبوا أولادهم تأديبًا لا أن ينتقموا منهم انتقامًا.

الثاني والعشرون ينبغي ان الوالدين لا يفرطون بالارتخاء أولادهم ولا يبالغون بالتعب كي يخلعوا لهم ميراثًا وافرًا

الأمر الثاني هو أنهُ اذا اقترف الاولاد ذنبًا لا ينبغي على الوالدين أن يفرطوا بالتسامح معهم لأنهم كثيرًا ما ينفسدون بلين والديهم المفرط وتسامحهم. فلذلك يلزمهم أن يتجنبوا مثل هذا التراخي وليخافوا هذا التسامح الرائد لئلا يصيبهم ما أصاب عالي الكاهن الذي عوقب شر عقاب لفرط تساهلهِ مع أولاده (دونك روايتهُ في سفر الملوك الأول ص4) الأمر الثالث والأخير هو أقبح مما ورد أن لا يعتمدوا مشورات ومقاصد تغاير تربية الأولاد وتناقض تهذبيهم لأن كثيرين من الوالدين لا ينهمكون ولا يفتكرون الاّ في ان يخلفوا لأولادهم وخلاصهم الابدي ولا بان يرشدوهم إلى اعتبار الفضيلة بل يبذلون كل عنايتهم وجهدهم في أن يكثروا لهم المال والغنى فما من فكر ولا اهتمام أقبح من هذا الفكر والاهتمام كما قال القديس امبروسيوس في الفصل 3من كتابهِ إلى غراسيانوس ومثل هؤلاء الوالدين مثل أم ابني زبدى التي قدّمت ولديها إلى الرب يسوع لا ليعلمهما أمور الخلاص ويرشدهما في سبل الفضيلة بل ليوليهما

(506)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

هذا القول: لا تقتل عبارة عن تحريم القتل كليًا فلذا وجب على كل انسان أن يتلقى هذه الوصية بمزيد السرور كأن الله تعالى حرّم بها على سائر البشر تحت طائلة غضبه وتحت أشد العقاب أن يتطاولوا عليه بضروه: فاذن كما ان هذه الوصية مرغوب في سماعها هكذا لا بد من أن اجتناب الاثم المحرّم بها يخول العذوبة والسرور.

الثاني ما تنهي عنه هذه الوصية وما تأمر به

إن ربنا يسوع المسيح لما كان يشرح هذه الوصية أبان انها تحتوي على أمرين أولهما لا تقتل وهو النهي وثانيهما الامر بما ينبغي علينا عمله وهو ان نقابل أعدانا بالمسالمة والودّ والمحبة وأن نعتمد خطة الصلح والسلام مع جميع البشر وأن نتحمل بالصبر والدعة كل ما يتأنى علينا من الأكدار والمشاق.

الثالث يجوز أن نقتات بالبهائم ونقتل الحيوانات

قد حرّم الله القتل بهذه الوصية انما لما كان للقتل أنواع متبانية لزم الراعيأن يبين أولاً أي قتل لم يحرَّمهُ الله. لأن قتل الحيوانات لم يحرَّم كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2 في الفصل 1 من البحث 64 بدليل قولهِ تعالى: وخوفكم وذعركم يكونان على جميع وحش الارض وجميع طير السماء وكل ما يدب على الأرض وأسماك البحر أنها مسلمة إلى أيديكم (تكوين ص9ع2) لأن الله قد مسح للناس أن يقتاتوا بها فإذن قد جاز لهم أن يقتلوها وعليهِ قال القديس اغوسطينوس في كتابه الأول عن مدينة الله في الفصل 20 منه وفي كتابهِ 2من عوائد

(509)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تباع ماني في الفصل 13و14و15: لما نسمع قول الله: لا تقتل. لا تفهمه عن الاثمار التي لا حس لها ولا عن الحيوانات الغير الناطقة لأن ليس لهاادنى شركة معنا بنوع من الأنواع.

الرابع يجوز لولاة الامور أن يحكموا بالاعدام على الأشرار ويقتلوهم بموجب السنة

وجاز أيضًا نوع آخر من القتل يتعلق بالحكام الذين اعطوا سلطانًا على القتل بامر الشرائع وحكمها فيعاقبون بالاعدام فاعلي الشرور ويحمون الأبرياء كما قال القديس اغوسطينوس في رسالتهِ 154 إلى بوبليكولا وفي رسالتهِ 154 إلى مكدونيوس لأن الحكام طالما يستعملون سلطان وظيفتهم بالعدل لا يأثمون حينما يحكمون بالاعدام على المجرمين بل يكونون جارين على طاعة الوصية الناهية عن القتل. لأنهُ لما كان الغرض من هذه الوصية المحافظة على حياة الناس وخلاصهم كان العقاب الذي ينزله الحكام الشرعيون بالأشقياء ياول إلى الحصول على هذا الغرض أي إلى قمع وقاحة المعتدين وظلمهم بعقوبة القتل كي تكون حياة البشر في أمان ولهذا قال النبي داود: في كل غداة استأصل جميع منافقي الأرض حتى ينقرض من مدينة الرب جميع فاعلي الاثم (مزمور100ع8)

الخامس كيف لا يأثم ثم ايضًا الذي يقتلون في الحرب العادلة

ولا يأثم أيضًا من يقتلون الاعداء في حرب عادلة لا عن طمع ولا عن قسوة بل عن اجتهاد في مصلحة الجمهور. ناهيك من أن مثل هذا

(510)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

القتل قد جرى بامر الله صريحًا كما فعل ابراهيم الخليل (تكوين ص14ع15) وأبناء اللاويين لم يخطئوا حين قتلوا عدة الوف في يوم واحد فمن بعد هذه المتقلة خاطبهم موسى قائلاً: كرّسوا اليوم أيديكم للرب (خروج ص32ع29)

السادس لا يرتكب ذنب القتل من يقتل انسانًا خطاء وبغير عمد

لا يذنب بحق هذه لوصية من بدون ارادته وبغير قصد يقتل انسانًا ولهذا ذكر في سفر تثنية الاشتراع: وهذا حكم القاتل الذي يهرب اليها فيحيا من قتل صاحبهِ عن غير عمد وهو غير مبغض له من أمس فما قيل كما اذا ادخل غابًا مع صاحبه ليقطع حطبًا فضرب بالفأس ليقطع الحطب فاتفلت الحديد من العود فأصاب صاحبه فمات فهذا يهرب إلى واحدة من هذه المدن فيحيا كي لا يسعى ولي الدم في طلب القاتل عند اضطرام قلبه ويدركه لبعد الطريق ويقتله وليس عليه حكم قتل (تثنيةص19ع5و6) فمثل هذا لكونه قتل بدون ارادة وعن غير عمد لأجل ذلك لا يحسب خطية بتةً وعليهِ قال القديس اغوسطينوس في هذا الصدد: معاذ الله ان يحسب علينا ما نفعلهُ لأجل الخير أو ما كان جائزًا اذا صدر منه ضرر لأخر بدون ارادتنا في رسالتهِ 154 إلى بوبليكولا.

(511)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السابع كيف يرتكب اثم القتل من يقتل أحدًا بطريق الصدفة وبدون ارادته

قد ياثم الانسان بالقتل ولو وقع بدون ارادة في مسئلتين أولاهما اذا قتل أحد انسانًا في حال مباشرته عملاً غير جائز مثلاً اذا لكَمَ امرأة حاملاً في بطنها أو رفصها برجلهِ فاسقطت الجنين فالاسقاط جرى بدون ارادة الضارب ولكن ليس بدون ذنبهِ حيث لا يجوز قطعًا ان يضرب امرأَة حبلى. وقد صرّح ذلك في سفر الخروج حيث قال: اذا اختصم قوم فصدموا امراة حاملاً فقسط الجنين ولم يتأَت ضرر فليغرم الصادم كما يفرض عليه بعل المرأَة ويؤدي عن يد القضاة (ص21ع23) ثانيهما اذا قتل انسانًا عن تهاون وبدون احتراس ولم يستدرك كل ما يجب استدراكه لمجانية القتل كما جرى للأمك (تكوين ص4ع13)

الثامن قد يجوز للانسان أيضًا أن يقتل آخر وقاية لحياتهِ

ومن نوع القتل الجائر أيضًا هو اذا قتل الانسان آخر وقايةَ لحياتهِ ودفاعًا عنها غب استعماله كل احتياط ودراية للنجاة من المعتدي ولم يقدر على ذلك بدون قتله. فهذا من البيّن أن ليس عليهِ حكم القتل فأنواع القتل التي ذكرناها مستثناة من الوصية وكل ما عداها محرَّم سواء كان بالنظر إلى القاتل أو المتقول أو الطرائق التي يجري بها القتل.

(512)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع لا يجوز لأحد أن يقتل بسلطانهِ الخصوصي أما بالنظر إلى القاتلين فالسنة منهم أحدًا لا الأغنياء ولا المقتدرين ولا السادة ولا الوالدين بل قد حرّم القتل على الجميع بدون ميزة أو استثناء

العاشر ما من أحد الاَّ ويستطيع أن يكون في الأمن بهذه الوصية

اذا لاحظنا الذين يُتقلون نرى أن السنة تتناول الجميع فما من أحد ولو وضيعًا ودنى القدر الاَّ وتحميه هذه الشريعة ولا يجوز أحد أن يقتل نفسه حيث ما من أحد مسلطًا على حياتهِ حتى يستنتج أن ينزل الموت في ذاتهِ على ايثاره ولهذا لم يقيد نهي الوصية على قتل آخر اذ لم يقل لا تقتل أخر بل قال بالاطلاق: لا تقتل دليلاً على تحريم القتل مطلقًا أي لا تقتل البتة لا نفسك ولا غيرك.

الحادي عشر بكم وجه يتفق وقوع المخالفة لهذه الوصية

اذا نظرنا إلى الوسائط التي يصير بها القتل نراها كثيرة وكلها محرّمة بهذه الوصية. لأنه لم يحرّم فقط كل انسان أن يقتل بيديه أو بحديد أو بحجر أو بعصا او بفخ او بسم بل أيضًا بشورهِ أو بمساعدته أو بأي نوع كان لهذا قد بلغ اليهود حد الفظاعة من عمى البصيرة والجهل لاعتقادهم أنهم يحفظون هذه الوصية اذا امتنعوا فقط عن القتل بأيديهم أما الانسان المسيحي الذي تعلم من المسيح الرب أن هذه السنة روحية أي أنهم لا تأمرنا فقط بأن تكون أيدينا طاهرة بل نفسنا أيضًا

(513)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فلا يكيفه أن يكون طاهر اليدين كما كان يتوهمه اليهود بل طاهر القلب حتى أن الرب قد نهانا أيضًا في انجيلهِ المقدس من ان نغضب على أحد اذ قال: وأنا اقول لكم كل من يغضب على اخيه وجبت عليه الدينونة ومن قال لأخيهِ راقًا يستوجب حكم المحفل ومن قال يا أحمق يستوجب نار جهنم (متى ص5ع22).

الثاني عشر كيف يخطئ من يغضب وكيف يتفق انهُ لا يخطئ

يتبين من الآية السابق ايرادها أن من يحتدم غيظًا على أخيه لا يخلو من الاثم ولو أنهُ أكمن الغضب في قلبهِ ومن يبدي الغضب بملامة ظاهرة يخطئ ثقيلاً وتكون خطيته أثقل اذا قارن الغضب معاملة أخيه بالقسوة وقذف الشتائِم والتعبير على أن هذا القول موقعًا اذا لم يكن أدنى سبب لغضب أما سبب الغضب المسموح به من الله والشرائع فهو حين نغضب على من هم تحت طاعتنا وولايتنا اذا اذنبوا لأن غضب الانسان أن المسيحي ينبغي أن يصدر لا عن الآلام النفسانية بل عن الروح القدس فيلزمنا أن نكون هياكل للروح القدس يحل فيها يسوع المسيح ولنا الأدلة القاطعة على ما ذكر في سفر المزامير (مزمور4ع5) وفي رسالة رسول الأمم إلى أهل أفسس (ص4ع26 و1قور ص6ع13 وأفسس ص3ع17).

(514)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث عشر كيف يحفظ الناس هذه الوصية بالتمام وكيف يخالفها كثيرون

قد علمنا الرب أشياء كثيرة تتعلق بكمال هذه الوصية وحفظها من جملتها ما ورد من قوله تعالى: لا تقاوموا الشر لكن من لطمك على خدك الأيمن حوّل لهُ الأيسر ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فدع لهُ ردأَك ومن سخرك ميلاً واحدًا فامضِ معهُ ميلين (متى ص5ع39) فنعلم مما ذُكر ما أشد ميل الناس إلى اقتراف الخطايا المحرّمة بهذه الوصية وما أكثر الذين يرتكبون اثم القتل اذا لم يكن باليد فعلاً فافله بالقلب والنية

الرابع عشر أن الأسفار الالهية تدل جليًا على ان خطية القتل ممقوتة كل المُقت

لما رتبت الأسفار المقدسة أدوية لهذا الداء المضال لزم الراعي من قبل وظيفته أن يقدمها للمؤمنين ولا سيما هذا الدواء الفعال وهو أن يعقلوا ما لخطية القتل من الفظاعة وهذا يستدل عليهِ جليًا من النصوص الكثيرة الواردة في الكتاب المقدس لأن الله سبحانه يمقت خطية قتل البشر مقتًا هذا حده حتى انهُ يطلب من يد الوحوش دم الناس بدليل قوله: أما دمًّا وكم فاطلبها من يد كل وحش اطلبها (تكوين ص9ع59 أي أنهُ يعاقب البهائِم أنفسها على قتلها الانسان وأعلن ذلك بصريح العبارة اذ قال: أن نطح ثور رجلاً وامرأَة فمات فليرجم الثور ولا يؤكل من لحمه (خروج ص21ع28) وليس لسبب

(515)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ آخر أراد الله أن يمتنع الانسان عن أكل الدم الاَّ ليمنع قلبه ويديه من خطية قتل الانسان الفظيعة.

الخامس عشر يتبين بدليل العقل ان خطية القتل غاية في الفظاعة

إن الناس القتلة هم أعداء الطبيعة الالداء لأنهم يتلقون بقدر ما في مكنتهم عمل الله العام بقتلهم انسانًا شهد الله أنهُ صنع جميع المخلوقات لأجلهِ لا بل ان الكتاب المقدس لما حرّم قتل الانسان تعلل بكونهِ تعالى خلقه على صورتهِ ومثاله (تكوين ص1ع26وص9ع16) كما يشهد أيضًا القديس توما اللاهوتي في القسم الاول من المبحث 96 وفي الفصل 1و2 فمن يقتل يلحق بالله اهانة كأنهُ يرفع يديه على الله ويبيد صورته فلما تصور داود النبي هذا الفعل الفظيع أخذ يتشكى أمرّ التشكي من سفاكي الدما بهذا الكلام: ارجلهم سريعة إلى سفك الدما (مزمور13ع3) ولم يقل على وجه البساطة: أنهم يقتلون بل أرجلهم سريعة إلى سفك الدماء تبليغًا في التعبير عن هذا الامر المنكر الفظيع وايضاحًا لقساوة فاعليه الوحشية وبيانًا لشدة تهافتهم باغراء ابليس إلى هذا الارتكاب والعياذ بالله.

السادس عشر ما يامرنا الله بفعله في هذه الوصية

إن ما يأمرنا المسيح الرب بفعله في هذه الوصية ياول إلى حفظ السلام مع الجميع لأنهُ قال في تفسيره هذه الوصية فإذا قدمت قربانك إلى المذبح وذكرت هناك إن لأخيك عليك شيئًا فدع قربانك هناك

(516)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أمام المذبح وامضِ أولاً فصالح أخاك وحينئذٍ آت وقدّم قربانك (متى ص5ع23و24) وما يلي. فعلى الراعي أن يشرح هذا الكلام الالهي شرحًا يفيد المؤمنين تعليمًا بوجوب اعتصام الجميع بدون استثناء يحبل المحبة فيرغريهم بها جهده في شرحهِ هذه الوصية التي تتلالا بها فضيلة المحبة للقريب بمزيد البهاء لما كانت هذه الوصية تحرّم البغضاء تحريمًا صريح العبارة حيث قال: كل من يبغض أخاه فهو قاتل (1يوص3ع15) نتج بكل حق أن وصية المحبة والود سنة لازمة.

السابع عشر ما هي أفعال المحبة والمتضمنة بهذه الوصية

من حيث أن هذه الوصية تأمرنا بالمحبة والود فإنها أيضًا الأعمال والواجبات التي تلازم المحبة عادةً قال الرسول المعظم: المحبة تصير على كل شئ (1قور ص13ع4) فإذن قد أمرنا بالصبر الذي بهِ نقتني نفوسنا كما علمنا المخلص (لوقا ص21ع10) ثم أمرنا بالرفق وهو رفيق المحبة وقرينها كما قال القديس توما اللاهوتي في الفصل 4 من البحث 23 لكون المحبة ذات رفق (1قور ص13ع4) لأن فضيلة الرفق والاحسان متسعة النطاق ويجري فعلها خاصة في مساعدة الفقراء بما يحتاجون اليه فنطعم الجياع ونسقى العطاش ونكسو العراة ويلزمنا أن نتصدق على كل منهم بسخاء على قدر احتياجهِ إلى مساعدتنا كما قال المعلم الملائكي في القسم الثاني في الفصل الأول من البحث الثالث

الثامن عشر كيف أن محبة الأعداء هي أكمل جميع أعمال المحبة

إن أفعال الاحسان والجودة هي أعمال جليلة بذاتها وتزداد جلالاً

(517)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اذا فعلناها مع أعدائنا، لأن مخلصنا يقول: أحبوا آعداءكم واحسنوا إلى من يبغضكم (متى ص5ع44) وهذا ما يحضنا عليهِ أيضًا رسول الأمم بقوله: فإن جاع عدوك فاطعمه وأن عطش فاسقهِ فإنك بفعلك هذا تركم على هامتهِ جمر نار لا تنغلب للشر بل أغلب الشر بالخير (رومية ص12ع20و12) ثم اذا اعتبرنا سنة المحبة الشفوقة والرأوفة عرفنا أنا تقتضي بممارسة جميع الواجبات والأعمال المختصة بالدعة واللين وماشاكل ذلك من الفضائل.

التاسع عشر بأي شئ تظهر خاصة محبة القريب التي تؤمر بها هنا

أن أسمى وأجل وأفضل الأعمال التي يحسن أن نمارسها واوعيها محبة انما هو الصفح بطيبة القلب والخاطر عن الاهانات التي تأتينا من الغير. فالأسفار كثيرًا ما تأمرنا وتغرينا بالصفح عن الاهانة كما في تثنية الاشتراع (ص23ع35 و1ملوك ص25ع32 و2ملوك ص19ع20 ومزمور 7ع5 والجامعة ص28 واشعيا ص59ع6 ومتى ص6ع14و15 ومرقس ص11ع25و26ولوقا ص6ع38 وابركسيس 7ع59) ولا تسمى فقط سعداء الذين يصفحون بل تحقق لهم أيضًا مغفرة خطاياهم كما ان الذين يهملون الصفح أو يرفضونهُ لا ينالون غفران زلاتهم ولكن لما كان حب الانتقام راسخًا في قلوب البشر تحتم على الراعي أن يبذل جده وجهده في أن يعلم ويقنع المسيحيين اقناعًا بليغًا بان ينسوا الاهانة ويصفحوا عنها. ولما

(518)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كانت هذه المسئلة كثيرة التداول في كتب الأباء القديسين وجب على الراعي أن يطالعها ليدحض بأقوالها عناد المصرين على البغض والراسخين في شهوة الانتقام. وليتخذ في الحضرة الحجج التي اتخذها أولئك الأباء الكرام وجاءت لديهم قاطعة ومفحمة في هذا الموضوع.

العشرون باية طريقة يجب على الخصوص قمع البغضاء واغراء المؤمنين بنسيان الاهانة

ينبغي هنا على الراعي أن يشرح ثلث مسائل خاصة أولاها أن الذي اصابته الاهانة بحسب فكرة يتحقق متأكدًا أن علة هذه الاهانة أو الضرر لم يكن ذاك الانسان الذي يروم الانتقام منه هكذا صنع أيوب الصديق العجيب صبره الذي بعد أن اُنزلت فيه أشد المصائب من قبل البشر والشيطان مع ذلك لما كان رجلاً صالحًا يتقي الله لم يفه الاَّ بهذا الكلام: الرب أعطى والرب أخذ (أيوب ص1ع21) فمن كلام هذا الرجل الصبور ومثله يجب أن يتيقن الناس المسيحيون هذه الحقيقة وهي ان جميع ما نكابده في هذه الحياة من البلايا والمصائب ياتنيا من الرب كل عدل وإبي كل رحمة.

الحادي والعشرو أن الناس الذين يضطهدوننا هم خدام الله وأعوانه ولو فعلوا ذلك عن ارادة شريرة

أن الله سبحانه من لا حد لجودتهِ وصلاحهِ لا يعاقبنا كأعداء بل يؤدبنا كابناء: لأن الرب يؤدب من يحبه (أمثال ص3ع11) وكما قال الأناء المصطفى: ان من يحبه الرب ويؤدبه ويجلد البنين الذين

(519)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يرضاهم (عبرا ص12) فإذا دققنا النظروامعنا الفكر لا نجد الناس في هذه الامور الاَّ خدامًا لله وكأنهم أعوانه. ولو أمكن الانسان أن يبغض قريبه ويبغي لهُ الشر مع ذلك لا يستطيع أن يضره قطعًا الاَّ بسماح الله فهذا كان يقين يوسف البار فيما عمله معه اخوته من الشر والاذى (تكوين ص45) وبناءَ على هذا الاعتقاد صبر داود صبرًا جميلاً على الاهانة التي أوقعها بهِ شمعي فقال: دعوه يشتمني الرب قال لهُ اشتم داود (ملوك ص24) وأما يوسف فقال لأخوته: أنا هو يوسف أخوكم الذي يعتموه إلى مصر فلا تخافوا ولا يصعب عليكم الأمر أنكم يعتموني إلى هنا لأن الله أرسلني إلى مصر للغيث أمامكم... والآن لستم أنتم الذين أرسلتموني إلى هنا بل الله. ولنا أيضًا من جملة الادلة على هذه الحقيقة الدليل الذي أورده القديس يوحنا الذهبي الفم بعبارات سديدة محكمة اذ قال: لا يستطيع أحد أن يضر بانسان بل أن الانسان يضرّ نفسه لأن من يتوهم أنهُ عومل باهانة اذا تأمل حقيقة الواقع بوجه الحق يطالع أن ما من أحد رماه بسهم الاهانة والضرر واذا أوقعوا بهِ ضررًا فلا يكون الاَّ خارجيًا. أما الشر العظيم انما هو ما يلحقونه بذواتهم حين يدنسون نفوسهم بالبغض والشهوة والحسد تدنيسًا فظيعًا.

الثاني والعشرون ما الفوائد التي تأتي للذين يصفحون عن الاهانات

إن المسألة الثانية من المسائل الثلث التي قلنا أن الراعي يشرحها بتدقيق تشتمل على فائدتين خصوصيتين يغتنمهما من يصفحون بطيبة

(520)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قلب عن السيئات اكرامًا لله أولاها هي المكافأة لهم من قبله تعالى يترك ذنوبهم وخطاياهم حسب وعده الصادق كما يطلبون هم أنفسهم مغفرة خطاياهم بقولهم: اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأَ الينا وكما قال سبحانه: إن غفرتم للناس خطاياهم فابوكم السماوي يغفر لكم زلاتكم (متى ص4ع15) ومن هذا الوعد يتبين بيانًا بديهيًا ما أكرم ولديه تعالى فعل هذه المحبة أي الصفح عن السيئة والفائدة الثانية هي أننا نحوز فخرًا وكمالاً بصفحنا عن الاهانة. اذ نتشبه على نوع ما بالله الذي يشرق شمسه على الاخيار والأشرار ويمطر غيثه على الأبرار والفجار (متى ص5ع45).

الثالث والعشرون ما الأضرار التي تتأنى عن البغض للأعداء وكم هي

وفي الآخر يجب أن نبين تلك الأضرار التي تلم بنا حين لا نشاء أن نصفح عما لحقنا من الاهانات فعلى الراعي اذن أن يضع نصب أعين الذين لا يقوى لهم عزم على الصفح عن السيئات أن البغضة ليست هي اثمًا ثقيلاً فقط بل أنها خطية دائمة تلازم قلب صاحبها نهارًا ليلاً كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2 في الفصل3و4 من البحث 34 لأن ذاك الانسان الذي رسخت في قلبهِ البغضاء لا يزال ظلمان لدم عدوه ولا يبرح متعللاً برجاء الانتقام منه وقلبه يهذ دائمًا بفكر الشر حتى لا يكف بتة عن ان يضمر لهُ القتل أو فعل الضرر فينتج من ذلك أن الذي اتصل إلى هذا الحد من البغضة لا يمكنهُ أبدًا أو يصعب

(521)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

جدًّا حمله على أن يصفح بالتمام أو يغفر جزّا من السيئات فقط ولهذا فيحق يُشبه جرح البغضة في نفس المبغض يجرح سهم يستمر مغروسًا بالجسد.

الرابع والعشرون أن خطايا كثيرة تتلد من خطية البغضاء

ثم أن خطايا كثيرة وأضرارًا جسيمة تتلد من خطية البغض وتقترن بها كاقترانها برباط فعليه قال يوحنا الرسول في هذا المعنى: وأما من أبغض أخاه فهو في الظلمة يسلك ولا يدري أين يتجه لأن الظلمة أعمت عينيه (1يوحنا ص2ع11) فإذن لا بد من أن يعثر كثيرًا. ليت شعري هل يتفق أن المبغض يصوّب قول من يبغضه أو فعله كلاَّ بل من البغضة تصدر الدينونة الباطلة الاثيمة والغضب والحسد ولاثلب والنميمة إلى غير ذلك من الرذائل التي يتعرقل بها من تجمعهم القرابة أو الصداقة أيضًا. فكثيرًا ما يتفقأن من خطية واحدة تتأنى خطايا كثيرة. فبكل حق وصواب اذن يقال أن هذه الخطية هي خطية الشيطان الذي كان من البدء قتال الناس (يوحنا ص8ع44) ولهذا لما كان الفريسيون يرغبون في قتل ربنا يسوع المسيح قال لهم: أنتم مولودون من ابليس أبيكم (يوحنا ص8ع44)

الخامس والعشرون في الأدوية الشافية من خطية البغضة

ما عدا ذكرناه مما نستطيع أن نتخذ منهُ حججًا وبرهانات على استكراه هذه الخطية ومقتها واستئصالها فالأسفار الالهية تأتينا أيضًا أدوية مناسبة أتمّ المناسبة للشفاء من داء هذا الاثم فأولها وأنفعها هو

(522)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مثال مخلصنا الالهي الذي يجب علينا أن نتخذه لنا قدوةً ودستورًا لأنه مع كونهِ لم يصنع جورًا ولم تقع عليهِ أدنى شبهة الاثم (اشعيا ص43ع9) ولذا قال لليهود من منكم يوبخني على خطية (يوحنا ص8ع46) جلد بالسياط وكلل رأسه بالشوك وفي الآخر علق على الصليب وبعد أن أشبعوه اهانة وعذابًا صلى لأجل أعدائهِ هذه الصلوة المعبة محبة وحنوًا: يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يصنعون (لوقا ص23ع34) وقد شهد رسول الأمم أن رشاش دمه ينطق أفضل من دم هابيل. واما الدواء الثاني فقد ذكره سفر الجامعة وهو أن نتذكر الموت ويوم الدينونة اذكر عواقبك فلا تخطئ إلى الأبد (الجامعة ص1ع40) فكأنه يقول تذكر على الدوام وافتكر أنك قريب تموت ومن ثم سيكون ارغب الأمور وأشهاها وأشدها لزومًا لديك في ذاك الوقت أن تظفر برحمة الله فمن الواجب أن تضعها الآن ودائمًا نصب عينيك فيتأنى لك بذلك أن تستنزف من قلبك شهوة الانتقام اذ لا تجد علاجًا أنفع وأفعل لنوال الرحمة الالهية من ان تجرّ ذيل النسيان على ما اصابك من الاهانات وتحب الذين افتروا عليك او على أهلك بأفعالهم أو بأقوالهم. فحينئذٍ يصدق ما تقولهُ في صلاتك اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ وأساء الينا. فيجيبك الله ويأتيك سوالك.

(523)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السابع

في الوصية السادسة لا تزنِ

أولاً ما القصد من هذه الوصية وكيف يجب على الراعي أن يتكلم في شأنها

لما كان رباط الزيجة بين الرجل والامرأة متينًا للغاية وما من شئ يمكن ان يكون أشهى لكليهما من أن يعرفا أن كلاً منهما يجب الآخر محبة فريدة وبالعكس ما من أمر أشق عليهما من أن يشعرا ان المحبة الشرعية المتوجبة على كلٍ منهما للآخر متنقلة إلى الغريب اقتضى الأمر نظامًا وصوابًا أن هذه السنة التي تحرّم الزنا والفسق تلي في وضعها السنة المحرمة قتل الانسان صيانةً لحياتهِ كي لا يتفتح أحد على أن يهتك أو ينتقض بفعل الزنا القبيح حرمة الاقتران الزواجي المقدس الجليل المنطوي عادةً على عظيم المحبة ولكن يجب على الراعي أن يحسن الاحتراز والحكمة في شرح هذه المادة ولا يستعمل الاَّ الألفاظ الأدبية الوجيزة لا الأقوال المسهبة الغير المحتشمة اذ يخشى على من يجتهد في توسيع الشرح في الطرق التي يخالف بها الناس رسم هذه السنة من ان يتهافت إلى كلام في هذه الأمور يهيج الشهوة الدنسة أكثر مما انهُ ياتي بأسباب لتخميدها.

(524)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ثانيًا ما تحتوي هذه الوصية من الأوامر

أن هذه الوصية تحتوي أمورًا كثيرة يقتضي بِأنها وعلى الرعاة أن ياتوا بشرحها في محله. فلهذه الوصية قسمان أحدهما تحريم الزنا بالفاظ صريحة وثانيهما وجوب المحافظة على طهارة النفس والجسد تضمينًا بالنهي عن الزنا.

ثالثًا ماذا يحرّم تحت اسم الزنا أو الفسق

فلنأخذ خذ الكلام أولاً وبدأَ على المحرّم ونقول أن الفسق هو انتهاك حرمة المضجع الشرعي سواء كان مضجع المنتهك أو مضجع آخر لأن الرجل اذا باشر القبيح مع امرأة مطلقة ينتهك حرمة مضجعة واذا كان الرجل مطلقًا وعرف امرأة غيره ينتهك بدنس الفسق مضجع غيره يتضمن في تحريم الفسق النهي عن جميع الأفعال القبيحة البزية وبهذا المعنى ينبغي أن نفهم النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد بهذا الشأن كما ذكر القديس اغوسطينوس في البحث 71 في تفسيره سفر الخروج والقديس امبروسيوس في كتابهِ الأول عن الوظائف الكنسية في الفصل 50 منه لأن موسى قد حرَّمت عدا الفسق باقي أنواع الشهوة اللحمية ورتبت على أصحابها العقاب

رابعًا قد ذكرت الأسفار الالهية ضروريًا مختلفة للدعارة

أن الأسفار الالهية قد افادتنا عن ضروب كثيرة ونهتنا عنها نهيًا شديدًا كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2 في الفصل الاول من البحث 154 ومن ذلك حكم يهوذا على كنته تامر حين

(525)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قالوا لهُ قد زنت تأمر كنتك وهوذا قد حبلت من الزنا فقال يهوذا أخرجوها لتحرق (تكوين ص38ع24) وقد أمرت شريعة موسى في سفر تثنية الاشتراع قائلةً: لا تكن امرأة زانية بنات اسرائيل (تثنية ص23ع16) ثم تحذير طوبيا لابنه بقولهِ: احذر يا ابني من كل زنا (ص4ع13) وقال ابن سيراخ: اخجلوا من النظر إلى الامرأة الزانية (ص41ع25) وربنا يسوع المسيح لهُ المجد يقول في الانجيل المقدس: من القلب يخرج الفسق والزنا فهذه هي التي تنجس الانسان (متى ص15ع19) وأما الرسول المعظم كثيرًا ما يستقج هذه الرذيلة وينهي عنها بكلام سديد قاطع فقال: هذه هي ارادة الله أي قداستكم بأن تبتعدوا من الزنا فاهربوا من الزنا ولا تخالطوا الزناة ويقول أيضًا: فأنه لا الزناة ولا الفاسقون ولا مضاجعو الذكور ولا المفسدون يرثون ملكوت الله (تسالو ص4ع3و 1قور ص6ع18 و1قور ص5ع9 وأفسس ص5ع3 و1قور ص6ع9و10)

خامسًا لماذا يؤتَ في هذه الوصية الاَّ بذكر الفسق خاصة

أن الفسق قد حرّم بصريح العبارة خاصة لأجل هذا الأمر وهو أنهُ عدا القباحة المشتملة كامل أنواع الخطايا المخالفة الطهارة يحوى دنسًا أخر يخالف العدل لا بحق القريب فقط بل أيضًا بحق الألفة المدنية. ومن المحقق أن الذي لا يمنع نفسه عن شهوات الدعارة المخالفة الطهارة سقط لا محالة في خطية الفسق فلهذا نعقل أن النهي عن الفسق

(526)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يتضمن النهي عن جميع أنواع الطمث والنجاسة التي بها يتدنس الجسد لا بل أن هذه الوصية تحرّم كل شهوة من شهوات اللحم الباطنية كما يتبين من هذه السنة نفسها التي هي روحية ومن قول المسيح الرب من فمه الأقدس: قد سمعتم أنهُ قيل للاولين لا تزنِ وأنا أقول لكم أن كل من نظر إلى امراة ليشتهيها قد زنى بها في قلبه (متى ص5ع27و28) وهذا ما رأينا من وجوب تعليمه علنًا للجمهور. وللراعي أيضًا أن يضيف إلى ما ذكر تلك المراسيم التي سنها المجمع التريدنتيني المقدس في الجلسة 24 من القانون 8 على الفاسقين والمتسرين وعلى من يعولون النساء اللواتي يعددن لهم الزواني وأنواع أخرى كثيرة من العهارة والنجاسة ضربنا صفحًا عن ذكرها تأدبًا للراعي أن ينهي عنها كلاً على الانفراد بحسب ما تقتضيه ظروف الحال والزمان والأشخاص فيجب الأن أن نأخذ بشرح ما تأمر بهِ هذه الوصية

سادسًا ما ترسم هذه الوصية لنعمل بهِ عدا ما تنهانا عنه

ينبغي أن نعلم المؤمنين ونحضهم جهدنا أن يرعوا بكل اجتهاد حرمة الطهارة والعفة ويطهروا نفوسهم من جميع أدناس الجسد والروح ويكلموا القداسة بمخافة الله (2قور ص7ع1) ونعظهم أولاً وبدءًا في أن فضيلة الطهارة ولو تلألاء نورها باجمل بهاء في أولئك الذين يرعون بالكمال والتمام حرمة ذاك القصد الجميل الالهي قصد حفظ البكارة مع ذلك من الواجب أيضًا على الذين يعيشون في حال العزوبة أو باقتران الزواج أن يحفظوا أنفسهم وأجسادهم من شهوة اللحم المحرمة

(527)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سابعًا بماذا ينبغي أن يهتم على الخصوص من يشاء قمع شهواته البدنية

أن الآباء القديسين قدّموا لنا أدوية كثيرة نقمع بها الشهوات البدنية وتكبح جماح اللذات اللحمية فليجتهد الراعي في أن يوردها للشعب بتدقيق ويحول في ميدان هذه المقالة بابلغ ما يمكنه من النشاط والهمة فمن هذه الأدوية ما ترتب لقمع الأفكار ومنها ما أعّ لردع الأفعال أما الدواء المرتب لقمع الفكر فيقوم خاصةً في أن نعقل فظاعة هذه الخطية وضررها حتى اذا عرفناها يتوفر لنا مقتها واجتنابها على أيسر منوال. فيمكننا أن نعرف ما يتأتى عن هذه الخطية من الأضرار من كون الذين يقترفونها يطردون من ملكوت الله ويستأصلون. ذلك أعظم الشرور وافظعها وهذا المصاب يعم جميع مرتكبي الكبائر غير أن ما بدليل قول الأناء المصطفى: اهربوا من الزنا لأن كل خطية يرتكبها الانسان فهي خارجة عن جسده أما من يزنى فإنه يخطئ بجسده (1قور ص6ع18) ولهذا السبب قيل ان الذين يزنون يدنسون أجسادهم اذ ينتهكون حرمة قداستها وبهذا المعنى كتب رسول الأمم إلى أهل تسالونيكي قائلاً: هذه هي ارادة الله تقديسكم بأن تبتعدوا عن الزنا وأن كل انسان منكم يعرف أن يمسك أناه بالطهارة والكرامة لا بألم الشهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله (ص4ع3و4و5) ثم ما كان أقبح من ذلك هو اذا سلم الانسان المسيحي ذاته للزانية جعل أعضاءه التي

(528)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

هي للمسيح أعضاء زانية لأن الرسول المعظم يقول: أوما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح افنأخذ أعضاء المسيح وتجعلها أعضاء زانية معاذ الله أو ما تعلمون أن من يلاصق الزانية يصير معها جسدًا واحدًا (1قور ص6ع15) ثم أن الانسان المسيحي هو هيكل الروح القدس كما يشهد أيضًا الرسول المعظم: فالذي يزني ويدنس جسده يطرد منه الروح القدس.

ثامنًا بأية دلائل يسوغ لنا أن نعرف قباحة الفسق

أن في الفسق اثمًا كبيرًا لأن المقترنين بالزيجة كما يقول الرسول قد تسلط كل منهم على جسد الآخر تسلطًا لا يؤذن لأحد منهما أن يكون لهُ حق أو سلطان على جسده لكن قد تقيد كل منهما الآخر قيد. عيودبة يلزم الرجل بالانقياد إلى ارادة الامرأة والامرأة بالانقياد إلى ارادة الرجل. فمن هذا القبيل يتحقق أنه اذا فرَّق أحدهما جسده عن الذي لهُ حق عليه وسلمه لمن ليس لهُ حق عليه يقترف اثمًا كبيرًا ومن حيث أن خوف الفضيحة والعار يغري الناس بالأمور المأمورة وينهاهم عن المحرّمات لزم الراعي أن يبين للمؤمنين أن الفسق يسم صاحبه بسمة العار الفاضح وهذا ما نستفيده من الأسفار الالهية: أما الزاني بامرأة فاقد اللب انما يصنع هذا مهلك نفسه يلقى ضربًا وهوانًا وفضيحةً لا تمحيَ (أمثال ص6ع32و33) والحق يقال أن شر خطية الفسق شر عظيم كما أفاد المجمع التريدنتيني المقدس في الجلسة 24 في الفصل 8 من رسم اصلاح الزيجة ولنا ان نطلع على فظاعة خطية الفسق من العقاب الشديد المترتب على

(525)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مقترنها بموجب السنة الالهية في العهد القديم: أي رجل زنى بامرأة قريبه فليقتل الزاني والزانية (أحبار ص20ع10) فكانوا يقتلونهما رجمًا بالحجارة.

تاسعًا ما العقوبات التي عادةً الشهوات البدنية

لا يخفي أن بسبب زنا واحد لم يهلك الذي ارتكبه فقط بل أحيانًا أهل المدينة برمتهم كما جرى لأهل شخيم (تكوين ص34ع25) وقد روت الأسفار الالهية أمثالاً أخرى كثيرة لهذا العقاب الالهي الشديد يستطيع الراعي أن يرويها ردعًا للناس عن ارتكاب مثل هذه الفاحشة كهلاك صادوم وعامورة والمدن المجاورة ثم هلاك الاسرائليين الذين زنوا بينات مواب في البرية حين قال الرب لموسى انطلق بروساء الشعب كلهم وأصلبهم قدام الله تلقا الشمس فترتد شدة غضبي عن اسرائيل (عص25ع4) ثم هلاك سبط بنيامين ودثاره لأجل الزنى (قضاة ص20 كله) أما الزناة الذين يفرّون من الموت فلا يستطيعون سبيلاً إلى النجاة من الأوجاع القادحة والعذابات الشديدة التي كثيرًا ما يلقونها عقابًا على زناهم لأنهم يمسون عمي البصيرة وهذا لعمرك أشد عقاب فلا يعودون يعبأون بالله ولا بصيتهم ولا بمقامهم ولا بأولادهم حتى ولا بحياتهم وهكذا يبلغ بهم الحال إلى أحد يصيرون غير نافعين لشئ البتة ولا أن يفوض اليهم شئ ذو اعتبار ولا جديرين بالارتقاء إلى وظيفة من الوظائف ونتحقق ذلك من مثال داود النبي سليمان ابنه فالأول بعد أن زنى امرأة أوريا الحثى انقلبت أحواله على الفور وتغيرت

(526)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

طباعة بالكلية فبعد أن كان حليمًا وديعًا جدًا أمسى قاسيًا شرسًا حتى قتل أوريا الذي كان أوفى لهُ من كل سواه زمامًا وودًا (2ملوك ص11ع12) والثاني لما توغل في شهوة النساء حاد عن دين الله الحق وتبع الآلهة الغريبة (3ملوك ص11كله) فهذه الخطية اذن كما قال هوشع النبي تعمي قلب الانسان وتظلم علته. فلنأتين الأن بالكلام على الأدوية الواقية منها وهي قائمة الأفعال.

عاشرًا بأية وسائل خاصة ينبغي على البشر أن يتجنبوا الأشياء المهيجة شهوة الزنا

أن أول واسطة هي الفرار من البطالة التي لما عكف عليها الصدوميون سقطوا في دركات خطية اللواط الفظيعة كما ورد في حزقيال النبي حيث قال: هذا كان اثم صدوم أختك ان الاستكبار واتلشبع من الخبز وطمأنينة الفراغ كانت فيها ويف توابعها ولم تعضد يد البائس والمسكين (ص16ع49) ثم يجب أن نتجنب النهم. لأن النبي ارميا يقول: أشبعتهم فزنوا (ص5ع7) أن الجوف الممتلي والشبعان يولد الزنا وغلى هذا اشار ربنا يسوع المسيح بقوله: فاحترسوا لأنفسكم أن لا تقتل قلوبكم في الخلاعة والسكر (لوقا ص21ع34)وفيه قال الرسول المصطفى: لا تسكروا في الخمر التي فيها الدعارة (أفسس ص5ع18) ثم يجب أن نحجب النظر الذي من عادته أن يضرم نار الشهوة البدنية وفي ذلك قال الرب يسوع: إن شككتك عينك اليمنى فاقلعها والقها عنك (متى ص5ع30) وجات أقوال كثيرة من الأنبياء في حفظ النظر

(527)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ومنها ما قاله ايوب الصديق: قد عاهدتُ عينيَّ أن لا تأمل في عذرًا (ص31ع1) ثم روت الاسفار الاهية وقائع شرور تكاد لا تحصى أخذت مبداها من نظر الأعين. هكذا داود اخطا بنظره إلى امرأة أوربا وهكذا ملك شخيم بن حمور الحوي رئس البلد وضاجعها وأذلها. (تكوين ص34ع2 وعلى هذا النحو أخطاء الشيخان اللذان ثلبا القديسة سوسنة.

الحادي عشر في وجوب الهرب من زينة النساء المانقة ومن الكلام المسيح ويأبى الأسباب المحرشة إلى الزنا

لا يخفي أن زينة النساء المانقة التي تهيج حاسة النظر تأتي على الغالب بسبب السقوط في خطية الزنا ولهذا يوعز الينا ابن سيراخ بقوله: أصرف طرفك عن الامرأة الجميلة ولا تتفرس ف حسن الغريبة (ص9ع8) فلما كانت النساء يبالغنَ في زينتهنَّ على افراط زينتهنَّ بما قاله هامة الرسل من الكلام السديد المشدد في النهي عن مثل هذه الزينة: فلا تكن زينتكنَّ الزينة الظاهرة من تجعيد الشعر والتحلي بالذهب ولبس الحلل (1بطرس ص3ع3) ومثله الرسول المصطفى في رسالته الأولى إلى تلميذه تيموتاوس: كذلك النساء بزينة لائقة متزينات على نمقتضى الحشمة والتعقل لا بتجعيد الشعر أو بالذهب أو اللالئ أو الثياب الكثيرة الثمن (ص2ع9) لأن زينات كثيرة بالذهب والجواهر اهلكت كثيرين نفسًا وجسمًا. ودهورتهم في دركات جهنم ثم يلي هذا السبب

(528)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المهيج إلى الزنى من قبل زينة الثياب الفاخرة للنساء سبب آخر وهو الكلام القبيح البزي لأن قباحة الكلام أشبه بمشعال ما يضرم قلوب الشبان بنار الشهوة البدنية قال رسول الأمم: لا تضلوا أن العشرة الردية تفسد الأخلاق السليمة (1قور ص15ع33) وينبغي أيضًا أن نحذر كل الحذر من الأغاني العشقية ومن الرقص لكون هذه جميعها تأتي بما ذكرناه من التحرش إلى الفحشاء ومثل ذلك نقول ايضًا في الكتب المسطرة على العشق والفساد فينبغي أن نتجنب مطالعتها لا محالة ثم الصور المشخصة مناظر قبيحة لأن فيها قوة عظيمة لا غرآ قلوب الشبان بالقبائح واضرامها بنيران الفحشا انما ينبغي على الراعي أن يعتني جهده أولاً وبدأَ في أن يغري المؤمنين بحفظ ما رسمه المجمع التريدنتيني المقدس في هذا الموضوع حفظًا كاملاً بتقوى الله والقداسة. فإذا تجنب الناس بتدقيق واجتهاد جميع ما أوردناه تنقطع وتنحسم بحولهِ تعالى كل مادة الزنا وأسبابهُ.

الثاني عشر أن الاعتراف وتناول القرابن المقدس ورياضة الصلوات لازمة من باب الضرورة لاقتباس الطهارة

أن الاعتراف بالتواتر وتناول القربان المقدس ومداومة الصلاة التقوية لله مع الصوم والصدقة تفيد اكبر فائدة في قمع قوة الزنا واخماد نارها الجهنمية لأن الطهارة هي موهبة من الله لا تنكر على من يطلبها باستقامة القلب وباستعمال ما ذكرناه من الوسائط لأن الله جلت رحمته لا يسمح أن نتجرب فوق طاقتنا.

(529)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث عشر من أراد يقفو أثر الطهارة أن يقمع جسده

ينبغي أن نقمع جسدنا ليس فقط بالأصوام ولا سيما الأصوام التي سنتها الكنيسة المقدسة بل أيضًا بالأسهار وزيارات الأماكن المقدسة غلى غير ذلك من الاماتات وتقشفات الحواس لأن في هذه الأمور وما شاكلها تظهر خاصة فضيلة القناعة وعفة النفس. ففي هذا المعنى كتب رسول الأمم قائلاً: وكل من يجاهد يمسك نفسه عن كل شئ أما أولئك فلينالوا اكليلاً يفني أما نحن فاكليلاً لا يفني بل أقمع جسدي واستعبده حذرًا أن أكون أنا نفسي مرذولاً بعد ما وعظت غيري (1قور ص27و29) وفي محل آخر يقول: لا تهتموا لأجسادكم بقضاء شهواتها (رومية ص13ع14).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(530)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثامن

في الوصية السابعة لا تسرق

الأول ما قدر هذه الوصية وما علاقتها مع الوصيتين المتقدمتين بظهر أنه كانت عادة قديمة في الكنيسة تيجين هذه الوصية وفحواها في عقول السامعين بدليل ما القاه رسول الأمم من اللوم على من كانوا ينهون الناس عن رذيلة السرقة وهم منخرطون في عبابها فيقول فأنت الذي تعلم غيرك الا تعلم نفسك الذي تكرز أن لا تسرق أتسرق (رومية ص2ع21) فبهذا التعليم الحميد لم يكن يصلحّ هذه الخطية المتكاتر اقترافها في تلك الأزمنة فقط بل أيضًا كان يحسم أسباب الخصام والمنازعة والمشاجرة وباقي بواعث الشرور التي كانت تتأنى عادةً عن السرقة ولما كان أهل عصرنا أيضًا متقلبين في هذه الآثام وأضرارها ودواهيها لزم الرعاة أن يحلوا هنا ويبذلوا جهدهم في بيان فحوى هذه الوصية وحكمها على مثال الأبا القديسين ومعلمي التهذيب المسيحي.

وقبل كل شئ يلزمهم أن يبذلوا اجتهادهم في اعلان محبة الله الغير المتناهية للبشر من كونه لم يجعل فقط هاتين الوصيتين لا تقتل لا تزنِ كحصتين منبعين يصون بهما حياتنا وجسدنا وعرضنا وشرفنا من العطب بل بهذه الوصية ايضًا: لا تسرق كأنه وضع حارسًا خارجًا يجمي ويصون أرزاقنا ومالنا.

(531)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني ما المعنى المتضمن في طي هذه الوصية

أن هذه الوصية كغيرها من الوصايا التي تكلمنا عليها تتضمن المعنى على اي كان من البشر أن يختلس أو يغصب أرزاقنا ومالنا الموضوع تحت حمايتهِ فليزمنا اذن ان نشكره تعالى على ما أولانا من الاحسان بقدر ما لهذه السنة الالهية من عظيم الفضل علينا في صيانة مالنا من الضياع ولما كانت أفضل طريقة لشكره وحمده أن نقبل الوصية بطيبة القلب والخاطر لا بسماعنا فقط بل أيضًا في تتمينا اياها فعلاً لزم الرعاة أن يحضوا المؤمنين ويستهموهم على العمل بموجبها فتقسم هذه الوصية كباقي الوصايا إلى قسمين أحدهما يحرّم السرقة بصريح العبارة والآخر ما له أننا نؤمر بأن نترفق بالقريب ونحسن إليه بجود وسخا وهذا القسم متضمن في الأول فعلينا الأن أن نشرع بالكلام على قولهِ لا تسرق.

الثالث ماذا يقصد المشترع بلفظة سرقة هنا

ينبغي أن نعلم هنا أن بلفظة سرقة لا يفهم فقط أخذ ما للغير خفية وعلى رغم من صاحبه بل أيضًا اقتناء شئ من رزق الغير ضد ارادة صاحبه مع معرفته كما قال القديس اغوسطينوس في البحث 71 من شرحه سفر الخروج. قوله مع معرفته حذرًا من الوهم بأن الخطف غير داخل في حكم الوصية الناهية عن السرقة مع أن الرسول المعظم قد نقى الخاطفين من ملكوت الله بقولهِ: ولا السارقون ولا البخلاء ولا السكيرون ولا الشتامون ولا الخطفة يرثون ملكوت الله (1قور ص6ع10)

(532)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فلهذا يجب علينا أن نتحاشى كل نوع من أنواع هذا السلب والاختلاس كما كتب رسول الأمم: أما الخطف فهو خطية أعظم من خطية السرقة لأن الخاطفين ما عدا أنهم يسلبون مال الغير يضيفون اليه الاجبار وينزلون فيهم أعظم العار والامتهان.

الرابع حيث قد نهى الله سبحانه هنا عن كل سلب لمال الغير فلما ذا ذكر السرقة ولم يذكر الخطف

لا ينبغي أن نتعجب من أن الوصية الالهية هنا تقيدت باسم السرقة التي هي أخف من الخطف لا باسم الخطف وهذا من الصواب لأن السرقة أوسع من الخطف نطاقًا وتطلق على أشياء أكثر مما يطلق عليهِ الخطف الذي هوفقط فعل أصحاب القوة والاقتدار فكل يرى أنه اذا حرّمت أنواع الأثام الأخف فتحرّم أيضًا بأولى حجة الخطايا الأثقل

الخامس في عداد أنواع السرقة الماخوذة بالفساحة

أن أخذ مال الغير الظلمي والتصرف بهِ يعرف باسماء مختلفة باختلاف الأشياء المسلوبة على رغم أصحابها وبدون معرفتهم لأن من سلب مالاً خصوصيًا من انسان هو من عامة الناس يسمى ذلك الفعل سرقة والسلب من ذي مقام عالمي أو كنائسي يدعى اختلاسًا ومن أخذ شخصًا حرًا او عبدًا لأخر واستعبده يسمى فعله خطفًا وسلب شئ مقدس يدعى سرقة نفاقية أو (سكريلاج) وهذا الاثم الفظيع القبيح قد سرى في عوائد البشر حتى أن البعض منهم يأخذون المال المعين اللازم لعبادة الله وخدام الكنيسة الفقراء ويجعلونه غنيمة لمطامعهم الخاصة وشهواتهم الخبيثة

(533)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس لا يتعدى هذه الوصية من يأخذون مال الغير

فعلاً وحقيقة بل أيضًا من يعزمون بنيتهم على أخذه لا ينهانا الله عن السرقة فعلاً وحقيقة فقط بل ايضًا عن ارادة وقصد مباشرتها لأن السنة روحية تتناول مصدر الأفكار والمقاصد. لأن الرب يقول: من القلب تخرج الأفكار الردية القتل والزنا الفجور السرقة شهادة الزور التجديف (متى ص15ع19).

السابع اني يتهيأ لنا خاصةً أن نحكم على جسامة خطية السرقة

أن النور الطبيعي نفسه والصواب يرينا جليًا جسامة خطية السرقة لأنها تخالف العدل الذي يعطي كل ذي حق حقه اذ يقتضي أن توزيع الأرزاق وتخصيصها المرسوم منذ بداية حق الأمم والمثبت أيضًا بالسنن الالهية والبشرية يكون مقررًا راهنًا بحيث يمتلك كل ما وقع لهُ ملكًا بموجب الحق والشرع وبخلاف ذلك تذهب الالعة البشرية دمارًا وكما قال الرسول المعظم: لا تضلوا: لا السارقون ولا البخلاء ولا السكيرون ولا الشتامون ولا الخاطفون يرثون ملكوت الله (1قور ص6ع10) وتتحقق المعيان جسامة هذه الخطية وقبحها من الأمور التي تنتج عن السرقة لأن من شرها تتولد دينونات باطلة كثيرة وتنشاء الأحقاد وتضطرم نيران العداوات وتتأنى أحيانًا أحكام ظلم وجور على الناس الأبرياء إلى غير ذلك من البلايا والمهالك.

الثامن كيف ينبغي من باب اللزوم أن ترد الأشياء المسلوبة

من اللازم بأمر الله تعالى على الجميع أن يرد الشئ المسلوب

(534)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لصاحبه. قال القديس اغوسطينوس في رسالتهِ ع64 إلى مكدونيوس لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب أما ما لهذا الرد من عظيم الصعوبة على من اعتاد الاستغناء من مال الغير الحرام فكل يدركه بجكم نفسه ويتبين من عادة القديسين بالزامهِ اذ لا يقدر ما يجدونه من العرقلة في الوفاء ومما ورد في نبوة حبقوق النبي القائل: ويل للمكثر مما ليس لهُ فإلى متى وللموقر نفسه طينًا كثيفًا (حبقوق ص2ع6) فقد سميّ النبي امتلاك مال الغير طينًا كثيفًا من حيث أن الناس يتصعب عليهم أن ينسلخوا ويتخلصوا منه أما أنواع السرقة فكثيرة حتى يكاد لا يحصاها عادّ ولهذا نستكفي بالكلام على هذين النوعين أي السرقة والخطف لأن باقيها الذي سنأتي بالكلام عليهِ يعود اليهما عود الفرع إلى أصلهِ فعلى الراعي اذن أن يبذل كل اعتنائهِ وكل جهده في أن يبغض الشعب المؤمن بهذه الخطية ويردعه عن اقترافها. انما لا بد لنا أن نستقري أنواع السرقة.

التاسع ما هي أنواع السرقات على وجه الخصوص ومن هم الذين يحسبون في عداد السارقين

يعد من السارقين أولئك الذين يبتاعون الاشياء المسروقة أو يمسكون عندهم الأرزاق التي وُجدت بعد فقدانها أو المخطوفة أو المغصوبة سرًا أوجهارًا قال القديس اغوسطينوس في كتابه 5في العظة 9 والعظة 19: إن أنت وجدت شيئًا من مال الغير ولم ترده فأنت غاصب (أه) أما اذا لم يمكن وجدان صاحبة بتةً فيجب التبرع

(535)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بهِ على الفقراء ومن لا يمكن اثناوه إلى الرّد اثبت على نفسه أنه لو أمكنه لاختلس مال الغير حيثما وجده ويرتكب اثم السرقة أيضًا من يستعملون الغش والخداع في البيع والابتياع فالرب سينتقم منهم على كذب أقوالهم وخداعهم وشر من هؤلاء اثمًا وارسخ منهم قدمًا في هذا النوع من السرقة هم الذين يبيعون البضائع والسلع المغشوشة بمنزلة الجيدة السليمة ومثلهم البائعون والمبتاعون الذين يغشون بالوزن والكيل والعدد والذراع قال الرب: لا يكن في كيسك معياران كبير وصغير ولا يكن في بيتك مكيالان لأن كبير وصغير بل ليكن لك معيار وافٍ ومكيال وافٍ عادل (تثنية ص25ع13و14و15) وفي سفر الأحبار: لا تجوروا في الحكم ولا في المساحة والوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة وايفة عادلة وهين عادل تكون لكم (ص19ع23 إلى 26) وفي محل آخر: معيار ومعيار رجس عند الرب وميزان الغشر ليس بصالح (امثال ص20ع23) وسارقون أيضًا هم الفعلة وأصحاب الصنائع الذين يقتصون أجرة كاملة من الذين لم يشتغلوا لهم شغالاً عادلاً متوجبًا ولا يمتازون عن السارقين خدام الموالي وحراس الأراضي اذا خانوا في وظائفهم وكانوا أمينين لأربابهم لا بل أنهم يكونون شرًا من باقي اللصوص الخارجين لأنهم خدام في البيوت مستأمنين على مال مخدوميهم فلا يغفل عليهم شئ في البيت بل كل شئ تحت أيديهم ونظرهم. وسراقون أيضًا أولئك الذين يتحايلون بالكذب والخداع أو يتظاهرون بالفقر فيسلبون الدراهم بالشحاذة زروًا وخداعً. فلعمرك

(536)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أن خطية هولاء جدًّا لأنهم يجمعون بين السرقة والكذب ومن مصاف السارقين أيضًا من اذا اقيموا على وظيفة خصوصية أو جمهورية أما انهم لا يعلمون شيئًا مما يتعلق بوظيفتهم أو قلما يعلمون متوانين بها فلا يهتمون الاَّ بقفش الأجرة او الدخان وأن رمنا ان نتكلم على باقي السرقات الكثيرة التي يخترعها البخل المحتال الذي يعرف جميع طرق السلب والاختلاس يطول بنا الشرح كثيرًا كما قلنا ويصعب علينا استيفاءوه

العاشر ما هي أنواع الخطف ومن هم الذين يعرفون بالخطفة

علينا الآن أن نتكلم على الخطف الذي هو نوع آخر من السرقة فعلى الراعي أولاً أن يوعز إلى الشعب المسيحي أن يتذكر ما قاله رسول الأمم: أما الذين يرمون الغنى فيسقطون في التجربة وفخ الشيطان وفي شهوات كثيرة سفيهة مضرة تغرّق الناس في العطب والهلاك 01تيمو ص6ع9) ولا ينسين أبدًا في هذا المقام أن يذكرهم هذه الوصية: كل ما تريدون أن يصنعه الناس بكم اصنعوه أنتم بهم (متى ص5ع12) وليرددوا في بالهم على الدوام ما وعظ بهِ طوبيا البار ابنه قائلاً: كل ما تكره أن يفعله غيرك بك فاياك أن تفعله أنت بغيرك (طوبيا ص4ع16) فالخطف اذن متسع النطاق لأن من لا يفون الفعلة أجرتهم هم خطفه وقد دعاهم القديس يعقوب الرسول إلى التوبة بقولهِ: هلموا الآن أيها الأغنياء ابكوا وانحبوا علي الشقاوات التي تاتي عليكم. ثم أردف كلامه بذكر سبب هذه التوبة قائلاً: ها أن أجرة الفعلى الذين حصدوا حقولكم تلك التي بخستموهم اياها تصرخ

(537)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وصياح الحصادين قد بلغ إلى أدنى رب الجنود (يعقوب ص4ع1) ثم أن الله سبحانه قد رذل هذا الخطف أشد رذل ونهى عنه في سفر الأحبار (ص19ع13) وفي تثنية الاشتراع (ص24ع14) وفي نبوة ملاخيا (ص3ع5) وفي سفر طوبيا (ص4ع15) ويرتكب خطية الخطف أيضًا أولئك الذين لا يفون رؤساء الكنيسة والحكام العالميين ما يتوجب لهم من المال الأميري والخراج والعشور وما شاكل ذلك أوأنهم يسلبونه ويستخصونه لذاوتهم.

الحادي عشر أن المرابين هم من مصاف الخاطفين وأثمهم ثقيل

ومن عداد الخطفة المرابون وخطيتهم شر خطية لأنهم ينهبون الشعب المسكين ويقتلونه بالربا فإن كل ما يؤخذ فوق الرأس المال الذي يُعطي هو ربا سواء كان نقدًا أو ما يقوَّم بمال أويثمن بدراهم هكذا كتب نبوة حزقيال في الانسان الصديق من جملة أعمال برهِ وعدله: لم يعط بالربى ولم يأخذ ربحًا (ص18ع8) وقال الرب: اقرضوا ولا ترجوا من ذلك شيئًا (لوقا ص6ع35) وقد عدّ دائمًا هذا الفعل عند الأمم أيضًا من اكبر الآثام ومبغوضًا شر بغض حتى أن الفيلسوف الوثني كانون قال أن الربى ما هو الاَّ قتل الانسان لأن من يرابي يبيع الشي مرتين أو يبيع ما ليس لهُ وجود.

الثاني عشر أن القضاة الذين يحكمون بالرشوة ومن يختلسون مال اصحاب الذين يرتكبون خطية الخطف

يرتكب الخطف القضاة المرشون الذين يبيعون أحكامهم بالمال

(538)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ويميتون دعاوي الضعفاء والفقراء بما يؤتونه من التقادم والهدايا أجرة الظلم والبغئ ثم يحسب خطفه الذي يخيسون أصحاب الدين وينكرون عليهم المال الذي استدانوه والذين يبتاعون من التجار بضائع نسيئة ثم لا يفون عند حلول الأجل فهولاء يدخلون في حكم الخطفة وخطيتهم كبيرة لأن التجار يلتزمون وقتئذٍ بسبب خيانتهم أن يبيعوا البضائع بثمن أغلى مما تسوى فيضرّون بالجمهور ويصح فيهم ما قاله داود النبي: يستقرض الخاطئ ولا يفي (مزمور ع36ع21)

الثالث عشر ينظم في مصاف الخطفة والأغنياء الذين يضايقون الفقراء بعد أن أخذوا منهم رهنًا

ماذا تقول في أولئك الاغنياء الذين يشددون بالطلب على من أقرضوهم وليس لهم قدرة على الوفا بقصد أن يختلسوا الرهونات التي أخذوها منهم وهي لازمة لسترة أجسادهم فبهذا يخالفون أمر الله الصريح بقولهِ: اذا استرهنت من قريبك لباسًا رده لهُ قبل غروب الشمس لأنه هو ستره الوحيد كساء جلده وليس لهُ آخر ينام فيهِ فإن صرخ اليَّ استجبته لأني رؤؤف (خروج ص22ع26و27) فبكل حق نسمي فاعلي هذه المعاملة القاسية خطفة مختلسين كما قال القديس امبروسيوس في الفصل 60 من كتابهِ 4 في الوظائف الكنائسية

الرابع عشر أن الذين يحجزون الحنطة في زمن الغلا هم خاطفون

زمن جملة المعروفين بالخطفة عند الآباء القديسين هم الذين يحجزون القح في زمن الغلا والقجط فيمسي القوت بفعلهم هذا قليل الوجود وغالي

(539)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثمن ويصح هذا الحكم في جميع الأشياء اللازمة للقوت والحياة. فإلى مثل هولاء تتجه اللعنة التي ذكرها سليمان الحكيم في سفر الامثال بقولهِ: من يخفي الحنطة يلعن في الشعوب (ص11ع26) فعلى الرعاة أن ينصحوهم بحرية بالاقلاع عن هذا العمل الفظيع ويبينوا لهم صريحًا ما قبضه الله من العقاب على من يقترفون مقل هذه الأثام هذا ما اقتضى شرحه في ما تتضمنه هذه الوصية من النهي وبقي علينا أن نتكلم على ما تحتوي من الامر وأدلة أو الرد لأنه لا تغفر الذنوب ما لم يرد المسلوب كما قال القديس اغوسطينوس

الخامس عشر من هم الذين يُحكم عليهم بالزام الرد

قال القديس توما اللاهوتي في القسم الثاني في البحث62: حيث يلتزم بالرد المسروق لهُ لا الذي ارتكب السرقة فقط بل أيضًا جميع الذين يشاركون يلتزمون بالرد بموجب هذه الوصية اقتضى أن نبينَ من هم الذين لا يستطيعون سبيلاً إلى الفرار من الزام الوفاء أو الرد. وهم كثيرو الانواع. فالمصاف الاول منهم هم الذين يأمرون بالسرقة ليس لأنهم شركاء السارقين فقط بل أيضًا هم أقبح شرًا بين مصاف السارقين. والمصاف الثاني هم مساوون للأولين بالارادة ويختلفون عنهم بالسلطة ومع ذلك هم في درجة الساقين نفسها أولئك الذين لا يقدرون أن يأمروا بالسرقة أمرًا لكنهم يغرون بها ويحضون الغير إلى فعلها. والمصاف الثالث هم الذين يتفقون مع السارقين ويطابقون معهم على السرقة. المصاف الرابع هم الذين يشاركون السارق في

(540)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المسروق ومن ثم ياتي لهم ربح إن جاز لنا أن نسمي ربحًا ما يذهب بهم إلى العذابات الأبدية إن لم يتوبوا. فمن هولاء قال النبي داود: إن رأيتَ سارقًا تجري معه. المصاف الخامس من السارقين هم الذين لا يمنعون السرقة مع امكانهم منعها فلا يمنعون اللصوص ولا يعارضونهم لا بل كأنهم يسمحون لهم أن يسرقوا. المصاف السادس هم الذين يعرفون السرقة ومكانها عن يقين مع ذلك لا يبنون الواقع مع التزامهم ببيانه بل يتظاهرون أنهم لا علم لهم بشئ ثم المصاف السابع والأخير يشمل جميع المساعدين على السرقة كالذين يحرسون اللصوص ويحمون ذمارهم وياوّونهم ويقبلوهم في بيوتهم ومنازلهم فهولاء جميعهم يلتزمون بالرد المسروق لهم وينبغي أن يحضوا حثيثًا على هذا العمل اللازم من باب الضرورة للخلاص. ولا يخلو من خطية السرقة أولئك الذين يصوبون عمل السارقين ويمدحونهم عليه. ويخطئ نفس هذا الخطاء أولاد العائلة الذين يسرقون الدراهم من والديهم والزوجات اللواتي يسرقن الدراهم من رجالهنّ.

السادس عشر ما القول في الصدقة المندرجة تحت طي هذه الوصية

أن هذه الوصية تشتمل أيضًا على أمر الله تعالى بأن نتحنن على الفقراء والمعوزين وأن نسعفهم في ضيقاتهم بمالنا وأعمالنا وحيث يلتزم الرعاة أن يخوضوا في بحر هذا الموضوع كثيرًا ويفيضوا بشرحه وبيانه للمؤمنين فليطالعوا ما ورد في هذا الباب في كتب الأباء القديسين الذين استوفوا

(540)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المسروق ومن ثمَّ يأَتي لهم ربح إن جاز لنا أن نسمي ربحًا ما يذهب بهم إلى العذابات الأبدية أن لم يتوبوا. فمن هؤلاء قال النبي داود: إن رأيت سارقًا تجري معه. المصاف الخامس من السارقين هم الذين لا يمنعون السرقة مع امكانهم فلا يمنعون اللصوص ولا يعارضونهم لا بل كأنهم يسمحون لهم أن يسرقوا. المصاف السادس هم الذين يعرفون السرقة ومكانها عن يقين مع ذلك لا يبينون الواقع مع التزامهم ببيانه بل يتظاهرون أنهم لا علم لهم بشئ ثم المصاف السابع والأخير ويشتمل جميع المساعدين على السرقة كالذين يحرسون اللصوص ويحمون ذمارهم ويأوَّونهم ويقبلونهم في بيوتهم ومنازلهم فهؤلاء جميعهم يلتزمون بالرد للمسروق لهم وينبغي أن يحضوا حثيثًا على هذا العمل اللازم من باب الضرورة للخلاص ولا يخلو من خطية السرقة أولئك الذين يصوبون عمل السارقين ويمدحونهم عليه. ويخطئ نفس هذا الخطاء أولاد العائلة الذينم يسرقون الدارهم من والديهم والزوجات اللواتي يسرقن الدارهم من رجالهنّ.

السادس عشر ما القول في الصدقة المندرجة تحت طي هذه الوصية

إن هذه الوصية تشتمل أيضًا على أمر الله تعالى بأن نتحنن على الفقراء والمعوزين وأن تسعفهم في ضيقاتهم بمالنا وأعمالنا وحيث يلتزم الرعاة أن يخوضوا في بحر هذا الموضوع كثيرًا ويفيضوا بشرحه وبيانه للمؤمنين فليطالعوا ما ورد في هذا الباب في كتب الأباء القديسين الذين استوفوا

(541)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المقال في أعمال الرحمة كالقديس قبريانوس في كتابه عن التبرع على الفقراء والقديس يوحنا الذهبي الفم في عظته 32 على الشعب الانطاكي والقديس غريغوريوس النزينزي في مقالته 16 عن محبة الفقراء وغيرهم من الذين كتبوا في الصدقة. اذ من الواجب أن يحركوا جوارح المؤمنين إلى الغيرة و الاجتهاد في مساعدة من يعيشون بإحسان المسيحيين وينبغي أن يعلموهم الصدقة وشدة لزومها كي يتبرعوا بسخاء على المحتاجين بمالهم وعملهم ويأتونهم بتلك البينة الواضحة وهي أن الله سبحانه سوف يظهر يوم الدينونة العامة بغضه للذين احسنوا إلى الفقراء فيمدحهم ويدخلهم الأخداتر السماوية اذ من فم ربنا يسوع المسيح الأقدس يخرج كلا الحكمين: هلموا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم. واغربوا عني يا ملاعين إلى النار المؤَّبدة (متى ص35ع41).

السابع عشر بأية طريقة ينبغي أن تغري الشعوب بالصدقة

ثم يورد الكهنة في وعظهم على الصدقة تلك الأيات المحكمة باغراء الناس في الاحسان والرحمة منها قوله تعالى: أعطوا تُعطوا (لوقا ص6ع88) ثم وعد الله للمحسنين بما لا يمكن أن تتصور اغزر وأكرم منه اذ قال: ما من أحد يترك بيتًا أو أخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًا أو بنين أو حقولاً لأجل اسمي ولأج الانجيل الاّ يأخذ ميئة صعف أما في هذا الزمان فبيوت واخوة واخوات وأمهات وبنون وحقول مع اضطهادات وأما في الدهر الأتي فالحياة الأبدية (مرقس ص10

(542)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ع29و30) ويرون أيضًا ما قاله السيد المسيح: وأنا أقول لكم اجعلوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى اذا أدرككم الاضمحلال يقبلونكم في المظال الأبدية (لوقا ص16ع9) ثم يبينون لهم وجوه هذه الصدقة وأعمال الرحمة اللازمة فالذين لا يقدرون على التبرُّع للمعوزين بما هو ضروري لقيام حياتهم يمكنهم على الأقل أن يقرضوهم قرضًا كما أمر السيد المسيح: اقرضوا غير موملين شيئًا (لوقا ص6ع35) وقد عبر داود النبي عن نجاح هذا الفعل الحميد بقولهِ: ما أسعد الرجل الذي يرأف ويقرض (مزمور 111ع5).

الثامن عشر أن تتعب وتكد بأيدينا كي نتبرَّع بالصدقات ونفر من البطالة

من واجبات المحبة المسيحية أن نتجنب أسباب البطالة بالتعجب والكد. وأن نجدّ ونكدّ ونربح بعمل أيدينا ما نستطيع أن نسدَّ بهِ فاقة المعوزين اذا لم يكن لنا من جهة أخرى دخل نقدر أن نتبرَّع بهِ على المحتاجين الذين يلتمسون القوت من رحمة الغير وكرمهم فالرسول المعظم يحض الجميع إلى هذا بمثله في ما كتبه إلى اهل تسالونيكي بهذا الكلام: فإنكم تعلمون كيف ينبغي أن تقتدوا بنا (2تسالو ص3ع7) ثم إلى المذكورين من قوله: أن تحرصوا على أن تكونوا هادئين تعلمون ما بعينكم وتشتغلون بأيديكم كما أوصيتكم (تسالو ص4ع11) وإلى أهل أفسس: من طان سارقًا فلا يسرق فيما بعد بل فليكد وليعمل بيديه ما هو صالح لكي يكون لهُ ما يشرك المحتاج فيه (أفسس

(543)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ص4ع28)

التاسع عشر ينبغي أن نعيش بالاقتصاد كي نسد عوز المحتاجين

ينبغي أن نعتمد خطة الاقتصاد والتعفف في معيشتنا لئلا نثقل على الغير أو نزعجهم وقد اتقن هذه الفضيلة جميع الرسل ولا سيما مار بولس الرسول على ما تبين من كتاباتهِ إلى الكنائس فإنهُ كتب إلى أهل تسالونيقي قائلاً: أنتم تذكرون يا أخوتنا أننا كنا نتعب ونكدّ بأيدينا عاملين نهارًا وليلاً لئلا نثقل على أحد منكم وننادي فيكم ببشري الله (1تسالو ص2ع9) وفي محل آخر: ولا أكلنا من أحد خبزًا مجانًا بل كنا نعمل والتعب في الليل والنهار لئلا على أحد منكم (2تسالو ص3ع8).

العشرون كيف يجب أن نغري الشعب المسيحي بمقت السرقة وبالاجتهاد في عمل الاحسان

من الأمور المفيدة أن الرعاة يوردون للمؤمنين أيات الأسفار المقدسة والأنبياء المعبرة عن وعيد الباري تعالى الرهيب للذين يسرقون ويخطفون كي يغروهم باستفظاع جميع هذه الأعمال الأثيمة فيرهبونها ويقلعون عن ارتكابها ومن هذه الأقوال المقدسة ما ورد على لسان النبي عاموص: اسمعوا هذا يا ايها الظامئون إلى دم المسكين وافناء بائسي الأرض قائلين متى يمضي رأس الشهر فنبيع الميرة والسبت فنعرض البر مصغرين الإيفة ومكبرين المثقال ومستعملين موازين

(544)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الغش مقتنين بالفضة والمساكين والفقير بنعلين وبائعين نفاية البرّ قد أقسم الرب على زهو يعقوب أني لا أنسى عملاً من أعمالهم إلى الأبد (ص8ع4و5و6) وكثيرًا ورد مثل هذا الكلام في نبوة ارميا حيث يقول: اسمعوا أيها الحمقى الشعب الفاقد اللب الذين لهم عيون ولا يبصرون ولهم أذان ولا يسمعون: لأنهُ قد وجد بين شعبي منافقون يرصدون وهم لا طئون كالصيادين قد نصبوا الفخ فيتقنصون الناس لا يقضون دعوى اليتيم ولا يجرون حكم المساكين (ص5ع21 والباقي) وفي سفر الأمثال: تحصل الكنوز بلسان الكذب بطل زائل لملتمسي الموت سلب المنافقين يجرفهم لأنهم أبوا أجزاء الحكم (ص21ع6و7) وفي ابن سيراخ: لا أحد أقبح جرمًا من البخيل لماذا يتكبر التراب والرماد حب الفضة ليش شئ شرًا منه لأن ذاك يجعل نفسهُ أيضًا سلعة وقد أطرح أحشاءه مدة حياته (ص10ع9) ثم قال لا يهمل (الرب) اليتيم المتضرع اليه ولا الأرملة اذا سكبت شكواها اليست دموع الأرملة تسيل على خديها على الذي اسا لها أنها من خديها تصعد إلى السماء والرب المستجيب لا يتلذذ بها (ص35ع17) ثم لا شك أن أصل هذه الشرور التي ينضي بها عصرنا أكثرها يتأتي عن الأسباب التي ذكرتها هنا الأسفار الالهية. وعلى الرعاة أن يوردوا على مسامع المؤمنين تلك المكافأة الجزيلة التي وعد الله بها في هذه الدنيا والأخرى أولئك الذين يحسنون بسخاء على الفقراء والمساكين وهذا مما يستهمهم على أعمال الرحمة للمعوزين والمساكين.

(545)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحادي والعشرون ما الحكم في اولئك الذين يعتذرون عن سرقاتهم ونفاقهم بحجج باطلة

إن من الناس من يعتذرون حتى في السرقة فينبغي أن نعظهم في أن الله سبحانه لا يقبل أدنى عذر في خطيتهم لا بل أن الخطية فضلاً عن أنها لا تمحي بهذا العذر تزاد جرمًا. فإن ما يأثره الاشراف من التنعم الفاحش الذي يحسبونه عذرًا يخفف ثقل إثمهم اذ يزعمون أنهم لا يقدمون إلى السلب مال الغير من باب الشهوة أو الطمع بل لداعي المحافظة على شرف غائلتهم وأجدادهم الذين يسقط اعتبارهم وتندك معالي مقامهم دكّا اذا لم يسندوه بمال الغير. فيلزم الرعاة أن الطريقة الوحيدة للمحافظة على الثروة ومقام الأقدمين ومجدهم وانمائهما انما هي الخضوع لمشيئته تعالى وحفظ وصاياه وأما اذا عصيناها واحتقرناها فيندك بناء الثروة والمال والغنى دكّا ولو متين الأركان فإن الملوك أنفسهم تُثل عروشهم ويهبطون عنها إلى أسفل الأسافل ويجلس الله عوضهم على سرير الملك أحيانًا أناسًا أدنياء كانوا لديهم في محل الشنأة والبغض الشديد أن الله يغضب غضبًا لا يدركه العقل على مثل هؤلاء المنافقين بدليل قوله بلسان اشعيا النبي: روساؤك عصاة وشركاء للسراق كل يحب الرشوة ويتبع الأجور لا ينصفون اليتيم ودعوى الأرملة لا تبلغ اليهم فلذلك قال السيد رب الجنود عزيز اسرائيل: لا ريحن نفسي معاندّي وانتقم من أعدائي وأردّ يدياأ

(546)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من قبيل أنه لا ينثني إلى ترضية المهان خوفًا من الخزي والخجل الممقوت ومن انحطاط سمعتهِ وكرامته بموجب فكره الباطل ولهذا يجب أن نوعز إلى المؤمنين في هذا المقام بأن يؤدوا لله أعظم الحميد والشكر على سنهِ هذه الوصية الخلاصية بتحريم شهادة الزور التي بها ليس نمتنع نحن أنفسنا عن اهانة غيرنا فقط بل ان غيرنا أيضًا بامتثاله الوصية المذكورة يمتنع عن اهانتنا وضررنا.

الثاني ما هو موضوع هذه الوصية

ينبغي أن نسلك في شرح هذه الوصية نفس الطريق التي سلكناها في شرح باقي الوصايا أي أن نعتبر فيها سنتين إحداهما تنهانا عن أن نشهد شهادة زور ثانيهما تأمرنا بأن نقيس أقوالنا وأعمالنا على قسطاس الحق والصدق المجرّد بمعزل عن التصنع والاحتيال والالتباس وقد وعظنا الرسول المعظم في أن نسلك هذا المسلك برسالتهِ إلى أهل أفسس قائلاً: بل نصدق بالمحبة فننمو في كل شئ (ص4ع15)

الثالث ما ينبغي أنم نحاذره على الخصوص بهذه الوصية

ان الدنسم الأول من هذه الوصية يقوم في تحريم شهادة الزور على من يشهد حالفًا أما القاضي في المحكمة ولو فهم بشهادة الزور كل ما يقال قولاً غير صحيح عن عمد وثبات في حق آخر خيرًا أو شرًا في المحكمة أو خارجها لأن الشاهد أمام القاضي يحلف بالله وعلى شهادتهِ هذه وحلفه يوثق بقوله ويعتد بهِ. فلما كانت مثل هذه الشهادة ذات خطر حرمت تحريمًا خصوصيًا لأن القاضي لا يقدر أن يرفض الشهود (549\_552) مش موجودين

(555)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحالفين الاّ أن تندفع شهادتهم بالموانع الشرعية أو يظهر للعيان شرهم وردأَتهم التي لأجلها لا يصلحون للشهادة. لا سيما أن السنة الالهية تقتضي بقيام كل كلمة بفم شاهدين أو ثلثة (لوقا ص16ع30) ولكي يفهم المؤمنون هذه الوصية فهمًا وافيًا يجب أن يُعلموا ما المقصود بلفظة القريب الذي لا يجوز أن نشهد عليهِ شهادة زور قطعًا .

الرابع ما المفهوم هنا بلفظة القريب

أن القريب هو كما علمنا ربنا يسوع المسيح كل من يحتاج الى مساعدتنا سواءَ كا ذا قرابة أو أجنبيًا أو وطنيًا أو غريبًا أو صديقًا أوعدوًا فلا ينبغي أن نعتبر أنهُ يحل لنا أن نقول شيئًا كذبًا بمنزلة شهادة على أعدائنا فيما أنهُ من الواجب علينا بامر الله وربنا يسوع المسيح أن نحبهم لا بل لما كان انسان قريبًا لنفسه ما جاز لأحد ان يشهد شهادة زور على نفسه ومن يرتكبون هذا الاثم يهتكون حرمتهم ويسمون نفوسهم بسمة العار والفضيحة ثم يضرَّون أنفسهم والكنيسة التي هم أعضاؤها. ومثلهم أيضًا الذين ينتحرون (يقتلون نفوسهم) فإنهم يضرون الألفة المدنية هكذا يشهد القديس اغوسطينوس بقولهِ: إن الذين لا يفهمون حسنًا ربما يخال لهم أنه غير محرّم على الانسان أن يشهد بالزور على نفسه متعللين بكون الوصية تقول على قريبك لا على نفسك ولكن من يشهد على نفسه شهادة زور لا يخطرنَّ في باله أنه برئ من هذه الخطية لأن القاعدة في محبة القريب يتخذها المحب من محبتهِ لنفسه

(556)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس لا يجوز أن نشهد بالزور ولا أن نكذب طلبًا فائدة القريب

حيث حرّم علينا أن نضر القريب بشهادة الزور فلا يخالن ببال أحد لأجل ذلك أنه يجوز لنا ما كان عكسه أي أن نتواطئ لمن كان اليفنا بالطبيعة والدين بأن نشهد لهُ زورًا تحصيلاً لمنفعتهِ وراحتهِ اذ لا يجوز لأحد أن يقدم على الكذب وبأولى حجة على شهادة الزور والحنث كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم الثاني في الفصل 1 من البحث 70 وفي الفصل 2و3 من البحث 100 ولهذا قد علم القديس اغوسطينوس في كتابهِ عن الكذب بناءَ على قول الرسول المعظم أن الكذب يحصى ما بين شهادات الزور حتى اذا وقع في معرض المدح للغير: ففي كلامه عبى هذا الموضوع يقول: بل اضحينا شهود زور لله لأننا شهدنا على الله أنهُ قد أفقام المسيح وهو لم يقمه اذا كان الأموات لا يقومون (1قور ص15ع15) وعليهِ يقول اغوسطينوس بأن الرسول يسمي شهادة زور ما يقال كذبًا في المسيح عائدًا إلى مديحهِ

السادس كم من الشرور يصدر عن شهادة الزور لأجل فائدة الغير

كثيرًا ما يتفق أيضًا أن ما يفيد الواحد يضرّ الآخر. فمن المحقق أن ذلك يأتي القاضي بسبب للخآ في حكمه اذ ينقاد أحيانًا إلى الشهود الزور ويضطر إلى اصدار الحكم للبطل ضد الحق بموجب تبليغهم ويحدث أيضًا أن الذي يربح الدعوى في المحاكمة بسبب شهادة الزور ولم يلحقه

(557)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قصاص على عمله هذا يعتاد على استعمال الرشوة وإقامة شهود زور يامل بواسطتهم البلوغ إلى كل ما يبتغيه فلا جرم أن ذلك أفظع ذنب وخطاء على شاهد لأنه يعرف عند من شهد لهُ زورًا وعاونه على ربح دعواه بكونه شاهد زور وحانثًا وهو نفسه لما يرى أن اثمه أتاه بالنجاح يزداد أقدامًا كل يوم على مراجعته ويتعود النفاق والاتقاح

السابع أن هذه الوصية تحرم الخطايا جميع أولئك الذين يتعاطون في المحاكم وبالاجمال كل كذب

كما أن الوصية تحرّم التزوير والكذب والحنث على الشهود كذلك تحرّمها على المدّعين والمدعي عليهم وأصحاب الدعاوي والوكلاء والأفوكانية وجميع من يتعاطون الدعاوي والمرافعات. وفي الآخر أن الله يحرّم كل شهادة في المحكمة وخارجها تأتي الغير بالضرر لأن قد ورد في سفر الأحبار حيث تكررت هذه الوصايا: لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا بغش أحد قريبه (أحبار ص19ع11) فإذن ليس لأحد أن يرتاب في أن الله سبحانه يحرّم كل كذب ويرذله كما شهد بصريح العبارة النبي داود بقوله: وتهلك كل الذين ينطفون بالكذب (مزمور5ع7).

الثامن أن هذه الوصية تتناول أيضًا تحريم رذيلة الغيبة

يحرّم بهذه الوصية لا شهادة الزور فقط بل أيضًا العادة الذميمة والميل الممقوت للاغتياب فلا تُقدر ولا تدرك الأضرار والشرور التي

(558)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تتولد منه. فالأسفار الالهية كثيرًا ما تهجن رذيلة الاغتياب. قال النبي داود: المغتاب لقريبه بالخفاء استأصله (مزومور100ع5) ثم يعقوب الرسول لا تغتابوا بعضكم بعضًا أيها الأخوة (يعقوب ص4ع11) ثم أن الكتاب المقدس ليس ياتينا باقوال ووصايا فقط بل يروي لنا حوادث تبين لنا جسامة هذا الاثم لأن هامان بكثرة ما أوقع من الاغتياب في حق اليهود اضرم قلب أحشورش الملك غضبًا عليهم حتى أصدر أمره بقتل أمتهم كلها (استير ص12 كله) وأن التواريخ بذكرها ارهابًا للمؤمنين من اثم الاغتياب.

التاسع من هم الذين يعدون بين مصاف المغتابين

حتى تدرك قوة خطية الغيبة حق الادراك يجب ان نعرف أن القريب يشّنع صيته لا باغتيابه افتراءَ واتهامه بذنوب زورًا فقط بل بالمبالغة في ذنوبه أيضًا واذا ارتكب أحد ذنبًا في الخفاء و كان اظهاره يشنع صيت فاعله تشنيعاً ثقيلاً فمن يظهره حيث و متى و أمام مَن لا ينبغي اظهاره يسمى بحق تمامًا ومفتريًا وأفظع ضروب الاغتياب هو التكلم بالوقيعة في حق التعليم المسيحي ودعانهِ يرتكب مثل هذا الاثم مَن يثنون خيرًا على معلمي الردية الفاسدة والأضاليل.

العاشر من يضغون إلى النمامين ويزرعون الفتن بين الخلاَّن هم مغتابون

أن أولئك اللذين يصخون سمعًا للثلاثين والمغتابين ولا يعترضونهم

(559)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لا يتميزون عنهم ذنبًا ولا يفترقون عن عدادهم وقال القديسان ايرونيموس وبرنردوس لا يتبين بسهولة ايمًا الفعلين أشد قباحة الاغتياب أم الاصغاء إلى المغتابين حيث لولا الذين يصغون للمغتابين لما وُجد مغتابون وثلابون. ومن هذا النوع أيضًا الذين بتحايلهم وأفكهم يغتابون الناس وهيجون بعضهم على البعض الأخر ويسرون بزرع الفتن والقاء الفساد والانتقام ويقطعون بستان السنتهم الماكرة ربط الاتحاد والايتلاف الوثيقة ويفرقون بين الأصدقاء ويشبون نيران العداوة والخصام بينهم حتى يمسي الوّد والوفاق في خبر كان إلى حد أنهم يحملونهم على التناقر والقتال بالسلاح فما أكثر ما يشناء الرب ويمقت هذا الوباء الموبق فلهذا قال: لا تسع بالنميمة بين شعبك (أحبار ص19ع16) فكان كثيرون مثلا هؤلاء النمامين بين مستشاري شاول الذين كانوا يسعون في تغليظ خاطره على داود ويحرّشونهُ على أن يبطش به.

الحادي عشر أن هذه السنة تحرّم أيضًا المداهنة والمصاقلة

ثم يأثم من هذا القبيل المصاقلون والمداهنون الذين يدسون التمليقات والموالسات في أذان وقلوب الذين يرجون منهم منة أو مالاً أو جاهًا وكما يقول اشعيا النبي: القائلين للشر خيرًا وللخير شرًا الجاعلين الظلمة نورًا والنور ظلمة الجاعلين المرّ حلوًا والحلو مرًا (اشعيا ص5ع20) فيعظا داود النبي أن نبتعد عن مخالطتهم ونتحاشى معاشرتهم اذ قال: ليقرعني الصديق انما ذلك رحمة ليوبخني: أما زيت الخاطئ فلا يدهن به رأسي (مزمور140ع5) فهؤلاء ولو أنهم لا يقذفون

(560)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بحق القريب مع ذلك يضرونه أعظم ضرر لأنهم في مداهنتهم اياه ومدحهم اياه على أثامهِ يصبرون لهُ سببًا للاستمرار على رذئلهِ طول أيام حيالته ومن هذا النوع من الوالسات والمصاقلات موالسة أخرى شر من التي مّر بيانها وهي التي تستعمل لايقاع القريب في المصاب والتهلكة هكذا شاول لما كان يرغب في أن يعرّض داود إلى غضب الفلسطانيين ومحاربتهم ليقتلوه كان يتملقه بهذا الكلام: هذا ابنتي الكبرى ميراب أعطيكها زوجةً ولكن كن لي ذا بأس وحارب حروب الرب (1ملوك ص18ع17) وهكذا اليهود خاطبوا ربنا يسوع بكلام المكر والخدعة قائلين: يا معلم قد علمنا أنك محقٌ وطريق الله بالحق تعلم (متى ص22ع16).

الثاني عشر كيف يضرّ الأصدقاء المدنف على الموت بمدالستهم وموالستهم

وأكبر ما ذكر من أسباب الضرر هو كلام الأصدقاء والأنسباء والأقرباء المشعر بالمداهنة والمةالسة لمن كان من أصدقائهم أو أعزائهم متقلبًا في مرض قتّال اشرف بهِ على الموت حين يوكدون لهُ أنهُ على سلامة وما من خطر عليهِ البتة ويوعزون اليه بأن يسر ويفرح ويبعدونه عن الافتكار في الاعتراف كأنهُ فكر يوعب قلبه غمًا ورعبةً. ثم يمنعونه عن كل اهتمام وعن كل تأمل بالأخطار القريبة التي أدركتهُ والحاصل ينبغي أن نفر من جميع أقاويل الكذب ولا سيما من الوالسة التي تلحق بكل أحد ضررًا بايغًا والحق يقال أن أقبح الاثم والكفر هو الكذب

(561)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الذي يقع في أمور الديانة كما قال القديس توما في القسم 2في الفصل 4 من البحث100.

الثالث عشر يأثم أيضًا بمخالفة هذه الوصية الذين يصنفون كتب طعن في العرض ويكذبون في معرض الهزل والمزاح والمراؤّون

أن الله سبحانهُ يغتاظ غيظًا شديدًا من مصنفي الكتب المشتلمة على أقاويل طعن العرض وقذف شتائِم واهانات وما شاكل ذلك من أنواع النميمة والافتراء. وممن يخدعون بالكذب الجاري على سبيل الهزل والمزاح ولو لم يتأت لأحد من ذلك ضرر أو ربح ومع ذلك هو خارج كليًا عن دائرة الآداب لأن الرسول المعظم يوعز الينا بمجانبتهِ قائلاً: اطرحوا عنكم الكذب وليكلم كل واحد منكم قريبه بالحق (أفسس ص4ع25) لأن هذا لأمر يميل بالانسان إلى الاكثار من الكذب وإلى مداومته بأثقل اثم. ثم يتخذ الناس من الأكاذيب الهزلية عادةً في الكذب ومن ثم يمسون في أعين العموم غير صادقين بكلامهم حتى يضطروا دوامًا إلى الحف كي يصدق قولهم. وفي الآخر يقول أن القسم الأول من هذه الوصية يحرم أيضًا الرياء بالقول أو بالفعل المقترن بالاثم لأن الكلام والأفعال انهم هي دلائل وعلامات على ما في قلب الانسان فمتى خالفت هذه الدلائل مدلولها كانت رياء أي متى كان الظاهر خلاف الباطن كما قال ارسطو الفيلسوف أن الكلام والفعل ترجمان الجنا ولهذا السبب كثيرًا ما

(562)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كان ربنا يسوع المسيح يقرّع الفريسين ويسميهم مرائين (متى ص15ع7 هذا ما اقتضى بيانه من القسم الأول من هذه الوصية نظرًا إلى النبي فلناتين الآن إلى ما يأمرنا بهِ الرب في القسم الثاني.

الرابع عشر ما يؤمر في القسم الثاني من هذه الوصية نظرًا إلى المحاكم المدنية

أن فحوى هذه الوصية ووجهها هو أنها تقضي على الحكام المدنيين أن يلزموا العدل والحق في أحكامهم وتنهي الناس عن أن يختلسوا سلطة الحكم ويستخصونها بذاوتهم حيث لا يجوزان ندين عبدًا ليس هو لنا كما كتب لنا رسول الأمم (رومية ص14ع4) وعن ان يبرزوا الحكم بدون أن يقفوا على حقيقة الدعوى ومقتضايتها فقد تعرقل بجبائل هذه الرذيلة مجمع الكهنة والكتبة الذين حكموا على القديس اسطفانوس (ابركسيس ص6ع9) ومثلهم أخطا حكام فيلبي الذين قال عنهم رسول الأمم: لقد جلدونا جهرًا من غير أن يُقضي علينا نحن رجلان رومانيان والقونا في السجن أفالان يخرجوننا سرًا (ابركسيس ص16ع389 وتنهي هذه الوصية عن ابراز الحكم على الأبراياء أو تزكية المجرمين وأن القضاة لا ينقادون إلى الحكم بالرشوة ولا بالحاباة ولا عن ألم البغض أو المحبة هكذا أوعز موسى إلى الشيوخ الذين أقامهم قضاة الشعب بقوله: احكموا بالعدل بين الرجل واخيه ونزيلهِ لا تحابوا وجه أحد في الحكم واسمعوا للصغير سماعكم للكبير ولا تهابوا وجه انسان فإن الحكم لله (تثنية ص1ع16و17).

(563)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس عشر لا يجوز للمجرم أن يكذب اذا استنطقه الحاكم الشرعي

أن الله يريد أن المجرمين والمتهمين يقرون بالحق حين يسألهم القاضي بصورة المحاكمة كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2ف الفصل 1و2 من البحث 60 لأن هذا القرار بالحق هو شهادة تعبر عن مديح الله وتجيده بدليل قول يشوع بن نون الذي أغرى عاخان بالاقرار بالحق قائلاً: يا ابني اعطِ مجدًا للرب اله اسرائيل واعترف واخبرني بما صنعت ولا تكتم (يشوع ص7ع19) فحينئذٍ اعترف لهُ عاخان بالحقّ بذنبه كما كان قد صنعه.

السادس عشر ما هي وظيفة الشهود

لما كانت عمدة هذه الوصيىة على الشهود خاصة وجب على الراعي أيضًا أن يستوفي الكلام في موضوعهم لأن مدارها نافذ ليس في تحريم شهادة الزور فقط بل أيضًا في الأمر بقول الحق لأن الشهادة بالحق في الأمور البشرية لها فعل كبير من كوننا نجهل من الضرورة اشياء لا يحصيها عاد أن لم نعرفها من صدق الشهود ولهذا ما من شئ الزم من صدق الشهود في الأشياء التي لا نعرفها ومع ذلك لا يجوز لنا أن نجهلها وفي هذا الصدد قال القديس اغوسطينوس في رسالتهِ إلى كاسولانوس: من يخفي الحق ومن ينطق بالكذب كلاهما مرذولان ومجرمان فالأول لأنه يريد أن يفيد والثاني لأنه ينبغي الضرر (أه) انما يجوز أحيانًا أن الصمت عن اظهار الحق ولكن خارج المحكمة أما في المحكمة فيلتزم الشاهد

(564)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

حتمًا أن يظهر الحق كله حين يسأل له القاضي بموجب القانون مع ذلك يجب على الشهود أن يحذروا في هذا المقام من أن يتكلموا أكثر من اللازم على ذاكرتهم لئلا يثبوا شيئًا لم يتحققوه وبقي أن نتكلم على أصحاب الدعاوي والأفوكاتية والمدعين والمدعي عليهم.

السابع عشر بأي وجه يقدر الأفوكاتية ووكلاء الدعاوي أن يقوموا بحق وظيفتهم

يلزم هؤلاء أن لا تأخروا عن بذل الهمة والاجتهاد في الدفاع عن دعاوي موكليهم عند احتياجهم إلى ذلك وأن يساعدوا الفقراء بالحلم والرأفة ثم ينبغي أن لا يتوكلوا في دعاوي غير حقة ولا يحاموها ولا يطاولوا في الدعاوي طمعًا يكسب المال وأما نظرًا إلى أجرة تعبهم فيجب أن تقاس بميزان العدل والانصاف.

الثامن عشر كيف أن المدعين والمشتكين لا يقومون بحق وظيفتهم حسنًا

يجب أن نوعز إلى المدعين والمشتكين الاَّ يختلفوا دعاوي غير صحيحة وذات خطر على خصومهم من قبيل المحبة أو البغض أو الطمع أخيرًا أن الله سبحانه يامر ويحتم على أهل التقوى والذمة بأن يتكلموا دائمًا بالحق ويحسب معرفتهم ويقينهم في مخاطباتهم كلها بالاًّ يقولوا كلامًا يطعن في شأن غيرهم حتى ولا في شان من أغاظهم وإهانهم حيث يلزمهم أن يجعلوا دائمًا نصب عيونهم ما بينهم من رباط الاتحاد والألفة بما انهم أعضاء جسد واحد.

(565)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع عشر بأية سبل يمكن المسيحيين أن يتوصلوا إلى معرفة ما في الكذب من القباحة

ينبغي على الراعي أن يبين قباحة هذا الاثم الفظيع كي يجانب المؤمنون من تلقاء ذاتهم رذيلة الكذب لأن الأسفار المقدسة تسمي الشيطان أبا الكذب (يوحنا ص8ع44) من كون ابليس خزاه الله لم يثبت على الحق فهو كذاب وابو الكذب ومما يقضي على الانسان أيضًا بنبذ هذه الرذيلة تلك الشرور التي تتأنى عن الكذب ولما كانت كثيرة لا يحصيها عاد لزم الراعي أن يقتصر على بيان رؤوسها ومصادرها أولاً عظم الاهانة التي تلتحق بالله من الانسان الكذاب وشدة ما يدركه من غضبه تعالى وبغضه. قال الحكيم في أمثاله: ستة يبغضها الرب والسابع رجس عنده العينان المترفعتان واللسان الكاذب واليدان السائكتان الدم الذكي والقلب المنشئ أفكار الاثم والرجلان المسارعتان في الجري إلى المساوئ وشاهد الزور الذي ينفث الأكاذيب ويلقي الشقاق بين الأخوة 0أمثال ص6ع17و18و19) وأضرار أخرى سيأتي ايرادها. ليت شعري من هو الذي يقدم إلى تطمين من اشتدت عليه بغضة الله إلى النجاة من عقوباته تعالى الاليمة المبرحة

العشرون ما الأضرار المتأنية من الكذب على الألفة البشرية

لا أقبح ولا أشنع كما يقول القديس يعقوب الرسول من أننا بلسان واحد تبارك الله الأب ونعلن البشر الذين صنعوا على مثال

(566)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الله من الفم الواحد تخرج البركة واللعنة فلا ينبغي يا اخوتي أن يكون الامر هكذا العل ينبوعًا من مخرج واحد يفيض بالعذب والاجاج (يعقوب ص3ع9و10) لأن هذا اللسان كان قبلاً يسبح الله ويمجده وفيما بعد أخذ بقدر مكنتهِ يشتمه ويهينه بالكذب. ولهذا حكم على الكذابين بالنفي من ميراث السعادة السماوية لأن داود النبي لما سأل الله قائلاً: يارب من يحل في مسكنك ومن يسكن في جبل قدسك. أجابه الروح القدس: السالك بلا عيب والفاعل البر والمتكلم بالحق في قلبه (مزمور14ع1و39 ثم أن أكبر الضرر الصادر عن الكذب هو أنهُ داءٌ للنفس يكاد ان يكون ممتنع شفاوه لأن الخطية التي يقترفها الانسان باتهام غيره بذنب زورًا أو بطعنه في القريب وشانهِ لا تغفر ما لم يكذب المفتري ذاته ويعوض الضرر على من افترى عليه وهذا دونه خرط القتاد عند البشر أولاً من قبل الخجل كما نوهنا سابقًا ثم من قبل الخوف من الانحطاط عن كرامتهم واعتبارهم. فلا شك اذن في أن من يقترف هذه الخطية بعد وقودًا لنار جهنم الأبدية وما من رجاء لهُ بنوال الغفران عن افترائه على غيره وطعنه في عرضه وتسويد شأنه بالثلب والنميمة ما لم يعوّض عليه قبلاً عما افترى عليه بتخفيف كرامته واتلاف صيته جهرًا 6في المحكمة أو خارج المحكمة في المحادثات الخصوصية. وناهيك أن هذا الضرر متسع النطاق جدًا فيعم كثيرين بهذه الأباطيل والكذب تندك أركان الصدق والحق دكًّا زهما أمتن للألفة البشرية فإذا تقطع غدت عيشة

(567)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

البشر في الضطراب والبلبلة والتشوش حتى لا يعود أدنى فرق بين الناس والابالسة. ويلزم الراعي أن يعلم أيضًا المؤمنين أن يجنبوا الهذر لأن في محانبتهِ نحاةً من باقي الخطايا واحتراصًا عظيمًا من الكذب لأن المهذارين فلما يستطيعون سبيلاً إلى الفرار من هذه الرذيلة.

الحادي والعشرون في رذل اعتذارات الكذابين الباطلة

وفي الىخر يلزم الراعي أن يكشف حجاب الضلال عن أولئك الذين يتعللون بالباطل في الكذب استنادًا إلى نموذج أصحاب الفطنة فيقولون أن للكذب وقتًا يجوز فيه. فليجاوبهم بما كان عين الحق من قول الرسول المعظم. أن فطنة الجسد موت (رومة ص8ع6) ويغري سامعيه بالاتكال على الله على الله في الشدائد والضيقات لا أن يلجئوا إلى صنعة الكذب لن من يعتصمون بهذا الملجأ يعلنون بلسان حالهم أنهم متكلونِ على فطنتهم أكثر مما أنهم يضعون رجاهم في عنايتهِ تعالى ومن الناس من يعتذرون في الكذب بما أوقعه فيهم غيرهم من الغش يكذبه كأنهم يستحلون مقابلته بالمثل أي أنه يجوز لهم أن يجوز لهم أنم يكذبوا عليه مثلما كذب عليهم. فليعلم هؤلاء أنه لا يجوز لأحد أن ينتقم لذاتهِ ولا أن يكافئ أحدًا على شر بشر (رومة ص13ع17) ولا أن ينغلب للشر بل يغلب الشر بالخير فلو جاز لنا أن نكافئ الشر بالشر لما حصل فائدة لأحد اذا انتقم الواحد من الآخر وضره بل الضرر الذي أصابنا بكذب الآخرين علينا يزداد بهظًا من قبل الكذب الذين نقابلهم بهِ ولضر بهِ أنفسنا ومن الناس أيضًا من يعتذرون في الكذب

(568)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لضعف الطبيعة البشرية ووهنها فيجب أن نوصي هؤلاء بأن يستمدوا العون من الله ولا يدينوا للضعف البشري ومن يتعللون بان ملكة الكذب قد رسخت فيهم فليجاوبوا أنهم اذا تعودوا الكذب ينبغي أن يجتهدوا في أن يتعودوا الصدق في كلامهم نقضًا لعادة الكذب لا سيما أن الذين يخطئون من قبل الملكة خطاؤهم أثقل من خطاء غيرهم.

الثاني والعشرون لا يجوز أن نكذب بسبب كذب غيرنا

لا يخلو العالم من قوم يعتذرون في الكذب بمثال باقي الناس الذين يكذبون ويحنثون فينبغي أن نردهم عن هذا المذهب الوخيم بهذا البرهان القاطع وهو أنهُ لا ينبغي أن نقتدي بالأشرار بل أن نوبخهم ونؤدبهم ولكن أن كنا نحن أنفسنا نكذب فلا يعود لكلامنا نفوذ في توبيخ الآخرين وتأديبهم. ومن الناس من يعتذرون في الكذب بقولهم: أن الصدق بكلامهم يوديهم إلى العطب والخسران. فعلى الكاهن أن يرد عليهم بأن هذا الاعتذار لا يزكيهم ولا يفيدهم شيئًا بل انام هو شكوى على ذواتهم اذ من حق الانسان المسيحي أن يؤثر الخسارة على الكذب.

الثالث والعشرون لا يجوز الكذب الهزلي ولا النافع

بقي صنفان من البشر يعتذرون في الكذب بعضهم من يقولون أنهم يكذبون من باب المزاح وبعضهم لأجل المنفعة لأنهم لا يقدرون أن يشتروا ولا يبيعوا حسنًا ما لم يكذبوا فعلى الراعي أن يرد هؤلاء عن هذا الجهل الغليظ. فالأولون الذين يقولون أنهم يكذبون من باب

(569)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المزاح يقلعون عن هذه الرذيلة بيبانه لهم ما أكثر ما يزيد فعل الكذب عادةً الخطا في هذا النوع وبترسيخهِ في أذهانهم ما قاله ربنا يسوع المسيح لذكره السجود من ان كل كمله بطالة يقولها الناس يعطون عنها حسابًا يوم الدينونة (متى ص12ع26) وأما الآخرون وهم الذين يعتذرون في الكذب بالفائدة والمنفعة فليوبخهم توبيخًا شديدًا ثم يبين لهم أن نفس اعتذارهم هو ذنب قبيح لأنهم يعلنون به انهم لا يعتبرون ولا يصدقون ما قاله ربنا يسوع المسيح من فمه الطاهر: اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(570)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل العاشر

في الوصيتين التاسعة والعاشرة لا تشتهِ بيت قريبك لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئًا مما لقريبك (خروج ص20ع17)

الأول كيف يستبين أن الثمان وصايا المار ذكرها متضمنة في هاتين الوصيتين التاسعة والعاشرة

ينبغي أولاً أن نعرف أن هاتين الوصيتين الأخيرتين من الوصايا العشر يترتب النوع الذي بهِ تحفظ باقي الوصايا لأن كل ما أمرنا بهِ في هذا الكلام غايته أن يحمل كل من يجتهد في حفظ أوامر السنة السابق ذكرها على أن لا يشتهي لكون الذي لا يشتهي ما لقريبه يستكفي بماله ويقنع بهِ بل يفرح لراحة غيره ونجاح أمره ويمجد الله الحي القيوم يوؤدي لهُ اعظم الحمد والشكر ويحفظ السبت أي أنه يتميتع بالراحة الدائمة ويكرم رؤساه وفي الآخر لا يؤذي أحدًا لا بالقول ولا بالفعل ولا يوجه ىخر من الوجوه كما قال القديس غريغوريوس في الفصل 4من كتابهِ 21 في الأدبيات: لأن أصل الشرور كلها هو الشهوة الردية فمن تضطرم قلوبهم بها يتهورون في دركات جميع الرذائل والقبائح. فغب الاطلاع على هذه الأمور ينبغي على الراعي أن يبذل جهده في تعليم ما يليها وعلى المؤمنين أن يحسنوا الاصغاء إلى تعليمهِ.

(571)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني كيف تختلف هاتان الوصيتان بينهما

قد ضمنا هاتين الوصيتين معًا لكون موضعهما غير مختلف وطريقة تعليمهما واجدة ومع ذلك يمكن الراعي في تعليمه وارشاده أن يباحث في كلتيهما معًا أو في كل واحدة على انفرادها حسب ما يرى مناسبًا. وأما اذا باشر شرح الوصايا العشر فحينئذٍ يبين الفرق الكائن بين هاتين الوصيتين وبين شهوة وأخرى وقد أفاد القديس اغوسطينوس عن هذا الفرق في كتاب المباحث في البحث في البحث 77 في تفسيره سفر الخروج أن احدى الشهوتين تتجه إلى ما فيه منفعة وربح. والأخرى تتقصد الفساد واللذات البدنية فمن يشتهي حقلاً أو بيتًا وما شاكل ذلك فذاك يبتغي الربح والفائدة لا اللذة وأما من يشتهي امراة فذاك ينقد لا بشهوة المنفعة بل باللذة البدينة.

الثالث هل استوفى ببيان ما تتضمنه هاتان الوصيتان الأخيرتان في شرح الوصيتين السادسة والسابعة

قد عرض لزوم لهاتين الوصيتين من بابين الباب الأول لبيان حكم الوصيتين السادسة والسابعة ولو أننا ندرك بمجرَّد النور الطبيعي أن استهاء امتلاك امرأة الغير محرّم لكون الفسق محرمًا لأنهُ لو جاز اشتهاؤُها لجاز أيضًا امتلاكها مع ذلك وجد كثيرون من اليهود من أعمت الخطية بصيرتهم لم يقدروا أن يتوصلوا إلى الاعتقاد بأن الله حرّم اشتهاؤها لا بل أن كثيرين من الذين كانوا يعتقدون في ذواتهم أنهم مفسرو السنة التي سنها الله وأذاعها في هذا الضلال كما يتبين

(572)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من كلام الرب في بشارة متى: قد سمعتم أنهُ قيل للأولين: لا تزنِ وأما أنا فأقول لكم أن من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه (ص5ع27) الباب الثاني هو أن بعض أشياء حرَّمت صريحًا في الوصيتين التاسعة والعاشرة ولم تحرّم صريحا في الوصيتين السادسة والسابعة. مثلاً قد نهت الوصية السابعة كل أحد عن أن يشتهي أو يحاول سلب مال غيره من باب الظلم أما الوصية التاسعة فتنتهي عن اشتهائه بأي وجه كان ولو أمكن أحدَا بوجه الحق والشرع اكتساب مال غيره اذا رأى أنهُ من امتلاكه اياه يوقع ضررًا في القريب.

الرابع ما الاحسان الذي منحناه الله بهذه الوصية وكم هو

قبل أن نبادر إلى شرح الوصية ينبغي أن يعلم المؤمنون أن هذه السنة لا تعلمنا قمع شهواتنا فقط بل تعرفنا أيضًا عظمة محبتهِ تعالى لنا لأنه بسنهِ لنا الشرائع السابق ذكرها كأنه وضعنا في حصون منيعة نتقي بها التعدي على حياتنا ومالنا من غيرنا وبإضافته اليها هذه الوصية أراد أن يقينا خاصة من أن نضر نفوسنا بشهواتنا الأمر الذي يسهل وقوعه لو جاز لنا أن نبتغي ونشتهي كل ما نريده ونهواه. فلما سنَّ علينا اذن هذه الوصية التي تحرّم الشهوة قد تداركنا بايهان مناخر الشهوات التي تسوقنا عادةً إلى كل ما فيه ضرر وعطب فأمست ضعيفة القوة في مضايقتنا وهكذا نجونا من تعنيف الشهوات وهيجانها الشديد وتوفر لنا فوق ذلك زمن لممارسة أفعال التقوى والديانة الكثيرة المتوجبة علينا الله تعالى.

(573)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس ما الفرق الكائن بين هاتين الوصيتين الالهيتين والشرائع البشرية

أن هذه السنة لا تعلمنا فقط ما تقدم ذكره بل تبين لنا أيضًا أن سنة الله من طبعها توجب حفظها لا بالأعمال الخارجة فقط بل أيضًا بحاسة النفس وعواطف القلب الباطنة وهذا هو الفارق بين الشرائع الالهية والبشرية أي أنه الشرائع البشرية تستكفي بالأشياء الخارجة فقط بخلاف الالهية فإنها تطلب عفة النفس وطهارتها لكونه تعالى ينظر إلى القلب. فالسنة الالهية اذن تشبه مرآة ننطر بها نقالئص طبيعتنا لهذا يقول الرسول المعظم: فإني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهِ (رومة ص7ع7) فالشهوة هي الميل إلى الخطية الذي أتانا من الخطية الأصلية وهو مغروس فينا وملازمنا كل حين ومنه نعرف أننا ولدنا في الخطية ولذلك يلزمنا أن نلتجئ إلى الله الذي وحده يقدر أن يغسلنا من أدناس المآثم.

السادس أية شهوة لا تحرّم هنا وما هي الشهوة

أن كلاً من هاتين الوصيتين مشتركة مع باقي الوصايا في كونها تنهي عن شئ وتأمر بشئ فنظرًا إلى التهي لا يخالنَّ في بال أحد أن الشهوة الخيالية من العيب تصبر عيبًا كشتهاء الروح ما يضاد الجسد كما قال رسول الأمم (غلاطية ص5ع17) وكما اشتهى داود النبي بقوله: اشتاقت نفسي إلى الرغبة في أحكامك كل حين (مزمور118ع20) فعلى الراعي أن يبين الشهوة الواجب أن نجانبها بموجب ما

(574)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

رسمته هذه الشريعة ولهذا ينبغي أن نعلم أن الشهوة هي حركة وقوة نفسانية تدفع إلى الناس إلى أن يشتهوا الأشياء العذبة التي يفتقرون اليها وكما ان باقي حركات نفسنا ليست شريرة دائمًا هكذا أيضًا قوة هذه الشهوة لا تُعد دائمًا مرذولة ولذا ما من شر في اشتهائنا الأكل والشرب ولا في اشتهائنا الدفا حين يستحوذ علينا البرد ولا البرد حين يكدرنا الحرّ. وفي الحق أن الله سبحانه فطر في طبيعتنا قوة هذه الشهوة مرتبة ولكن قد تأتي عليها من قبل خطية والدينا الأولين أنها تجاوزت الحدود وفسدت فأخذت تتهيج إلى اشتهائنا ما يضاد الروح والصواب.

السابع ما الفوائد الخصوصية التي يغتنمها الانسان من الشهوة المرتبة المطابقة الصواب

لا ريب في أن قوة هذه الشهوة متى كانت مرتبة ومنحصرة في دائرة حدودها كثيرًا ما تأتي الانسان بفوائد ليست بسيرة فأولاً أنها تجعلنا أن نستمر بالصلاة والابتهال لله على الدوام ملتمسين منه تعالى أن بمن علينا بما نشتهيه. لن الصلوة هي ترجمان شهوتنا فلو لا قوة هذه الشهوة المرتبة لما كثرت الصلوات والابتهالات في بيعة الله ثم تصير مواهب لله كريمة وعزيزة لدينا لأن الشئ المرغوب يزيد عندنا اعتباره ولذته حين نناله بزيادة اضطرام رغبتنا فيهِ واجتهادنا في التماسه ثم أن اللذة نفسها هي التي تشعر بها من الشئ المرغوب تجعلنا أن نحمده تعالى بأوفر تقوى وعبادة. والحاصل اذا جاز أحيانًا أننشتهي أمرًا صالحًا فلا بد لنا أن نعترف بأن ليس كل شهوة محرمة

(575)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثامن كيف يسمي رسول الأمم الشهوة خطيةِ

ولو قال الرسو المصطفى أن الشهوة خطية مع ذلك ينبغي أن نتأول قوله غلى المعنى الذي تكلم فيه موسى الذي يثبت بشهادته ما يشير اليه قول الرسول. لأنه يسمى تلك الشهوة شهوة الجسد في رسالتهِ إلى أهل غلاطية (ص5ع16) قائلاً: اسمعوا بالروح ولا تلكموا شهوات الجسد. وهذا ما يثبته أيضًا المجمع التريدنتيني في الجلسة 5 في آخر الرسم عن الخطية الأصلية.

التاسع أية شهوة غير محرّمة بتةً هنا وليس لها نوع الخطية أصلاً

الشهوة الطبيعة المرتبة التي لا تتجاوز حدودها ليست محرّمة وبأولى حجة الشهوة العقل الروحية المتسقيمة التي تحرشنا إلى أن نشتهي ما يضاد الجسد لأن الأسفار الالهية تغرينا بهذا الشهوة نفسها كما رود في سفر الحكمة فابتغوا كلامي واحرصوا عليه فتنأدبوا (ص6ع12) وفي ابن سيراخ: تعالو إليَّ أيها الراغبون فيّ واشبعوا من ثماري (ص24ع26)

العاشر أية شهوة هي محرّمة هنا

لم تحرّم هنا الشهوة التي يجوز لنا ان نتصرف بها للخير أو للشر بل حُرّم علينا تحريمًا قطعيًا التصرف بالشهوة القبيحة المعروفة بشهوة الجدس وجرثومة الخطية اذا فإنها رضى الارادة. الحاصل ان تلك الشهوة يسميها رسول الأمم شهوة الجسد هي وحدها محرّمة أي حركات الشهوة التي هي خارجة عن دائرة الصواب بالكلية وغير

(576)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

منحصرة ضمن الحدود التي رسمها الله

الحادي عشر بأية أسباب نعلم أن الشهوة هي خطية

أن هذه الشهوة مرذولة أما لأنها تشتهي الشر كالزنا بأنواعه والسكر والقتل إلى غير ذلك من الفواحش التي فيها قال الرسول: لا تشتهِ الشرور كما اشتهى أولئك (1قور ص10ع6) أما لأن الأشياء المشتهاة وان لم تكن رديئة من طبعها مع ذلك يوجد سبب من جهة أخرى من أجله لا يجوز ان نشتهيها ومن هذا النوع هي تلك الأشياء التي ينهانا الله أو الكنيسة عن اقتنائها اذ لا يجوز قط أن نشتهي ما يحرّم علينا اقتناؤه كبعض أشياء كانت قديمًا في العهد العتيق كالذهب والفضة التي سُكت وصنعت بها الأصنام وقد نهى الله في سفر تثنية الاشتراع عن اشتهائها بقوله: وتمائيل التهم تحرقها بالنار لا تشتهِ ما عليها الفضة ولا الذهب (ص7ع25) ثم ينهي عن الشهوة الردية لداعي أن الأشياء التي تشتهي هي مقتنى الغير كالبيت والعبد والأمة والحقل والزوجة والثور والحمار هلّم جرًّا فلكونها مقنى الغير حرمت السنة الالهية اشتهاءها وحكمت أن اشتهائها اثم نظم في ملك الأثام الثقيلة اذا ما قارن لشهوة رضى الارادة وقبولها.

الثاني عشر أني تكون على الخصوص خطية الشهوة

أن الخطية تكون طبعًا غب هجوم الشهوات الردية حين تتلذ النفس بالأشياء القبيحة وتقبلها أو لا تقاومها وهذا قد عبر عنه يعقوب الرسول اذ بيّن أصل الخطية ومسيرها بقوله: كل انسان تكون تجربته

(577)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

باجتذاب شهوته وتملقها لهُ ثم الشهوة تحبل وتلد الخطية والخطية تمت تنتج الموت (يعقوب ص1ع14و15).

الثالث عشر ما فحوى هاتين الوصيتين الأخيرتين

لما نهانا الله بهما عن الشهوة تعينت الفاظهما بهذا المعنى نضبط شهواتنا عن مال الغير ومقتناه كما قال القديس غريغوريوس في عظته 16 في تفسيره الانجيل في الفصل 27 من كتابه الرابع في الأدبيات. لأن ظلماء الشهوة المال الغير مقتناه لأحد لهُ ولا نهاية فلا يروي أبدًا كما ورد في سفر الجامعة: الذي يحب الفضة لا يشبع من الفضة (ص5ع9) وفي نبوة اشعيا: الويل لكم أيها الذين تدنون بيتًا إلى بيت وحقلاً إلى حقل (ص5ع8) على أننا نعقل جسامة هذه الخطية وفظاعتها بأيسر منوال من شرح كل كلمة على حدتها من كلمات هاتين الوصيتين.

الرابع عشر ماذا ينبغي أن نفهم بلفظة بيت في صورة هذه الوصية

ينبغي على الراعي أن يعلم المؤمنين أن لفظة بيت لا تعني فقط المكان الذي تسكنه بل جميع ما يقتنيه الانسان بوجه الاجمال كما يعرف من اصطلاح الكتاب المقدس وعادته فقد كتب في سفر الخروج: فخاقت القابلتان الله فصنع لهما بيوتًا (خروج ص1ع21) المراد بالبيوت هنا نماء الأرزاق وتكثير القنية أي أن الله سبحانه انمى رزقهما وأكثر مقتناهما فنعلم اذن بموجب هذا التأويل أن سنة هذه

(578)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الوصية نهتنا عن الشره إلى الغنى وعن أن نحسد الغير على ماله واقتداره ومقامه وان نكتفي بالحال التي نحن عليها كيفما كانت سواء كانت وضيعة أو رفيعة ويجب علينا أن نفهم أن قد حرّم علينا أيضًا أن نشتهي مجد الغير لأن هذا أيضًا يختص بالبيت.

الخامس عشر ما المفهوم بلفظة ثور وحمار

أما قوله: لا تشتهِ لا ثوره ولا حماره فيدل على أنه لا يجوز لنا ان نشتهي لا ما كان عظيمًا من مقتنى الغير كبيتهِ وشرفه ومجده فقط بل أيضًا ما كان صغيرًا سواء كان حيوانًا كالثور الحمار والغنم والطير وما شاكل ذلك أو غير حيوان كالبيوت والأثاث والحقل وما أشبه

السادس عشر ما ذا يعني بقولهِ في هذه الوصية ولا عبده ولا آمته

يعني أولاً. العبيد والجواري بحصر المعنى ثم باقي أصناف الخدام فلا يجوز أن نشتهيهم كما لا يجوز أن نشتهي باقي مقتناه ولا يحل لأحد أن يفسد أو يغري بالقول أو بالأمل أو بالوعد أو بالأجرة الناس الأحرار الذين يخدمون باختيارهم تحت الأجرة أو يقدمون ذواتهم للخدمة حبًا وكرامة كي يصرفهم عن أولئك الذين تقيدوا بخدمتهم من تلقاء خاطرهم لا بل اذا تركوا خدمة مواليهم قبل انقضاء الوقت الذي وعدوهم أن يخدموهم فيهِ ينبغي على الرعاة أن يأمروهم بالرجوع اليهم حتمًا بموجب هذه الوصية.

السابع عشر لماذا يؤتى في هذه الوصية أيضًا بذكر القريب

يؤتى بذكر القريب أيضًا في هذه الوصية لا لسبب أخر سوى ان

(579)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تتبين رذيلة الناس الذين من دأبهم أن يشتهوا الحقول المجاورة أرضهم أو البيوت المحاذيتهم وما شاكلها فيتأتى من ذلك أن الجيرة التي من طبعها ترتبت للصداقة تنقلب من المحبة إلى البغضة برذيلة الطمع وشهوة المال

الثامن عشر لا يتعدى هذه الوصية من يشتهون أن يشتروا بثمن عدل أرزاق القريب المطروحة للبيع

من المعلوم أن الذين يشتهون أن يشتروا بثمن عدل أرزاق القريب المطروحة للبيع لا يخالفون هذه الوصية قطعًا لأن هؤلاء لا يضرون القريب بل ينفعونه نفعًا كبيرًا اذ يكون النقد لديه أنفع وأربح من الأرزاق التي يبيعها.

التاسع عشر كيف ينبغي أن نفهم الوصية العاشرة الناهية عن اشتهاء امراة القريب

يلي الوصية المحرمة اشتهاء مال القريب وصية أخرى تنهي عن اشتهاء امرأته. بهذه الوصية لا تحرّم فقط شهوة الزنا التي بها يشتهي الزاني امرأة الأخر بل أيضًا كل ميل يميل بالانسان إلى أن يشتهي أن يتزوج امرأة الغير لأنه في ذلك الزمان حيث كان الطلاق مباحًا كان يمكن أن يتفق أن الامرأة المطلقة يتخذها رجل أخر امرأةً لهُ ولكن الرب قد نهى عن ذلك لئلا تُغري الرجال بتطليق نسائهم أو تعنف النسساء رجالهنّ ويكدنهم كيدًا حتى يجبرنهم على تطليقهنَّ. أما الأن فقد غدت الخطية اثقل من ذي قبل حيث لا يجوز لرجل أن يتزوج امرأة غير ولو مطلقة الاَّ بعد وفاة بعلها فمن يشتهي اذن امرأة الغير يستهل

(580)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

له التهور من شهوة إلى أخرى فاما أنهُ يشتهي موت رجل الامرأة أو يشتهي ارتكاب الفسق وهذا عينه يقال في النساء اللواتي خطين لأخر اذ لا يجوز اشتهاوهن أيضًا لأن الذين يسعون في فسخ هذه الخطية ينتهكون حرمة عهد مقدس وكما انه لا يجوز أن نشتهي الامرأة المخطوبة لرجل هكذا لا يحل قطعًا أن نشتهي من انقطعت إلى عبادة الله ونذرت الرهبانية فلا يحل لأحد بوجه من الوجوه أن يشتهيها لتكون امراة

العشرون لا يخالف هذه الوصية من يسعى في ان يتزوج امرأةً ويقينه أن بعلها قد توفي

لا يتعدى سنة هذه الوصية من يشتهي أن يتزوج امراة متزوجة وهو يوقن أنها غير مزوجة ولو عرفها مزوجة بأخر لما اشتهاها زوجة لهُ كما جرى ذلك لفرعون (تكوين ص14ع15) ولا بيمالك اللذين اشتهيا أن يتزوجا ساره اذ كانا يعتقدان أنها ليست زوجة ابرهيم بل أنها أخته.

الحادي والعشرون ما يؤمر بهذا الوصية عدا الأشياء التي تنهي عنها

يجب على الراعي كي ياتي بالأدوية المرتبة بالشفاء من داء الشهوة أن يشرح القسم الثاني من هذه الوصية القائِم في أننا لا نضع قلبنا بالغنى اذا غزر (مزمور61ع11) وأن نكون مستعدين أن نطرحه جانبًا في تقوى الله وباقي الأمور الالهية وأن نبذله في سبيل الاحسان ومساعدة الفقراء في عوزهم واحتياجهم. وأن قل مالنا وذهب

(581)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

غنانا نحتمل بصبر جميل بل بفرح القلب وفي الحق أننا اذا جُدنا بمالنا على المساكين تقصي نفوسنا عن اشتهاء مال غيرنا فيسهل على الراعي أن يأتي بححج كثيرة قاطعة على مدح الفقر وذم الغنى في الأسفار الالهية ونصوص الأباء القديسين ويوردها على الشعب المؤمن. فمن الكتاب المقدس قوله تعالى: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات (متى ص5ع3) ثم قوله: هموم الدهر وخداع الغنى وسائر الشهوات الأخر تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمرة (مرقس ص4ع18) ثم قوله: طوبى لكم ايها المساكين فإن لكم ملكوت الله (لو ص6ع20) ومن أقوال الأباء القديسين قول القديس ايرونيموس في رسالتهِ الأولى إلى اليهود والقديس غريغوريوس في مقالتهِ 18 في تفسيره نبوة حزقيال والقديس امبروسيوس في كتابه 5 من شرحه الفصل السادس من انجيل لوقا وفي الرسالة 10 من كتابه ع2 والقديس غريغوريوس النزينزي في عظته 16 في محبة الفقراء والقديس لاون الكبير في مقالته عن جميع القديسين. ثم تامرنا هذه الوصية أن نرغب ونشتهي من صميم فوأدنا ما يريده الله سبحانه لا ما نريده نحن كما علمنا الرب في الصلواة الربية لأن ارادة الله تقوم خاصةً في أن نرقي إلى أسمى درجة من القداسة والكمال وأن نحفظ نفوسنا طاهرة منزهة من كل دنس وأن نتروض في أعمال العقل والروح التي تضاد الحواس الجسدية واذا أمتنا شهواتنا حسب ارشاد الروح الطاهر نسلك في حياتنا سلوكًا صالحًا مستقيمًا ونقمع أيضًا قمعًا شديدًا بقوة الروح والصواب ما تقدمه

(582)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحواس مادةً لتهيج شهواتنا النجسة ورغباتنا المرذولة.

الثاني والعشرون ما بنبغي على المسيحي أن يتأمله كي بكبح الشهوة

يفيدنا كثيرًا لاطفاء نار الشهوة واخماد حرارتها أن نجعل نصب عيوننا تلك المضارّ التي تتأتى لنا منها الضرر الأول هو تسلط الخطية وقوتها على نفسنا لانثنائنا. وأنقيادنا إلى مثل هذه الشهوات لهذا قد أوعز الينا رسول المصطفى في هذا الشأن قائلاً: لا تملكن الخطية في جسدكم هذا المائت لتطيعوا شهواته (رومة ص6ع12) فكما أننا اذا قاومنا الشهوات تُدك أركان الخطية دكًا هكذا اذا أطعنا الشهوات نقضي الله من مملكة الله قلبنا وندخل الخطية مكانه.

والضرر الثاني هو صدور الخطايا جميعها عن قوة الشهوة كينبوع كما علم يعقوب الرسول بقوله: الشهوة تحبل وتلد الخطية (ص1ع14) ثم مار يوحنا الرسول يقول: أن كل ما في العالم انما هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة (1يوحنا ص2ع16) والضرر يقوم في أن الشهوات تظلم حكم العقل لأن البشر اذا ما التحفوا بظلمات الشهوات الحالكة يحتسبون أن كل ما يشتهونه حميد ونفيس. ومن مضار الشهوة أيضًا هو أنها تختنق كلمة الله التي يزرعها في قلبنا ذاك الأفكار العظيم هكذا كتب في بشارة مرقس: وأخرون يزرعون في الشوك وهم الذين يسمعون الكلمة وهموم هذا العالم وخداع الغنى وسائر الشهوات الداخلة عليهم تخنق الكلمة فتصير بلا ثمر (ص4ع18)

(583)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث والعشرون من يتعرقلون خاصة بشراك الشهوات

أن المتعرقلين برذيلة الشهوة أكثر من غيرهم وينبغي لذلك على الراعي أن يحضهم بأوفر اجتهاد على حفظ هذه الوصية الذين يتنعمون بمرور الأشياء القبيحة أو ينهمكون بالملاهي المفرطة ثم اتجار الذين يشتهون قلة البضائع وقحط الغلال ويستؤن ممن يبيعونها ويبتاعونها دونهم ليتمكنوا من بيعها بأغلى ثمن ومن شرائها بابخسة ثم يخطء أيضًا من هذا القبيل أولئك الذين شتهون أن يقع غيرهم في العوز كي يربحوا هم بالبيع والابتياع ويأثم أيضًا الجنود الذين يتوقون إلى الحرب كي تتأنى لهم مندوحة للنهب والسلب ثم الأطباء أيضًا اذا اشتهوا أن تكثر الأمراض لتروج صناعتهم وأرباب المحاكم اذا اشتهوا أن تكثر الدعاوي والخصومات ثم اصحاب الصنائع اذا اشتهوا شرهًا إلى الأرباح وأن تتصاعد أسعار الأشياء التي تختص بالفوت والمعيشة والكسوة ومن هذا النوع يخطئ أيضًا ثقيلاً الذين يطمحون إلى المديح من الناس والافتخار ليس بدون طعن في عرض غيرهم وتسويده لا سيما اذا كان المشتهون ذلك أدنياء لا شرف لهم ولا كرامة عند الناس لكون الصيت الحسن والمجد هما جزآء الفضيلة والمهارة في الأعمال الفاضلة لا جزآء الكسل والتهاون والجهل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(584)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الباب الرابع

من التعليم المسيحي الروماني

الفصل الأول

في الصلاة وأولاً في لزمها

الأول كيف يجب أن نصلي لله

أول ما يطلب من الراعي النفوس بموجب وظيفته أن يعلم المؤمنين الصلاة المسيحية التي لا بد من أن كثيرين يجهلون قوتها وكيفيتها ما لم يعلمهم اياها الراعي التقي الغيور ولهذا إن جل ما ينبغي أن تدور عليه عنايته هو أن يفهم من كان بينهم من الأتقياء ما ينبغي أن يلتمسوه من الله بالصلاة وكيف يجب أن يصلوا أما صورة الصلاة التي علمها ربنا يسوع المسيح رسله أراد أنهم هم ثم خلفاهم يعلموها لجميع الذين فيما بعد يقبلون الديانة المسيحية فتحتوي جميع معدات الصلوة اللازمة فمن الواجب اذن على الانسان المسيحي أن يعي في ذهنه وذاكرته الفاظها وفحواها كي يكون مستعدًا في الحضرة إلى تلاوتها ولكي يمهر الرعاة في ارشاد المؤمنين ارشادًا وافيًا في نوع هذه الصلاة قد أثبتنا هنا ما رأيناه الزم وانسب في هذا الموضوع نقلاً عن أولئك المعلمين الممدوحين بتعليمهم وعلمهم. ويمكنهم اذا دعت الحاجة أن يستقوا ما بقي من ينابيع تعاليم المعلمين المشار اليهم فيما تقدم كالقديس امبروسيوس في كتابه5و6

(585)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

في الأسرار. والقديس قبريانوس فيما كتبه بفصيح العبارة على هذه الصلاة الربية والقديس يوحنا الدمشقي في الفصل 15 من تفسيره سفر الأيام ثم في الفصل 24 من كتابهِ الثالث عن الايمان المنقسم والقديس بطرس الذهبي الكلام في مقالته 67 والقديس الكسندروس من الس في القسم 4في البحث 88.

الثاني أن الصلاة لازمة كل اللزوم للخلاص

فإذن أول ما ينبغي أن نعلمه لزوم الصلاة للخلاص لن وصيتها قد سنت علينا لا من باب المشورة بل بقوة الأمر الالهي الحتمي الذي عبر عنه ربنا يسوع المسيح بهذا الكلام: ينبغي أن يصلوا كل حين ولا يملوا (لوقا ص18ع1) ومن قول ابن سيراخ لا تكف عن أن تصلي دائمًا (ص18ع21) وقال الرسول المصطفى: صلوا بلا فتور (تسالو ص5ع27) ثم ان الكنيسة المقدسة قد بينت لزوم هذه الصلاة بقولها في فاتحة الصلوة الربية: فيما نحن على أمرك المنقذ متكلون وبتعليمك الالهي مرتشدون نتجاسر ونقول أبانا الذي في السماوات: فلما كانت الصلاة لازمة للمسيحيين من باب الضرورة سال الرسل الرب قائلين: يارب علمنا أن نصلي (لوقا ص11ع1) حينئذٍ رسم لهم ابن الله صورة الصلاة وايدهم بالرجا أنهم ينالون ما يلتمسونه وكان هو ذاته يستعملها على الداوم لا بل كان أحيانًا يصرف الليل بطوله ساهرًا في صلاة الله 0لوقا ص6ع12) ثم أن الرسل فيما بعد لم يكسفوا عن أن يسنوا وصايا بالصلاة على الذين اقبلوا على يدهم إلى الايمان

(586)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بيسوع المسيح. لأن المرسلين بطرس ويوحنا كانا يبذلان جهدهما وجدهما في وعظ المؤمنين وحثهم على الصلاة (بطرس ص3ع7و4) و(1يوحنا ص3ع22) وكذلك ما أكثر ما كان الرسول المصطفى يعظ المؤمنين ويحضهم على مواظبة الصلاة الخلاصية في أماكن كثيرة من رسائله

الثالث بأية حجة يمكننا أن نقبل بالناس إلى معرفة لزوم الصلاة أننا نفتقر إلى أمور كثيرة صالحة ومفيدة ولازمة لوقاية نفسنا وجسدنا من الهلكة فيلزمنا حتمًا أن نبادر إلى الصلاة بما أنها بمنزلة أفضل ترجمان يعبر لنا عن الله سبحانه عما نحتاج اليه فلكونه تعالى غير ملتزم لأحد بشئ تعين علينا أن نلتمس منه بالصلاة ما نحتاج اليه وقد رتبها لنا كألة لازمة إلى نيل ما نبتغيه.

الرابع لا نستطيع أن ننال ما نحتاج اليهِ الاَّ بطريق الصلاة

من المحقق الثابت أن أشياء كثيرة لا يتيسر لنا نوالها الاّ بمدد الصلاة لأن الصلاة المقدسة تشتمل على تلك القوة السنية التي بها نقوى على طرد الأبالسة اذ قد يوجد نوع منهم لا يُطرد الاّ بالصوم والصلاة ولهذا يتحقق أن الذين لا يتروضون ولا يتعودون الصلاة بنشاطٍ وتقوى يحرمون ذواتهم الاستطاعة العظيمة على نيل المواهب الخاصة لأنه يلزمنا لا أن نطلب التقوى والصلا فقط كي ننال ما نبتغيه بل يجب أيضًا أن نواطب على الطلب لأن القديس ارونيموس يقول: قد كتب أن كل من يسأل يُعطي فإذن إن كنت لا تعطي فالسبب هو لأنك لا تطلب. لأن الرب يقول: اطلبوا تجدوا

(587)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثاني

في فائدة الصلاة

الأول ما الفائدة الأولى التي تأتينا بها الصلاة

أن الصلاة تأتينا بفائدة عذبة للغاية تدر علينا بفوائد أخر غزيرة يطلع راعي النفوس على مجموعهما من مطالعة كتب العلماء القديسين حين تمس الحاجة إلى توزيعها على المؤمنين. أما نحن فقد اخترنا بعضًا من هذا المجموع رائناها موافقة لأهل هذا العصر. فالفائدة الأولى التي نغتنمها من الصلاة هي أننا بصلاتنا نعبد الله لأن الصلوة هي دليل الديانة والعبادة لله يشبهها الكتاب المقدس بالبخور كما رود في سفر المزامير: لتستقم صلاتي كالبخور أمامك (مزمور 14ع2) ولهذا نعترف بأننا خاضعون لله ونعرفه وننادي به وليّ كل خير واليه وحده نوجه أنظارنا بما أنه ملاذنا الوحيد ونصير خلاصنا ثم أن الرب نفسه يوعز الينا بلسان النبي داود أن نبادر مسرعين إلى اغتنام هذه الفائدة حيث قال: وادعني يوم حزنك فأنقذك وتمجدني (مزمور ع49ع15).

الثاني ما الفائدة الثانية التي ننالها بالصلوة

تأتينا فائدة أخرى من الصلوة فائقة في العذوبة فسيحة الأرجاء للغاية وذلك حينما يستمع الله صلاتنا. ذهب القديس اغوسطينوس إلى أن الصلاة مفتاح السماء فقال تصعد الصلاة وتنحدر الينا رحمة الله ولو انخفضت الأرض وعلت السماء فمع ذلك يسمع الله صوت الانسان

(588)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اذا صلى بضمير نقي. فإن الصلوة وفائدة بالغة إلى حد أننا نظفر بواسطتها بالنعم والمواهب السماوية لأننا ننال بها أن نعطي الروح القدس مرشدًا ونصيرًا ونحفظ الايمان ونحظى بالسلامة وننجو من العقوبات ونحوز عون الله في التجارب والغلبة على الشيطان ومجموع الأفراح الحقة كما قال ربنا يسوع المسيح سلوا تعطوا ليكون فرحكم كاملاً (يوحنا ص16ع24).

الثالث أن العزة الالهية تجيب على الداوم صلاة الأنقياء

لم يبقَ محل للارتياب في أن الرأفة الالهية تتقبل صلواتنا وتلتقيها بالهبات الفائضة وهذا ثابت بشهادات الأسفار الالهية التي يستطيع كل أحد ان يطلّع عليها ااذا أراد. غير أننا قد اجتزينا بأية واحدة لو اثنين فقط على سبيل الاشارة. قال اشعيا النبي: حينئذٍ تدعو فيستجيب الرب وتستغيث فيقول هذا (ص58ع9) ومن قوله أيضًا: قبل أن يدعو أجيب وفيما هم يتكلمون استجيب (ص65ع24) وقد استجاب الرب فعلاً صلوات كثيرين يكاد لا يحصيهم عاد ضربنا صفحًا عن ذكرهم حبًا بالاختصار ولوضوح الواقع عند الجميع.

الرابع كيف يتفق أننا أحيانًا لا ننال ما نلتمسه بالصلاة

قد نتفق بعض الاحيان أننا لا ننال ما نطلبه منه تعالى بالصلاة وذلك لأسباب منها ان الله سبحانه يعرف جيدًا ما يفيدنا فأما أنه يمنحنا خيرًا أفضل وأعظم مما نطلبه وأما أن ما نلتمسه ليس بلازم لنا أو لا يجدينا أدنى فائدة بل رُبما لو منحناه لكان مضرًا لنا ومهلكًا. قال القديس

(589)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أغوسطينوس في عظته 33 في كلام الرب وفي خطابه ع73 في تفسيره انجيل مار يوحنا: أن الله الرأوف يأبى أن يمنحنا في رضاه ما يمنحنا في غضبه. وقد يحدث بعض الاحيان أننا نصلي بتوان وكسل حتى أننا نحن أنفسنا لا ننتبه إلى ما تقوله فلما كانت الصلاة عبارة عن ارتفاع العقل إلى الله اقتضى أن يكون العقل حين نصلي متجهًا اليه تعالى فإن اضرب عنه طائشًا حين يتلو المصلي كلام الصلاة بدون تقوى ولا انتباه فلا يصح القول في أن طنطنة تلك الألفاظ صلاة مسيحية ولهذا ما من عجب في أنه تعالى لا يجيب سوألنا اذا أننا نحن أنفسنا أما تبين بصلاتنا علينا بالضرر كما قال مار يوحنا الدمشقي فصل 24 كتاب 3في الايمان المستقيم والقديس اغوسطينوس فصل 7من كتاب 2عن مقالة الرب على الجبل.

الخامس أن من يصلون كما يجب ينالون أكثر مما يطلبون

أن الذين يصلون كالواجب بانتباه ونشاط ينالون بصلاتهم أكثر مما يطلبون من الله كما شهد رسول الأمم في رسالته إلى أهل أفسس حيث يقول: وللقادر أن يصنع كل شئ بحيث يفوق جدًّا ما نسأله أو نتصوره على حسب القوة التي تعمل فينا (أفسس ص3ع20) وقد عبر لنا ربنا يسوع المسيح عن ذلك بمثال الابن الشاطر الذي كان يعتبر أن أباه يصنع معه احسانًا عظيمًا اذا قبله في مصاف أجرائه فمنحه أبوه أكثر مما طلب وان الله سبحانه يمنحنا نعمة الوفيرة

(590)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وهباته الغزيرة لا حين نطلبها منه فقط بل بوتينا اياها أيضًا بسرعة لدى مجرّد افتكارنا بالتماسها كما أفادتك الأسفار الالهية بهذا العبارات قد استجاب الرب شهوة البائسين (مزمور9ع17) وفي محل آخر، اعطيته شهوة قلبه (مزمور20ع2) لأنه تعالى بسارع إلى اجابة تلهف المحتاجين الهاتفين اليه بسكونهم من صميم فوادهم قبل أن يبدوا التماسهم بالكلام.

السادس ما الفائدة الثالثة من الصلاة

تجدينا الصلاة هذه الفائدة أيضًا وهي اننا بصلاتنا نمارس الفضائل وننمو فيها لا سيما في القانون فكما أن الذين لا يؤمنون بالله لا يحسنون الصلاة كما قال رسول الأمم: كيف يدعون إلى من يؤمنوا بهِ (رومية ص10ع14) بعكس ذلك المؤمنون اذ يصلون بأوفر تقوى ونشاط يزدادون يقينًا في ايمانهم بعناية الله تبتغي منا خاصةً أن نلقي عليها اتكالنا ونلتمس منها جميع ما نحتاج اليه.

السابع لماذا الله مع معرفته ما نحتاج اليه يريد منا أن نجد بطلبه في الصلاة

أن الله يقدر أن يمنحنا كل شئ بفيضان وافر بدون أن نفتر بالطلب أو نباشره كما أنه يعطي الحيوانات الغير الناطقة كل ما يلزمها لمعيشتها ولكنه بصفة أبٍ جزيل الاحسان يريد أن ندعوه نحن أولاده ويريد أن نطلب منه كل يوم بالصلاة ما تحتاج اليه كي نعتاد أن نتقدم اليه بكل ثقة ثم يريد أن نتناول منه جميع ما نطلبه كي يزيدنا يومًا فيومًا

(591)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

برهانًا على جوده وبيانًا لإحسانه العميم الينا.

الثامن كيف نمارس محبتنا لله بواسطة الصلاة

إن محبتنا لله تتعاظم كثيرًا بممارستنا الصلاة لكوننا اذ نعرفه تعالى مبدع الخيرات جميعها ووليَّ منافعنا لا سبيل لنا الاَّ أن نضطرم بسعير المحبة لهُ فكما ان المحبين يزدادون تحابًا ووجدًا فيما بينهم بمحادثة ومعاشرة بعضهم بعضًا هكذا الأنام الأفاضل بقدر ما يكثرون من الصلاة لله والابتهال إلى رأفته وجودته كأنهم يخاطبونه يزدادون ابتهاجًا في كل صلاة يتلونها وانصبابًا إلى محبته وعبادته بأعظم حرارة ونشاط.

التاسع أننا في مواظبتنا على الصلاة نغدو مستحقين نعمة الله ونتدرّع بسلاح التواضع في محاربة الشيطان

ثم قد شاء الله سبحانه أن نواظب على ممارسة الصلاة كي نضطرم رغبة في طلب ما نبتغيه ونرقى في مدارج الكمال فنصبح بهذه المواظبة وهذه الرغبة مستحقين أن نؤتى تلك الاحسانات التي لم تستطع نفسنا أن تدركها قبلاً اذ كانت خالية منهما كما قال القديس اغوسطينوس في الفصل 8من رسالته 121 ويريد الله منا أيضًا أن نعقل ونتحقق انما اذا أهملنا من مدَد النعمة السماوية لا تستطيع أفعالنا أن تنال شيئًا فبذلك لزمنا أن نعكف على الصلاة من كل قبلنا وما أكثر ما تفيدنا الصلاة سلاحًا روحيًا في محاربة عدو طبيعتنا الالدّ لان القديس ايلاريوس يقول: ينبغي أن نحارب أعداء طبيعتنا بسلاح الصلاة

(592)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العاشر ما الفائدة الرابعة الصادرة للبشر من الصلاة

أننا ما عدا ما ذكر نظفر من الصلاة بتلك الفائدة الجلة الخطيرة وهي أننا وأن كنا ميالين إلى الشر وإلى شهوات قبيحة شتى بسبب الضعف المفطورة عليه طبيعتنا وفسادها بعد الخطية الأصلية قد شاء الله أن نرفع اليه أفكارنا كي اذا صلينا واجتهدنا في أن نستحق مواهبه تتقوم ارادتنا إلى البر وتتطهر من كل دنس بقطعنا جميع أسباب الخطايا.

الحادي عشر ما الفائدة الأخيرة التي تكتسبها بالصلاة

هي تسكين غضب الله كما قال القديس ايرونيموس في الفصل 7 من تفسيره ارميا وقد أشار إلى هذه الفائدة الله سبحانه بقوله لموسى: والآن دعني يضطرم غضبي عليهم فافنيهم وأجعلك أنت أمة عظيمة (خروج ص32ع10) فتضرع موسى للرب وبصلاته عدل الرب عن المسآة التي قال أنه يحلها بشعبه (ع4) والحق يقال ما من شئ أفعل في تسكين غضب الله ورده عن تنفيذ النقمة من صلاة الناس الأنقياء الأبرار.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(593)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثالث

في أقسام الصلاة ودرجاتها

الأول ما هي أقسام الصلوة المسيحية

بعد أن ابنًا لزوم الصلاة المسيحية وفوائدها ينبغي على الشعب المؤمن أن يعرف أيضًا أقسام الصلوة وماهيتها لأن الرسول المعظم يشهد أن هذه المعرفة تختص بكمال الصلاة وقد روى بتدقيق الأقسام المنوه بها في رسالته إلى تلميذه تيموتاوس حيث يستهمه على الصلوة بتقوى وقداسة قائلاً: فاسأل قبل كل شئ أن تقام تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من أجل جميع الناس (1تيموس2ع1) فيلحظ من هذا الكلام تمييز دقيق ما بين أقسام الصلوة فان رأى الرعاة لزومًا لبيانه فليطالعوا ما كتبه في هذا الشأن الأباء القديسون ولا سيما القديسان ايلاريوس واغوسطينوس.

الثاني في الطلب والشكر

أن للصلاة قسمين خاصة الطلب والشكر اللذان عنهما يصدر باقي أقسامها صدور النوع من أصله فرأينا من اللازم أن نأتي بيانهما استيفاءَ للكلام في هذا الموضوع. وقد ذكرهما القديس باسيليوس في الفصل 2 من كتابهِ في الرسوم الرهبانية والقديس ايلاريوس في تفسيره المزومور 140 في شرحه هذه الأية: لتستقم صلاتي كالبخور قدامك لأننا نتقدم اليه تعالى وتقدم لهُ واجبات العبادة والاكرام أما لنلتمس

(594)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

منه شيئًا أو لنؤدي لهُ الشكر على ما يمن علينا بهِ دوامًا من احسانه العميم. وقد عبر الرب نفسه عن هذين القسمين اللتزمين للصلاة بلسان النبي داود قائلاً: اُدعني يوم الضيق وأنا أنجيك فتمجدني (مزمور49ع15) وما من أحد يجهل شدة احتياجنا إلى جودة الله وسخائِه حين نشاهد فاقة البشر المتفاقمة ومسكنتهم.

الثالث في اعتلان جود الله وكرمهِ نحو البشر أجمعين

كل من اتصف بالبصر والبصيرة يعرف شدة انعطاف الله إلى النوع البشري وفيضان رأفته بنا لأننا حيثما وجهنا نظرنا وأفكارنا يسطع علينا نور جوده العظيم وضياء احسانه العميم. ليت شعري أي شئ للبشر لم يأتهم من سخائه تعالى فان كان كل ما لهم هبات ومنحًا من جود الله ترى لماذا لا يعظم جميعهم من كل قواهم احسان الله الفائق الجودة والرأفة ويقدمون لهُ التشكر على عطاياه وهباته أن لكل من قسمي الطلب والشكر والدرجات شتى وكل منهما ارفع وأكمل من الأخرى. فعلى الرعاة اذن أن يعرضوا على الشعب المؤمن كيفية الصلاة الكاملة السامية ويحضوهم بمزيد الاجتهاد على ادراكها كي يتعلموا لا لأن يصلوا فقط بل أن يبلغوا من اتقانها إلى أسمى درجة

الرابع ما هي كيفية الصلاة العظمى ودرجتها العليا

إن الصلاة الكملى ودرجتها العليا التي يباشرها الناس الأنقياء الأبرار الذين فيما هم مستندون إلى ركن الايمان الوثيق العروة يبلغون بنقاوة قلوبهم وحرارة صلاتهم إلى درجة تمكنهم من نأمل قدرة الله الغير

(595)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المتناهية ورأفته السامية وحكمته الغير المدرك غورها ثم يتوصلون غلى الرجاء الوثيق بأنهم ينالون في الحال كل ما يلتمسونه ويظفرون بفيض تلك الخيرات الغير الموصوفة التي وعد الله بأن ينعم بها على من يلتمسون عونه الالهي بتقوى وعبادة. فبالايمان اذن والرجا ترتفع النفس بعزم مضطرم كأنها طائرة يحاتجين حتى تبلغ اليه تعالى فتهديه عبادة الشكر والتسبيح على ما حباها من نعمة واحساناتهِ الوفيرة ثم تعرض حاجتها بين يدي جلاله الالهي بالمحبة والتهيب واثقة بأن يستجاب التماسها كابن وحيد لأب جزيل المحبة لوالده. وقد عبرّت الأسفار الالهية عن نوع هذه الصلاة بلفظة سكب كما قال داود النبي: اسكب أمامه شكواي ابث لديه ضيقي(مزمور141ع3) وقالت حنة أم صموئيل: سكبت نفسي أمام الرب (1ملوكص1ع10) فلهذه اللفظة قوة التعبير عن أن المصلي لا يسكت عن شئ ولا يكتم شئًا بل يبوح بكل شئ لا ئذًا بحضن الله أبيه الودود. والأسفار الامقدسة ترشدنا إلى هذه الصلاة كما جاء في سفر المزامير: اسكبوا أمامه قلوبكم (مزمور61ع9) وقوله أيضًا: القِ على الرب همك (مزمور54ع23)وقد عبر القديس اغوسطينوس عن درجة هذه الصلاة في الفصل 7من كتابه الذي سماه التعليم المسيحي بقوله: الرجا والمحبة يطلبان ما يصدقه الايمان.

الخامس ما هو النوع الثاني من الصلوة

أن الدرجة الثانية من الصلاة تختص بأولئك الناس الذين حال

(596)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كونهم مثقلين بالأثام المميتة يعتصمون بعروة ايمان يُدعى ميتًا ويجهدون أنفسهم في الانتعاش والارتفاع إلى الله ولا يستطيعون سبيلاً إلى أن يعتلوا ما فوق الثرى لخوار قواهم ووهن ايمانهم غير أنهم يقرون بخطاياهم وبيكتهم ضميرهم عليها ويعذبهم ويتوبون بتواضع وتذلل إلى الله تعالى وأن كانوا قاصين عنه ويستمدون منه مغفرة ذنوبهم وسلامًا لنفوسهم فصلاة مثل هؤلاء تحل محل القبول لدى الله الرحوم لأنه يستجيب طلبهم كما قال القديس اغوسطينوس في خطابه 44 من تفسيره انجيل يوحنا والقديس توما اللاهوتي في القسم الثاني في الفصل 16 من البحث 83 لا بل أنه تعالى يدعو مثل هؤلاء برحمته ورأفته قائلاً: تعالو اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وأناا اريحكم (متى ص11ع28) وكان من دعدادهم ذاك العشار الذي لم يجسر في صلاته أن يرفع عينيه إلى السماء ومع ذلك قد شهد ربنا لهُ خرج من الهيكل أبرّ من الفريسي (لوقا ص18ع10)

السادس على أية درجة يقوم النوع الثالث من الصلاة

إن النوع الثالث من الصلاة هو درجة أولئك الذين لم يقبلوا بعد نور الايمان غير أن الرأفة الالهية تضئُ على قلوبهم وبصائرهم النور الطبيعي الطفيف فيبتهجون شديدًا إلى طلب الحق بشوق واجتهاد ويكثرون من الصلوات الحارّة كي يتوصلوا إلى معرفته فإن لبثوا على هذه الارادة فالرب الاله برآفته لا يرذل طلبتهم ولا يحبط مسعاهم واجتهادهم كما يثبت لنا ذلك مثل قورنيليوس قائد المائة

(597)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(أعمال الرسل ص10ع2) لأن الله سبحانه لا يغلق أبواب رحمتهِ بوجه من يطلب ذلك من صميم فواده.

السابعَ مِن المصلين يقومون على آخر درجة من الصلاة

إن الدرجة الأخيرة من الصلاة هي درجة أولئك الذين لا يتوبون عن أثامهم وقبائحهم بل يزيدون اثمًا على اثم ومع ذلك لا يستحيون أن يلتمسوا مرارًا منه تعالى غفران ذنوبهم وهم يريدون أن يواظبوا على اقترافها على أنهُ كان ينبغي عليهم في هذا الحال أن لا يتجاسروا ويلتمسوا الصفح حتى ولا من البشر ولا غروَ أن الله لايسمع صلاتهم كما جرى الملك انطيوخوس اذ كتب عنه: وكان ذلك الفاجر يتضرَّع إلى ذلك ينبغي على الرعاة أن يشددوا في وعظ من يتقلبون في مثل ذها الشقاء الفظيع أن يقلعوا عن الميل والارادة إلى الخطاء ويرجعوا اليه تعالى رجوعًا حقيقيًا من كل قلوبهم.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(598)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الرابع

في ما يجب أن نطلبهُ بالصلوة

الأول ما يجوز أن نطلبه بالصلوة

سيأتي الكلام في محلهِ على ما ينبغي أن نطلبه في كل واحدة من الطلبات على حدتها اما الآن فحسبنا أن نوعز إلى المؤمنين بوجه العموم بأن يلتمسوا منه تعالى ما كان عدلاً وصالحًا كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2في الفصل 5من البحث 83 لئلا اذا طلبوا ما تطلبان (متى ص20ع22) فكل ما جاز لنا أن نشتهيه جاز لنا أن نطلبه كما شهدت لنا مواعيد الرب الوفارة الغزيرة حيث قال: كلما تريدونه وتسألونه فسيكون لكم (يوحنا ص15ع7) لأنهُ قد وعدنا بأنهُ يمنحنا كل شئ.

الثاني أية يجب أن نطلبها من الله أولاً وبمجرد ذاتها

ينبغي أن نرتب شوقنا ورغبتنا بموجب هذه القاعدة والمبدأ وهو أن نوجه كل شوقنا ورغبتنا إلى الله الذي هو الخير الأعظم. ثم ان يعصمنا بالله أشد عصمة أما الأشياء التي من شأنها أن تفصلنا عنه تعالى أو تأتينا بسبب الانفصال فينبغي أن ننبذها عن كل شوقنا ورغبة قلبنا ومن ثم نقدر أن نفهم على مبدأ ذاك الخير الأعظم والكامل كيف يجب أن نبتغي باقي الأشياء التي تدعي خيرات ونشتهيها ونلتمسها من الله

(599)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أبي المراحم ومانح الخيرات

الثالث كيف ينبغي أن نطلب من الله الخيرات الجسدية والخيرات الخارجة

أن هذه الخيرات الجسدية وتلك التي تعرف بالخيرات الخارجة كالصحة والقوة والجمال والغنى والكرامة والمجد لما كانت على الغالب وسيلةً ومادةً للخطاء (ومن ثم لا يكون طلبها أمرًا تقويًا وخلاصيًا بالتمام) وجب أن يكون التماسها مقيدًا بشرط ملايمتها للخلاص منحصرًا ضمن دائرة الاحتياج اليها فحينئذٍ نوع هذه الصلاة يتجه إلى الله اذ يجوز لنا أن نطلب بصلاتنا ما طلبه يعقوب اسرائيل وسليمان الحكيم فإن يعقوب طلب قائلاً: ان رزقني الرب خبزًا كله وثوبًا البسه ورجعت سالمًا إلى بيت أبي يكون الرب لي الهًا (تكوين ص28ع21) وسليمان طلب بهذا الكلام: لا تجعل حظي الفاقة ولا الغنى بل ارزقني من الطعام ما يكفيني (أمثال ص30ع8).

الرابع كيف يجب أن نتصرف بالغنى وبباقي الخيرات الجسدية حينما نمتلكها من وجود الله وكرمه

متى حبانا الله من جوده وكرمه بما نحتاج اليه لمعيشتنا وكسوتنا من الواجب والعدل أن نتذكر ما اوعز بهِ البينا رسول الأمم بقوله: من يبتاعون كأنهم لا يملكون ومن يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم في زوال (1قور ص7ع30) وقال النبي داود: اذا وفرت ثروتكم لا تميلوا اليه قلوبكم (مزمور61ع11)

(600)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لأن الرب نفسه قد علمنا أننا لا نملك من هذه الخيرات الاَّ الاستماع باثمارها ومنافعها على وجه أن نشرك فيها غيرنا فإن كنا اصحاء أوأغنياء بخيرات الجسد فلنتذكر أننا منحناها كي نستطيع أن نخدم الله بأيسر منوال ونسعف بها قربينا.

الخامس كيف ينبغي أن نلتمس خيرات الذكاء و العلم

أن خيرات العقل وزينته انما هي الفنون والعلوم فيجوز لنا أن نطلبها ولكن تحت هذا الشرط فقط وهو ان كانت تفيدنا لمجد الله وخلاصنا. وأما الأشياء التي يلزمنا أن نتمناها ونطلبها بدون قيد ولا شرط البتة كما تتقدم فانما هي مجد الله ثم جميع ما يساعدنا على الاتحاد بذاك الخير الاعظم كالايمان ومخافة الله ومحبتهِ التي سنستوفي الكلام في شرح الطلبات.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(601)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الخامس

في بيان من يجب علينا أن نصلي لأجلهم

الأول ما من مصاف من البشر في هذا العالم الاّ جاز لنا أن نصلي لأجلهم

من بعد ما عرفنا ما ينبغي أن نطلبه أن يعرف المؤمنون لأجل من يجب أن يصلوا. فالصلاة تشتمل على الطلب والشكر كما تقدم فلأجل ذلك اقتضى أن نتكلم أولاً على الطلب. فإذن ينبغي أن نصلي لأجل جميع البشر بدون استثناء أعدائنا أو من كانوا من أمة غير أمتنا أو على دين غير ديننا لأن كل انسان هو قريبنا سواء كان عدونا أو غريبًا أو غير مؤمن بان نحبه بموجب أمره تعالى لأنهُ قريبنا وبالنتيجة يلزمنا أيضًا أن نقدم لأجله الطلبات التي هي فعل محبة. وبهذا المعنى أوعز الرسول إلى تلميذه تيموتاوس قائلاً: فاسأل قبل كل شئ أن تقام تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من قبل كل شئ أن أجل جميع الناس (1تيمو ص2ع1) وفي هذه الصلاة ينبغي أن نطلب أولاً ما يتعلق بخلاص النفس وثانيًا ما يختص بخير الجسد وسلامتهِ

الثاني لأجل من يجب أن نصلي خاصةً

يجب علينا أن نصلي أولاً لأجل الرعاة القائمين بتدبير النفوس كما نبهنا رسول الأمم بمثله اذ كتب إلى أهل قولوسي أن يصلوا لأجلهِ

(602)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اذ قال: داوموا الصلاة وكونوا بها متيقظين ومصلين لأجلنا أيضًا ليفتح الله لنا باب الكلام (قولو ص4ع3) وكتب أيضًا مثل ذلك إلى أهل تسالونيقي قائلاً: ومن الأن يا اخوتنا صلوا لأجلنا (1تسالو ص5ع25) ثم ورد في سفر الأبركسيس: فكان بطرس محفوظًا في السجن وكانت الكنيسة تصلي إلى الله من أجله بلا انقطاع (ص12ع5) ثم أن القديس باسيليوس يأمرنا بالصلاة في الفصل 5من كتابه في الأدبيات قائلاً: يجب علينا أن نصلي من أجل أولئك الذين يسوسوننا ويتوّلون أمورنا بكلمة الحق ثانيًا يجب علينا أن نصلي لأجل الملوك بموجب أمر الرسول المعظم: من أجل الملوك زكل ذي منصب. وما من أحد يجهل أن الصلاة من أجلهم واجبة بداعي ما يتأتى من عظيم الخير للعالم عن الملوك والسلاطين والحكام العادلين الأبرار ولهذا ينبغي أن نطلب من الله أن يسلكوا كما ينبغي على من يتوّلون أمور الناس.

ولنا نموذجات الناس القديسين الذين يوعزون الينا بالصلاة أيضًا لأجل الاخيار الأنقياء. لأنهم يحتاجون إلى صلاة غيرهم بحكم الله وتدبيره لئلا يدركهم هوى الكبرياء اذ يعرفون أنهم يفتقرون إلى دعاء من كانوا دونهم مقامًا.

الثالث يجب أيضًا أن نصلي لأجل أعدائنا وأعداء الكنيسة كما يتبين مما يأتي

قد امرنا الرب أيضًا أن نصلي لأجل مضطهدينا والمفترين علينا اذ قال: أما أنا فأقول لكم... صلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم

(603)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(متى ص5ع44) وقد شهد القديس اغوسطينوس في رسالته 107 إلى فيتاليوس أن الكنيسة قد اعتادت أخذًا عن الرسل الكرام في أن تقدم الصلوات والابتهالات لأجل المتغربين عن الكنيسة كي يؤتى الكفار الايمان وتعتق عبدة الأصنام من ضلالهم وكفرهم ويقبل اليهود نور الحق ويتبدد عن قلوبهم ظلام الغباوة وترتد الأراطقة عن الضلال ويتعلموا حقائق الديانة الحقة ويعود المشاقون إلى شركة الكنيسة المقدسة التي انشقوا منها ويتحدوا معها برباط المحبة الحقيقية. وقد تبين فعل الصلاة البارزة من صميم القلب لأجل مثل هؤلاء الناس بنموذجات عديدة لكل صنف من أصناف البشر الذين أنقذهم الله من سلطان الظلمة ونقلهم إلى ملكوت ابن محبته (قولو ص1ع13) وجعلهم آنية الرحمة بعد أن كانوا آنية الغضب. فما من أحد ذي صواب يقدر أن ينكر فعل الصلاة الأنقياء في هذا الأمر.

الرابع كيف يمكن أن يمتد احسان الصلاة هذا العظيم إلى الموتى

قد استفدنا من تعليم الرسل أن الصلاة تقدم أيضًا لأجل الموتى كي ينجوا من نيران المطهر وقد تكلمنا على هذا الموضوع ما بهِ الكفاية في المقالة عن ذبيحة القداس فلا حاجة إلى المراجعة وقد كتب القديس ديونيسيوس في هذا الصدد في كتابه عن الرتب الكنسية.

الخامس لا تجدي صلاة الغير نفعًا لمن يواظبون على الخطأ إلى الممات

أن الذين يداومون على الخطأ حتى الموت هيهات أن يستفيدوا

(604)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

شيئًا من الصلوات والطلبات ولكن من واجبات المحبة المسيحية أن نصلي لأجلهم ويبتهل بالدموع لله عسى أن الله سبحانه يعاملهم بالرحمة والرضى.

السادس بأي معنى يجب أن نفهم التسخطات التي نقرأها في الأسفرار الالهية

أن التسخطات التي ينزلها الأنام القديسين بالكفرة كما تتلوها في الكتب المقدسة هي على رأي الأباء الثابت الصحيح أما أنها نبوات على الأشياء التي سوف تدركهم وأما أنها تطلق على الخطية شهيق قوتها ويبقى البشر سالمين.

السابع ما هو استعمال الشكر لله

أننا في القسم الثاني من الصلاة نؤدي لله شكرًا عظيمًا على احساناتهِ الالهية الوافرة التي لا يزال بها البشر ولا يبرح يفيضها عليهم كل يوم بدون انقطاع ولا سيما أننا نشكره تعالى على ما خوّل القديسين من الظفر الذي حازوه بجوده تعالى على جميع أعدائهم المنظورين والغير المنظورين.

الثامن أي شكران من الشكرانات التي تستعلمها الكنيسة على انتصار القديسين يحل المحل الأول في بيعة الله

هو القسم الأول من السلام الملائكي الذي نستعلمه بالصلوة حيث نقول: السلام لك يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معكِ مباركة أنتِ في النساء لأننا نسبح الله أعظم تسبيح ونشكره أفضل شكر على غمره

(605)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

البتول القديسة بمجموع الماوهب والنعم السماوية ونهنئ البتول نفسها على هذه السعادة التي نالتها من الله كما قال القديس اغوسطينوس في مقالته18 عن القديسين والقديس امبروسيوس في مقالته2 من تفسيره بشارة لوقا والقديس برنردس في مقالته2 من تفسيره الأية: أرسل الملاك جبرائيل ثم في مقالته4 على انتقال البتول وفي أماكن أخرى عديدة. أما كنيسة الله المقدسة فبكل حق وصواب قد اضافت هنا إلى فعل الشكر وطلبات وتضرعات لوالدة الله بها نلتجئ اليها بالتقوى والتوسل كي تصالحنا نحن الخطأة مع الله بشفاعتها المشفعة وتستمد لنا ما يلزمنا من الخيرات في هذه الحياة والأخرى كما قال القديس ايريناوس في كتابهِ5 في دحض البدع والأرطقات في الفصل19 منه والقديس غريغوريوس النزينزي في مقالته18 في مديح القديس قبريانوس.

فإذن نحن المنفيون أولاد حواء الساكنون هذا الوادي وادي الدموع يجب علينا أن ندعو أم الرحمة ونستغيث بشفيعة المؤمنين كي تصلي لأجلنا ونستمد منها بهذه الصلوة العون والمساعدة فمن يشك في استحقاقاتها السنية عند الله وانعطاف ارادتها الشديد إلى مساعدة البشر يقترف اثمًا كبيرًا وكفرًا فظيعًا كما قال القديس يوحنا الدمشقي في مقالتهِ الأولى على ميلاد البتول ثم في مقالته الثانية على مجد انتقالها.

(606)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السادس

إلى من يجب أن نصلي

الأول لمن ينبغي على الخصوص أن نوجه صلاتنا

أن قوة الطبيعة المغروسة في عقول البشر تنطق بوجوب الصلاة لله بدعوة اسمه أما الأسفار الالهية التي منها نسمع أمر الله القائل: ادعني يوم حزنك (مزمور41ع15) فلا تعلمنا ما ذكر فقط بل أيضًا ان باسم الله يجب أن نفهم الأقانيم الثلثة

الثاني هل يجوز لنا أن نستغيث أيضًا بالقديسين المالكين مع المسيح

من بعد الله نلتجئ إلى القديسين الذين في السماء ملتمسين مددهم ويجب علينا أيضًا أن نقدم لهم صلواتنا وهذا محققق ومثبوت في بيعة الله تحقيقًا وثبوتًا لا يحتمل أدنى ريب عند الناس الأنقياء وحيث تكلمنا على هذا الامر وشرحناه على حدة فيما مضى فعلى الرعاة أن يرجعوه ويتدبروه في محله. انما حيث لا بد من استئصال الضلال من عقول الجهلة العاقلين كان من الأمور المفيدة تعليم المؤمنين الفرق الكائن بين نوع هذه الاستغاثة والصلاة لله.

الثالث أن الاستغاثة بالله شئ والاستغاثة بالقديسين شئ أخر

لا تستغيث على وجه واحد بالله وبالقديسين لأننا نصلي لله لكيما

(607)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بمن علينا بالخيرات أو ينقذنا من الشرور ولكننا نلتمس من القديسين بما أنهم اصفيا الله أن يقبلونا تحت ذيل حمايتهم ويشفعوا بنا وينالوا لنا منه تعالى ما نحتاج اليه ومن ثم أننا نستعمل للصلاة صورتين مُختلفتين فنقول لله بحصر الكلام: ارحمنا استجبنا: أما للقديسين: تضرعو لأجلنا

الرابع كيف يصح أن نطلب من القديسين أن يرحمونا

يجوز أيضًا أن نطلب من القديسين على وجه آخر أن يرحمونا لأنهم رحومون جدًّا ولهذا نقدر أن نتضرع اليهم أن يرثوا لحالنا في شفائنا ويوازرونا بصلاتهم وشفاعتهم المقبولة عند الله انما ينبغي الحذر هنا على الجميع أن نعزي لأحد ما يختص بالله وحده بل حين تتلو الصلوة الربية أمام صورة أحد القديسين ينبغي أن نصلي بهذه النية أي أن نطلب من القديس صاحب تلك الصورة أن يصلي معنا ويلتمس لنا من الله ما نعبر عنه بكلام الصلاة الربية ويف الأخر نتخذ لنا ذاك القديس ترجمانًا وشفيعًا عند الله. لأن القديس يوحنا الرسول يعلمنا في جليانه أن الصلاة لأجلنا هي من أعمال القديسين ووظيفتهم قال: وجاءَ ملك أخر ووقف عند المذبح ومعه مجمرة من ذهب فأعطي بخورًا كثيرًا ليقدم صلوات القديسين كلهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش فصعد دخان البخور من صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله (رؤيا ص8ع3و4).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(608)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السابع

في الاستعداد الواجب للصلاة

الاول بأية فضائل على الخصوص يجب أن تستعد النفس للصلاة

ورد في الأسفار الالهية من قول ابن سيراخ. أهّب نفسك قبل الصلاة ولا تكن كانسان يجرّب الرب (ص18ع23) فيجري الرب من يصلي حسنًا ويفعل شرًا واذا خاطب الله يشرد عقله عن الصلاة ولهذا لما كان من الأمور الملهمة للغاية أن يعرف كل أحد بأي قلب يصلي لله ينبغي على الرعاة أن يعلموا رعاياهم طرق الصلاة فالدرجة الاولى من الاستعداد للصلاة هي تواضع القلب والتذلل ومعرفة الخطايا أيضًا التي بها يعقل من يتقدم اليه تعالى أنه لا يستحق أن ينال شيئًا من الله بل ولا أن يقف أمام حضرة الجلالةُ الالهية ليصلي. فكثيرًا ما ورد ذكر هذا الاستعداد في الأسفار الالهية. فمن بعض أقوالها. نظر إلى صلاة المتواضعين ولم يرذل طلبتهم (مزمور101 ع18) ثم قالت: صلاة المتواضع تخرق السحب (ابن سيراخ ص35ع21) ويعثر الرعاة المتفقهون على نصوص لا تحصى توافق هذا المعنى. فجيث لا حاجة إلى ذكر كثير منها اقتصرنا على ايراد النموذجين الأتيين فقط لموافقتهما هذا العدد وقد نوهنا عنهما فيما مرّ أحدهما مثل العشار

(609)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الشهير أمره في الانجيل الذي كان قائمًا عن بعد لا يتجاسر على أن يرفع نظره ثم تلك الامرأة الخاطئة التي ندمت على أثامها بتوجع وهملت دموع التوبة على قدّمي المسيح المخلص وكلاهما يعبر أن عن شان التواضع المسيحي الكبير في من يتقدم إلى الصلوة ثم الدرجة الثانية هي ما نشعر به من التوجع في ذكر خطايانا أو على ما قلّ التوجع على كوننا غير قادرين أن نتوجع على أثامنا فإن لم يكن في التائب هذان التوجعان أو أحداهما فلا يستطيع سبيلاً إلى نوال الغفران.

الثاني ما هي الخطايا التي يجب أن ينجيها المصلي كي يغتنم نفعًا من صلاته

من الخطايا ما يحول خاصة دون استجابة التماسنا من الله في الصلاة كالقتل والجور فينبغي أن تمنع أيدينا عن القسوة والظلم كي يستجيب الله دعاءنا وقد عبر الله سبحانه عن هذه الفظاعة بلسان اشعيا النبي قائلاً: حين تبسطون ايديكم أحجب عينيَّ عنكم وأن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم لأن أيديكم مملوة من الدماء(ص1ع15) وفي محل آخر يقول: لكن أثامكم فرقت بينكم وبين آلهكم وخطاياكم حجبت وجهه عنكم فلا يسمع اذا قد تلطخت أكفكم بالدم وأصابعكم بالاثم (ص59ع2و3) وورد كثير مثل هذه الأيات في هذا السفر الالهي ضربنا صفحًا عن ذكرها حبًا بالاختصار واستكفاءَ بما مرّ. ثم يلزمنا أن نهرب من الغضب والخصام لأن هذا يمنع كثيرًا من استماع الله صلاتنا. وفي ذلك قال الأباء المصطفى: فأريد أن الرجال يصلون

(610)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ أن نصلي بهذه النية أي أن نطلب منه القأ

في كل مكان وهم واقعون أبديًا نقية غير بغير غضب ولا جدال (1تيموص2ع8) ويلزمنا أن نحذر أيضًا من أن تكمن الحقد لأحد على اهانة صدرت منه الينا لأننا اذا كنا على هذه الحال لا نقدر أن نستعطف الله إلى استماع صلاتنا ومغفرة سئاتنا. قال الرب يسوع له المجد: اذا قمتم للصلاة فإن كان لكم على أحد شئ فاغفروا لكي يغفر لكم أيضًا أبوكم الذي في السماوات زلاتكم (مرقس ص11ع25) ولتحذرنَّ أيضًا من أن نقسي قلبنا على المحتاجين لأن الكتاب المقدس يقول في مثل هؤلاء الناس: من سدَّ أذنه عن صراخ الكسير فهو أيضًا يصرخ ولا يستمع لهُ (أمثال ص21ع13) وماذا نقول في الكبرياء التي تغيظ الله اشد غيظ بدليل قول يعقوب الرسول: أن الله يقاوم المستكبرين ويعطي نعمة للمتواضعين (ص4ع6) ويف من يمتهنون أقوال الله الذي قال فيهم سليمان الحكيم: مَن يصرف أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضًا رجس (أمثال ص28ع9)ومع ذلك لم يرذل الله صلاة الظالم ولا القاتل ولا الغضوب ولا البخيل على الفقراء ولا المتكبر ولا الذاري أقوال الله وفي الآخر ولا من يرتكب باقي الفواحش اذا تاب عنها والتمس الغفران.

الثالث في الايمان بالله المطلوب للصلاة

أما الايمان فهو لازم كل اللزوم لهذا الاستعداد فاذا خلا منه المصلي فلا تكون لهُ معرفة بقدرة الأب الأعظم ولا برحمته التي تصدر عنها ثقة المصلي كما علم المسيح نفسه بقوله: وكل ما تسألونه في الصلاة

(611)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بايمان تنالونه (متى ص21ع22) وفي مثل هذا الايمان كتب القديس اغوسطينوس في كتابهِ الذي سماه في كلام الرب حيث قال: أن نقص الايمان في الصلاة فقدت الصلاة فإذن جل ما ينبغي لمن يريد أن يصلي حسنًا أن يكون ثابتًا في الإيمان وراسخًا عليه كما أبان الرسول المعظم من نقيضه بقوله: كيف يدعون بمن لم يؤمنوا بهِ (رومة ص10ع14) فلهذا ينبغي أن نؤمن كي نقدر أن نصلي وأن لا ينقصنا الايمان الذي بهِ نصلي صلاة تجدينا الخلاص: لأن الايمان هو الذي يقدم الصلوات لله والصلاة تصيّر الاثيمان وطيدًا ثايتًا بمعزل عن كل شكٍ وارتياب وكان القديس اغناطيوس في هذا المعنى يغري الذين يتقدمون إلى الله للصلاة بان يكونوا على يقين في صلاتهم تعبًا لقول الرب: طوبى أن لا يشك فيّ ولهذا أن للايمان الثابت والرجاء الصادق فعلاً كبيرًا في نوال ما نريده كما أوعز القديس يعقوب الرسول بقوله: ولكن ليسأل بايمان غير مرتاب في شئ.

الرابع ما الأسباب التي تقودنا إلى الثقة بنيل ما تطلبه من الله بالصلاة

أن الأسباب التي من أجلها ينبغي أن تثق بصلاتنا كثيرة وأولها ارادة الله ورأفته بنا اذ يأمرنا أن ندعوه أبانا كي نعرف من ذلك أننا بنوه ثانيهما وفرة عداد الذين صلوا ويصلون لله ثالثها ذاك الشفيع الأعظم سيدنا يسوع المسيح الحاضر لدينا دائمًا وفيه قال يوحنا الرسول: وان أخطأ أحدكم قلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار وهو كفارة

(612)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عن خطايانا (1يوحنا ص2ع1و2) ومثله رسول الأمم: يسوع المسيح الذي مات بل قام أيضًا وهو عن يمين الله وهو يشفع أيضًا فينا (رومة ص8ع34) وقوله أيضًا في محل آخر: الله واحد والوسيط واحد بين الله والنا سيسوع المسيح (1تيمو ص2ع5) ثم في رسالته إلى العبرانيين ومن ثم كان ينبغي أن يكون شبيهًا باخوته في كل شئ ليكون حبرًا رحيمًا أمينًا فيما لله حتى يكفر خطايا الشعب (ص2ع17) فلأجل ذلك وان كنا غير مستحقين أن ننال ما نطلبه مع ذلك ينبغي لنا أن نثق أحسن ثقة ونرجو أفضل رجا باستحقاقات ربنا يسوع المسيح شفيعنا الأعظم أن الله سبحانه يمنحنا كل ما نطلبه منه كما ينبغي.

الخامس أن الروح القدس هو وليّ صلواتنا ومبدأها

أن الروح القدس هو وليّ صلاتنا ومبداها فلا بد من أن يجاب دعانا بارشاده أننا كما يقول رسول الأمم: لم نأخذ روح العبودية أيضًا للمخافة بل روح التبني الذي ندعو بهِ أبًا أيها الأب (رومة ص8ع15) ويقول أيضًا: كذلك الروح أيضًا يعضد ضعفنا فإنا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا توصف (ص8ع26)

السادس كيف يجب علينا ان نستعين بالايمان على نوال احسانات الله

إن من كانوا في تردد وشك ويشعرون أنهم ليسوا على كفاية من الثبات في الايمان فليتعلموا ما قاله الرسل لربنا: يارب زدنا ايمانًا (لوقاص17ع59 وما قاله أبو ذاك الصبي المعتري من الشيطان:

(613)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ إني أومن يارب فاعن قلة ايماني. (لوقا ص9ع23) وبعد ان تكون متعززين بالايمان والرجا نظفر منه تعالى بكل ما نبتغيه اذ تطابق عقلنا بكليته وأفعالنا وصلاتنا على ارادة الله وشريعته. قال الرب يسوع: فإن أنتم ثيتم فيّ وثيت كلامي فيكم تسألون ما شئتم فيكون لكم (يوحنا ص15ع7) فهذا ايضًا لا بد لنا منه كي نستطيع سبيلاً إلى نوال ما نبتغيه من الله عدا ما سبق القول عنه بأنه يلزمنا أن نصفح عن السيئات التي اتتنا من الغير وأن نوافي القريب بالاحسان والمحبة.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(614)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثامن

في كيف يجب أن تكون الصلاة

الاول ينبغي على الراعي أن يعلم الشعب نوع الصلاة الأفضل ويبين كيفية الصلاة بالروح والحق

من أهم الامور والزمها هو أن نعرف كيف نستعمل الصلاة فإنها ولو كانت خيرًا خلاصيًا مع ذلك اذا لم تستعلمها كالواجب فلا تفيد شئًا لأننا على الغالب لا نظفر بما نلتسمه لأننا نسئ الالتماس كما القديس يعقوب الرسول (ص4ع3): تسألون ولا تنالون لأنكم تسيئون السؤال.

فعلى الرعاة اذن أن يعلموا المؤمنين نوع الصلاة الجيدة التي يصلونها جمهوريًا أو على انفراد وماهية شروط الصلاة المسيحية التي تقلدناها من تعليم المسيح الرب. فيجب اذن أن نصلي بالروح والحق: لأن الأب يريد مثل هؤلاء الساجدين لهُ بالروح والحق (يوحنا ص4ع23) هكذا يصلي من يستحرّ قلبه وجوارحه ويضطرم باطنه في الصلوة فلا تنفي الصلاة الفظية من نوع هذه الصلاة العقلية غير أننا بحق وصواب نعطي التقدم والافضلية لتلك الصلاة البارزة من صميم القلب وهي التي يسمعها الله من لا تخفي عليه أفكار البشر الباطنة وأن لم تلفظ الفم فقد سمع الله صلاة حنه والدة صموئيل التي كانت تصليها في داخل قلبها وهي تذرف الدموع وتحرك شفتيها فقط وهكذا صلى داود لأنه

(615)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قال: بك نطق قلبي اياك التمس وجهي (مزمور ع26ع8) ويجد المطالع كثيرًا مثل هذه النموذجات في الأسفار الالهية

الثاني ما الفائدة الصلاة اللفظية على وجه الخصوص

أن للصلاة اللفظية فائدة خصوصية ولزومًا شديدًا لأنها تزيد قلب المصلي رغبةً ونشاطًا وتضرم فيه سعير العبادة والتقوى وهذا ما كتبه القديس اغوسطينوس إلى احدى النساء العابدات اسمها بروبا قائلاً: أننا بعض الأحيان نحرك ذواتنا تحريكًا شديدًا إلى زيادة الرغبة المقدسة بالألفاظ وغيرها من العلامات ونضطر أحيانًا من قبل رغبة القلب الشديدة والتقوى أن نعبر عن فكرنا بالكلام فاذا تهللت النفس بالفرح فمن العدل أن يتهلل اللسان أيضًا ومن الحق والواجب أن نصنع تلك الضحية كاملة في نفسنا وجسدنا كما نعرف من الابركسيس ورسائل الرسول المعظم في أماكن عديدة أن الرسل الكرام مشوا على هذا العادة في صلاتهم.

الثالث لا يطلب استعمال اللفظ في الصلاة الفردية كما يطلب في الصلاة الجمهورية

لما كانت الصلاة على نوعين فردية وجمهورية فنستعمل الكلام في الصلاة الفردية كي يساعد عزمنا الباطن وتقوانا فقط أما في الصلاة الجمهورية التي رسمت لتحريك جوارح الشعب المؤمن للعبادة فلا يمكننا قط أن نستغني عن العمل باللسان في الأوقات المعينة لها

(616)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرابع أن المسيحين وحدهم يصلون بالروح ولا يجب عليهم أن يهربوا من الصلوات المستطيلة

أن الصلاة بالروح هي من عوائد المسيحين وحدهم دون غيرهم فلا يعرفها الكافرون الذين قال فيهم ربنا يسوع المسيح: اذا صليتم لا تكونوا مهذارين كالوثنيين لأنهم يظنون أن بكثرة كلامهم يستمع لهم فلا تتشبهوا بهم لأن أباكم السماوي عالم بما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه (متى ص6ع7و8) فاذ نهانا عن الهذر أي كثرة الكلام في الصلاة معاذ الله أن يرذل الصلوة الطويلة الصادرة عن قلب مضطرم بشدة التهجد وداومة لا بل أنه يحثنا بمثه على مباشرة مثل هذه الصلاة التي كان يقضي فيها الليالي بطولها (لوقا ص6ع12) وقد كرر صلاته ذاتها ثلث مرات في بستان الزيتون وهو يوعز الينا بالسهر والصلاة كيلا تدخل في التجارب (ص26ع41) فيجب اذن أن نحكم بانه سبحانه ينهي فقط عن الصلاة بطنطنة الكلام الذي لا طائل تحته.

الخامس أن الرب صلوات المرائين

أن المرائين لا يصلون من قلوبهم فلهذا قد نهانا سيدنا يسوع المسيح عن المشي على عادتهم في الصلاة بقوله: اذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين فإنهم يحبون القيام في المجامع وزوايا الشوارع يصلون ليظهروا للناس الحق أقول لكم أنهم قد اخذوا أجرهم أما أنت فاذا صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصّل إلى أبيك في الخفية وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك (متى ص6ع5 وما يليه) فالمراد هنا بالمخدع قلب

(617)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الانسان الذي لا يكفي أن يدخله بل يجب أيضًا أن يغلقه لئلا ينفذ أو ينسل اليهِ من الخارج ما يضر بطهارة وحينئذٍ الأب السماوي الذي ينظر عقول الناس وجميع أفكارهم الخفية يمنح المصلي سوَّله.

السادس لا ينبغي أن نكف عن الصلاة اذا تأَخر نيل ما نطلبه زمانًا طويلاً

أن الصلاة تقتضي أيضًا المواظبة وقد أبان لنا بان الله ما لهذه المواظبة من عظيم القوة بمثل ذاك القاضي الذي اذ لم يكن يخاف الله ولا يستحي من الناس قد انثنى إلى لجاجة تلك الأرملة وابرامها فاجأب سوالها (لوقا ص18ع2و3) فلهذا ينبغي أن نواظب على الصلاة لله ولا ننشبه بأولئك الذين اذا صلوا مرةً أو اثنتين يملون من الصلاة ويعيون اذا لم ينالوا ما يلتمسونه. فلا ينبغي علينا قط ان نمل أو نعيا من الصلاة التي أمرنا الرب لهُ المجد ورسله الكرام أن نصليها في كل حين وبلا فتور وبلا ملل وأما اذا تضجرت الارادة منها حينًا ما فلنبتهلنَّ اليه تعالى أن يخوّلنا قوة الثبات على مباشريها

السابع أن المسيح الرب قد أمرنا بان نطلب ما نريده من الأب السماوي باسمهِ

وقد اراد ابن الله أيضًا أن صلاتنا تتقدم إلى الأب السماوي باسمه فإنها باستحقاقهِ ونعمتهِ تحل لدى الأب الأزلي محل القبول والاجابة لأنهُ قال في بشارة يوحنا: الحق الحق أقول لكم أن كلما تسألون

(618)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأب باسمي يعطيكموه إلى الآن لم تسألوا باسمي شيئًا اسألوا تُعطوا ليكون فرحتكم كاملاً (ص16ع14 ما يليه) وقال في محل آخر. فكل ما تسالون الأب باسمي فإنا أفعله (يوحنا ص14ع13).

الثامن ينبغي أن نقتدي في الصلاة بحرارة القديسين ونضيف إلى الطلب فعل الشكر

ينبغي لنا أن نقتدي بما كان القديسون يبذلونه في الصلاة من حرارة العزم والاجتهاد ثم نقرن فعل الشكر بالصلاة على مثال الرسل الذين مشوا دائمًا على هذه العادة كما يُرى من رسالة الرسول المعظم غلى أهل قورنتية حيث يقول: أشكر الله أن أنطق بالالسنة أكثر من جميعكم (1قور ص14ع18 وما يليه) ومن رسالتهِ إلى أهل أفسس: متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح وأغاني روحية... وشاكرين كل حين على كل شئ باسم ربنا يسوع المسيح لله الآب 0ص5ع20و21)

التاسع يجب أن يقرن الصوم والصدقة كي تكون حارّة وذات فاعلية

علينا أن نقرن الصوم والصدقة بالصلاة ولا جرم أن الصوم أفضل قرين للصلاة لأن طوبيا البار يقول: صالحة الصلاة مع الصوم (طوبيا ص12ع8) لكون الذين يثقلون بالأكل والشرب تغلظ عقولهم حتى انهم لا يستطيعون أن ينظروا إلى الله ولا أن يتفكر علينا فيما يراد من الصلاة كما قال القديس اغوسطينوس في شرحه

(619)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المزمور الثاني والأربعين وكما قال القديس لاون في مقالته 1 على الصيام والقديس بطرس الذهبي النطق في مقالته43 ثم للصدقة ايضًا الفة كبيرة مع الصلاة لأن من كان في وسعه أن يحسن على من يعيشون من صدقات غيرهم ولا يساعد قريبه وأخاه فهل يجسر على القول أن فيه المحبة لله أو للقريب وليت شعري مَن تعري من المحبة والرحمة بأي فم يتجاسر أن يلتمس لنفسه العون الالهي أن لم يلتمس غفران خطاياه ويبتهل إلى الله طالبًا منه ان يهبه المحبة والرحمة ولهذا قد جرى بتدبير الهي أن يبادر إلى الخلاص بهذه العلاجات الثلث لأننا بخطيتنا أما أننا نغيظ الله أو نضر بالقريب أو بذاوتنا فبالصلاة المقدسة تسكن سيرتنا الخصوصية. ولو أن كلاّ مما ذكر يفيد خلاصًا من جميع أنواع الأثام مع ذلك كل منه قد وُضع وترتب لكل خطية من الخطايا التي ذكرناها.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(620)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل التاسع

في الصلاة الربية

في فاتحة الصلاة الربية

الاول لماذا أراد المسيح أن ننطق في فاتحة هذه الصلاة باسم الأب لا باسم الرب أو الديان

أن صورة هذه الصلوة قد سلمناها ربنا يسوع المسيح مسبوقة ببعض كلمات بمنزلة فاتحة يلزمنا أن تتلوها قبل الشروع بالصلوات والطلبات تهئ لنا سبيلاً إلى التقدم إلى الله بورع وتقوى وتخولنا أوفر ثقة في مباشرتها كما يبيّن ذلك القديس كبريانوس في مقالتهِ السادسة على الصلاة الربية والقديس امبروسيوس في الفصل 4 من كتابهِ 4 على الأسرار والقديس اغوسطينوس في رسالته121ِ ولذلك يلزم الراعي أن يشرح هذه الكلمات شرحًا وافيًا مدققًا كي يقوم الشعب المومن إلى الصلاة باعظم نشاط ورغبة ويعلم انهُ في صلاتنا يخاطب الله الآب. فاذا نظرنا إلى كلام الفاتحة فهو وجيز وأما اذا تأملنا موأدهُ فهو راهن للغاية وموعب أسرارًا. فالكلمة الأولى التي نلفظها بامر الله ورسمة في هذه الصلاة هي (أب) لأن مخلصنا كان يقدر أن يفتتح الصلوة بلفظة قد أهمل العبارات التي من شانها أن تتلقي فينا الخوف والرعبة

(621)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

واستعمل لفظة تفيد المصلي محبة لله وقثة بنيل ما يلتمسه. اذ ما من شئ عذب في فم المتكلم من لفظة أب التي تعبر عن المحبة والحنان

الثاني ما هو السبب الاول الذي لأجله يحق للبشر أن يسمو الله ابًا

يتوّفر لمن يعلم الشعب المؤمن معرفة الأسباب التي من أجلها يليق بالله أن يسمى أبًا من باب الخلقة والتدبير والفداء لأن الله سبحانه خلق الانسان على صورته ولم يخلق عليها باقي الحيوانات فمن أجل هذه المنحة التي زين الانسان بها دون غيره دُعي بحق في الكتاب المقدس أبًا لجميع الناس المؤمنين وغير المؤمنين.

الثالث وما هو السبب الثاني الذي من أجله سمي الله أبًا للبشر

يمكن أخذه من تدبير الله الذي يعتني بالبشر ويدبيرهم تدبيرًا خصوصيًا مراعيًا منفعتهم مظهرًا لهم محبته الأبوية انما رأينا مناسبًا في شرح هذا الموضوع أن نتكلم شيئًا على حماية الملائكة وحراستهم للبشر كي نتدبر حسنًا عناية الله الأبوية بالبشر.

الرابع قد خوّلت الملائكة بعنايتهِ تعالى أمر حراسة النوع البشري

أن العناية الالهية قد فوضت إلى الملائكة أمر حراسة النوع البشري ومساعدة كل واحد من البشر لئلا تدركهم أضرار باهظة ولنا من النصوص على ذاك ما لا يكاد يحصى في الأسفار الالهية

(622)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

منها: بارك يعقوب أولاد يوسف قائلاً: الملاك الذي خلصني من كل سوء هو يبارك هذين الغلامين (تكوين ص48ع16) وقال الملاك طوبيا: أنا أودي ابنك وأردّه اليك سالمًا (طوبيا ص5ع21) وقال داود النبي: لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظونك في سائر طرقك (مزمور90ع11) وقال ربنا يسوع المسيح: انظروا الاّ تحقروا أحدًا من هؤلاء الصغار فإني أقول لكم أن ملائكتهم في السماوات ينظرون كل حين وجه أبي الذي في السماوات (متى ص18ع19) وقال الرسول المعظم: أليسوا جميعهم أرواحًا خادمة تُرسل للخدمة من أجل الذين سيرثون الخلاص (عبر ص1ع14) فكما أن الوالدين اذا عزموا على أن يرسلوا أولادهم إلى سفر في طريق خطرة بمكا من اللصوص يصحبونهم بحراس يوقونهم الشر المعتدين وغدرهم هكذا أقام الأب السماوي لكل منا ملاكًا حارسًا في سفر هذه الحياة يؤدينا إلى الوطن السماوي ونتقي بمساعدته واجتهاده في حراستنا من الأعداء الخفية وندفع عنا ما يشّنونه علينا من الغارات الهائلة وبارشاده تُهدي الصراط المستقيم آمنين غرور العدو الخجاع واغوائه ايانا عن السبيل المؤدي إلى السماء.

الخامس بأية ححج جليًا عظم الفائدة التي يغتنمها البشر من حراسة الملائكة

أن الفائدة الجزيلة الصادرة للبشر من عنايته تعالى واهتمامه الخاص بتفويضه زمام حراستنا إلى الملائكة ذوي الطبيعة المتوسطة

(623)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بين الله والناس لنا بيانًا جليًا بامثلة كثيرة من الاسفار المقدسة تعلن أن الله برأفته قد سمح أحيانًا أن الملائكة ياتون ببعض أمور عجيبة على مشهد من البشر لنعلم منها أن ملائكتنا الحراس يصنعون مثلها أمورًا لا تحصى ولا تقع تحت نظرنا تجدينا نفعًا وخلاصًا فإن رافائيل الملاك رافق طوبيا في سفره بامر الله فأخذه ورده صالمًا وأنقذه أيضًا من الحوتالذي خرج من النهر ليبتلعه وعرفه ما كان من القوة في كبد الحوت ومرارته وطرد الشيطان وقيد قدرته عن أن يؤّذي طوبيا وعمله حق الزيجة الشرعية والتصرُّف به حلالاً وشفى عيني أبيه طوبيا وردّ لهُ البصر وكل ذلك تراه مدونًا في سفر طوبيا (ص5ع6و8)

السادس في الملاك الذي أنقذ القديس بطرس الرسول من السجن

ثم ذاك الملاك الذي أخرج بطرس هامة الرسل من السجن كما ورد في سفر الأبركسيس (ص12ع7وما يليه) ياتينا بمادة كبيرة في تعليم الشعب المؤمن الفوائد العجيبة الصادرة عن حراسة الملائكة للبشر واهتمامهم بأمرهم اذ يُريهم الرعاة الملاك المنوه بهِ يضئ ظلمة السجن ويمس جنب بطرس ويوقظه من النوم ويحله من قيوده ويوعز اليه بأن يقوم ويشد نعليه ويتبعهُ. وأن الملاك ذاته أخرج بطرس من الحبس وجاز بهِ المحرس الأول والثاني حتى انتهى بهِ إلى باب الحديد الذي يقضي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وقطعا زقاقًا واحدًا

(624)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وللوقت فارقه الملاك واصبح بطرس في أمان (ابركسيس ص12) فإن الأسفار الالهية كما قلنا موعبة من أخبار مثل هذه الحوادث التي منها تعقل وفير الاحسان الذي يمنحه الله البشرعلى يد الملائكة قصاده الذين يرسلهم الله لا في أمر مخصوص بل أنه قلدهم الاهتمام بحراستنا منذ مولدنا وأولاهم أمر خلاص كل من البشر. فنستفيد من هذا التعليم الجليا أن السامعين يرفعون عقولهم إلى الله سبحانه ويغرقون ويكرّمون عناية الله الأبوية واهتمامه بالبشر.

السابع وبأي وجه يعرف الناس المؤمنون عناية الله الأبوية بالبشر

يلزم الراعي في هذا المقام أن يمدح أولاً ويعلن غنى جودة الله نحو النوع البشري لأنه وإن كان أبوانا الأولان آدم وحواء قد أخطاء وخالفا أمره ونحن أيضًا لا نزال إلى الآن نغيظه بما لا يحصى من الأثام والقبائح مع ذلك لم يحل عن عهد محيتهِ لنا ولم يعدل عن اهتمامه الخصوصي بامرنا. ومن يتوهم أن الله سبحانه نسي الانسان فهو مجدّف ومختل الشعور لأنه يفتري عليه تعالى افتراءَ لا تقدر فظاعته فإنه غضب اسرائيل من أجل تجديف أمتهِ لتوهمها أن العون السماوي قد غادرها كما ورد في سفر الخروج: قد جربوا الرب قائلين: أبيننا الرب أم لا (ص17ع7) وجاءَ في نبوة حزقيال أن الرب اغتاظ من شعبه أنهم يقولون: الرب لا يرانا الرب قد هجر الأرض (ص8ع12) فإذن ينبغي أن يرتدع المؤمنون بهذه الأيات الكريمة

(625)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عن هذا القول الأثيم والرآي الوخيم في انه تعالى يمكن أن ينسي البشر. ولنا أن نسمع في هذا الصدد ما ورد في نبوة اشعيا النبي من تشكي الشعب الاسرائيلي على الله ورد الله ملامتهم الناشئة عن حماقة بتمثيل أورده يعبر عن رأفته الالهية: قالت صهيون قد خذلني الرب ونسيني السيد: (أجابها الله) أتنسي المراة مرضعها فلا ترحم ابن بطنها ولكن ولو أن هؤلاء نسينّ لا أنساكِ انا هىنذا علي كفيَّ رسمتك وأسواركِ أمام عينيَّ في كل حين (اشعياص49ع14 وما يليه)

الثامن نستدل على جودة الله نحونا من مثل والدينا الأولين

ولو أن هذه الحقيقة قد ثبتت جليًا بما أوردناه من الدلائل إلى الأن مع ذلك يمكن الرعاة أن يثبتوها اثباتًا قطعيًا من مثل والدينا الأولين كي يتيقن الشعب المؤمن تيقنًا ثابتًا ولا يفتأ يشملهم بمحبته الابوية حتى بعد مخالفتهم أمره تعالى تربيخ الله اياهم توبيخًا شديدًا وحكمه عليهم ذاك الحكم الرهيب: ملعونة الأرض بسببك بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكل عشب الأرض (تكوينص3ع179 فإذا نظرت أبوينا مطرودين من الفردوس وعلى مدخلهِ ملاكًا وسيف لهيب في بيده كي يخيب كل أمل لهما بالعود اليهِ وتأملت انتقام الله منهما على اهانتهما لهُ ومعاقبته اياهما بالأكدار والأوجاع الظاهرة والباطنة كأني بك تظن الانسان ذهب ادراج الرياح مهمولاً من عون الله وعرضة لكل ضرر وهلكة. ولكن قد

(626)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أخطاء ظنك ووقع سهم فكرك دون الغرض. لأن ما بين ظلمات السخط الالهي ودلائل نقمته بزغت عليهما بعض أشعة من شمس محبة الله ورأفته لأنه تعالى صنع لأدم وزوجته ثيابًا من جلود البسها (تكوين ص3ع21) ذلك دليل بيّن على أن الله لم يتخلّ قط ولن يتخلى عن البشر أبدًا.

التاسع في أن رأفة الله بالبشر لا يمكن أن تستنفذها أثامهم ولومهما تفاقمت ولا تتخلى عنهم

قد صرح داود النبي بصحة هذا الحكم بان محبة الله للبشر لا ينطفي سعيرها بسبل أثامهم ولو جازفًا حيث قال: أنسي الله الرأفة أم حبس على الغضب أحشاءه (مزمور76ع10) وقد أثبت النبي حبقوق هذا المقال اذ خاطب الله قائلاً: يارب أضئ عملك في وسط السنين... وفي الغضب اذكر الرحمة (حبقوق ص3ع2) ومثله ميخا النبي: مَن هو اله مثلك غافر الأثام صافح عن المعصية لبقية ميراثه لا يمسك إلى الأبد غضبه لأنه يحب الرحمة (ميخا ص7ع18) ومثله طوبيا: لأنك لا تُسر يهلاكنا فتلقي السكينة بعد العاصفة وبعد البكا والنحيب تفيض التهلل (طوبيا ص3ع22) وجير الحال على هذا المنوال حتى حين نظن أننا قد بلغنا وهدة الهلاك وخلينا من عون الله فإنه تعالى يبادر الينا برأفته الغير المتناهية وينشدنا ويهتم بأمرنا وفي غضبه يغمد سيف عدله ولا يربح يسبغ علينا كنوز مراحمهِ.

(627)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العاشر ما البرهان الثالث الدال على احسان محبة الله الأبوية الشامل كامل النوع البشري

أن الخلقة والتدبير هما برهان قاطع على محبة الله للنوع البشري وصيانتهِ ايا أما فعل الفداء فيفوق كليهما دلالةَ على احسانهِ تعالى العميم ورأفته نحو البشر فروقًا كبيرًا ولهذا على الراعي أن يعلم أولاده الروحيين ويرسخ في أذانهم وأذهانهم محبة الله لنا الفائقة كي يعقلوا أنهم بهذا الفدا قد غدوا بنوع عجيب اولادًا الله... وقد ولدوا من الله (ص1ع12) ولأجل ذلك: ان العماد الذي نلناه بمنزلة أول عربون وذكر للفداء قد سمي سر الميلاد الثاني لأننا نولد منه بنين لله لكون الرب يقول: أن المولود من الروح هو روح... ينبغي لكم أن تولدوا ثانيةً (يوحنا ص3ع6و7) ومثله قال بطرس الرسول: اذ قد ولدتم لا من زرع فاسد بل من غير فاسد بكلمة الله الحي الباقي (1بطرس ص1ع23)

الحادي عشر قد صرنا أبناء الله بواسطة الفداء وهو احسان الله الفريد

أننا باحسان الفداء قد قبلنا الروح القدس وأهلنا إلى نعمة الله وبهذا الوصية قد صرنا أبناء الله بالذخيرة كما كتب الأباء المصطفى إلى الرومانيين: اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للمخافة بل أخذتم روح التبني الذي ندعو بهِ أبا أيها الأب (ص8ع15) وقد أبان جليًا مار يوحنا الحبيب قوة هذا الفداء وفاعليته بقوله: انظروا أية محبة منحنا

(628)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأب حتى ندعي وتكون أبناء الله (1يوحنا ص3ع1)

الثاني عشر بماذا ينبغي على المسيحين الذين صاروا أبناء الله أن يكافوه تعالى على ما نالوه من مآثر محبتهِ الأبوية الوفيرة

غب أن شرحنا ما تقدم ينبغي على الراعي أن يوعز إلى الشعب المؤمن بما يتوجب عليهِ لله خالقه ومدبره وفاديه من الطاعة والعبادة وبأي رجاء وثقة يجب أن يدعوه ولكن لا يدمن أن ندحض جهل الجاهلين ونقوّم سبل الضالين أولئك الذين يزعمون أن السراء وتوفيق سعينا فقد بدلان على أن الله لا يزال يشملنا بمحبته وأما الضراء والبؤس اذا امتحنا الله بهما فيدلان على أنه يعادينا وينكف عنا ويقصينا عن ارادته الالهية. فلهذا ينبغي أن نبين ونحقق للمؤمنين أن لله حينما يمسنا يده لا يفعل شيئًا عن عداوة بل انه يعاقب الاثمة ليؤديهم ويقبل بهم إلى التوبة وبهذا العقاب يفتديهم من الهلاك المؤبد يفقتد بالعصا سيئاتنا وبالسياط ظلمنا أما رحمته فلا ينزعها عنا (مزمور88ع34) ولأجل ذلك يجب أن يعرف المؤمنون من هذا العقاب محبة الله الأبوية وان يذكروا في قلوبهم ونطقوا بالسنتهم ما ورد في سفر أيوب الصديق الجميل صبره: أنه يجرح ويعصب يضرب ويداه تشفيان (أيوب ص5ع18) ويعوّلوا على ما جاء في نبوة ارميا من قولهِ بشخص الشعب الاسرائيلي. أدبتني فتأديت كالعجل الغير المروّض أعدّني فأعود فإنك أنت الرب الهي (ارميا ص31ع17) ويجعلوا نصب عيونهم نموذج طوبيا البار

(629)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الذي لما شعر بان يد الرب مسته وضربته بالعمي للوقت هتف قائلاً: أباركك يارب اله اسرائيل لأنك أدبتني وخلصتني (طوبيا ص11ع77)

الثالث عشر ينبغي أن نرسخ في عقول المؤمنين أن الله لا ينسانا أبدًا

فليحذر المؤمنين خاصةً في هذا الصدد من أنهم اذا اصيبوا بمكروه أو بليوا بمصاب يظنون الله لا يعلم بمات جرى لهم. مع انه تعالى قال: شعرة من رؤوسكم لا تهلك لا بل يتعزون بما ورد من قولهِ تعالى في سفر الجليان: أني كل من أحبه أوبخه وأوّودبه (ص3ع19) وربما قاله الحكيم في أمثالهِ: يابني لا تطرح أدب الرب ولا تضجر متى وبخك فإن الرب يؤدب مَن يحبه (ص3ع10) وليرتاحوا إلى ما اوعز بهِ رسول الأمم إلى العبرانيين اذ قال: يا بني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخرّ اذا أوبخك فإن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يتخذه... وإن كنتم بمعزلٍ عن التأديب الذي اشترك فيهِ الجميع فأنتم اذن نغول ولا ينون وأيضًا قد كان أباء أجسادنا يؤدبوننا ونحن نهابهم فهلأ تكون بالحري خاضعين لأبي الأرواح فنحيا (عبرانيين ص12ع5 وما يليه) أبانا (باضافة ضمير جمع المتكلمين)

الرابع لماذا نؤمر هنا أن ندعو الله ابانا بصيغة جميع المتكلمين

أننا لما يستغيث كل منا بالله ويدعوه أبانا نعلم أنه ينتج ضرورة موهبة وحق التبني الالهي أن المؤمنين جميعهم أخوة ويلزمهم أن يحب بعضهم بعضًا

(630)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

محبة الأخوة لأن الرب يقول: أنتم كلكم اخوة لأن أباكم الذي في السماوات (متى ص23ع8) والرسل يدعون المؤمنين كلهم اخوة في رسائلهم كما في رسالة رسول الامم إلى الرومانيين (ص1ع13 وما يليه) ومن ثم نستدل استدلالاً قطعيًا على ان المؤمنين بأجمعهم من قبل هذا التبني نفسه يتحدون فيما بينهم بعهد المحبة الأخوية بل أنهم يدعون أيضًا وهم حقيقة اخوة المسيح ابن الله الوحيد باعتبار كونه متخذًا طبيعتنا البشرية لأن الأنا المصطفى لما أتى بذكر ابن الله في رسالتهِ إلى العبرانيين قال: لأن المقدس والقديسين من واحد فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم اخوةً حيث يقول سابشر باسمك اخوتي (ص2ع11 ومايليهِ) كما سبق وقال النبي داود (مزمور21ع23) والمسيح نفسه خاطب النسوة بقولهِ: اذهبنَ وبشرنَ اخوتي كي يمضوا إلى الجليل وهناك يرونني (متى ص28ع10) ومن الثابت والمحقق أنه قال هذا غب قيامتهِ من بين الأموات وقهره الموت ونوالهِ عدم الميتوتة حذرًا من أن يخطر ببال أحد أن هذه الأخوّة قد انحلت وبطلت بقيامته صعوده إلى السماء فمعاذ الله أن قيامة المسيح تفسحّ عهد الاتحاد والمحبة فيما بينه وبين البشر وقد عبر ربنا نفسه عن ثبات الأخوة المشار اليها بتسميتهِ المؤمنين اخوته يوم الدينونة من على كرسي مجده وعزّه حين قال: يجلس على كرسي مجده ويجمع أمامه كل الأمم ليدينهم... ان الذي فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم (متى ص25).

(631)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس عشر من أي وجه يعد المؤمنون بين اخوة المسيح

هل يمكن ان لا نكون اخوة للمسيح ونحن ندعي وارثين معه (رومة ص8ع17) لأنه البكر وقد أوقيم وارثًا للجميع ونحن المولودون بعد وارثون معه المواهب السماوية بسبيل المحبة التي بها قد صرنا خدامًا وأنصارًا للروح القدس (1قور ص3ع9) وهو يغرينا بالفضيلة واعمال الخلاص فنغري بالنزال إلى ميدان حرب خلاصنا معتصمين بنعمتهِ الالهية فنجاهد بحكمة وبسالة ونسعى في مدة حياتنا لندرك جزاء الاكليل العادل من الأب السماوي المعدّ لجميع الذين جاهدوا جهادًا حسنًا لأن الله كما قال رسول الأمم عادل لا ينسى أعمالكم وودكم (عبر ص1ع2)

السادس عشر كيف يجب علينا أن يصلي بعضنا لأجل البعض وجميعنا نعدّ بعضنا اخوة بعض

أن القديس يوحنا الذهبي الفم يعلمنا أن نطقنا بهذه اللفظة يجب أن يكون صادرًا عن حب ومن صميم فوادنا فقال: إن الله يسر بسماعه المسيحي يصلي لا لأجل نفسهِ فقط بل لأجل غيره أيضًا. لأن من يصلي لأجلهِ يعمل بموجب الطبيعة أما من يصلي لأجل غيره يفعل بموجب المحبة. فالضرورة تدعو إلى أن يصلي لأجل نفسه أما المحبة فندعوه ليصلي لأجل غيره وأردف كلامه بقولهِ: إن الصلاة التي تندب اليها المحبة الاخوية هي أفضل لديه تعالى من الصلاة التي تدعو اليها حاجة المصلي (أه) ففي مسئلة الصلاة هذه الخطيرة يجب على الراعي أن يعظ ويحض الجميع

(632)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من كل عمر ومقام وجنس أن يتذكروا الزوم هذه الأخوّة العامة ويتصرفوا بالانفاق والاخاء ولا يترفع أحدهم على الأخر بالعجرفة والصلف لأن ف بيعة الله ولو تفاوتت درجات الوظائف مع ذلك لا يفسحّ هذا التفاوت قطعًا ربط الأخوّة وعصمتها كما أن الأعضاء في جسد واحد وأن اختلفت وظائفها وأعمالها يحفظ كل منها وظيفته ويواظب على عمله (رومة ص12ع4).

السابع عشرما الأسباب التي تقضي على المسيحيين بلزوم الاعتصام والاتحاد المتين

فلنفرض أن رجلاً جلس على سرير الملك ليت شعري اذا كان مؤمنًا الا يكون أخًا لجميع الذين اشتركوا في المذهب المسيحي فإن سألت كيف يكون ذلك: أحببتك ليس اله أخر أوجد الأغنياء والملوك غير الذي أوجد الفقراء والصعاليك الخاضعين لسلطان الملوك بل الله واحد أبو الجميع وربهم وللجميع مولد واحد روحي وشرف واحد ومقام واحد وأصلهم من نوع واحد لأننا جميعنا أبناء الله مولودون من روح واحد ومن ايمان واحد وارثون ميراثُا واحدًا مع المسيح وليس للأغنياء والمفتدرين مسيح واله غير مسيح واله المساكين والوضيعين ولم يتناول الرفيعون والعظماء أسرارًا غير التي يتناولها الوضعاء والفقراء ولا يتوقع أولئك ميراثًا غير الملكوت السماوي الذي يتوقعه هؤلاء نحن جميعنا أخوة وكما قال الاناء المصطفى في رسالتهِ إلى أهل أفسس: لأننا أعضاء جسد المسيح ومن لحمه وعظامه (ص5ع30) ثم في رسالتهِ إلى أهل

(633)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

غلاطية: لأن جميعكم أبناء الله بالايمان بيسوع المسيح لأنكم أنتم جملة من اعتمدتم في المسيح قد لبستم المسيح ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حرَّ ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع (ص3ع26ومايليه)فعلى الرعاة اذن أن يتوسعوا في هذه المسئلة ويرسخوها في أذهان المؤمنين لأنها باب محكم لتثبيت البائسين الأذلاء انعاشهم وقمع عجرفة الموسرين والمفتدرين وكبحها وكان الرسول المعظم يلح في هذه المحبة الأخوية ويكررها على مسامع المؤمنين وكأنه يعالج بها مكاره البشر ومصائبهم.

الثامن عشر بماذا ينبغي على المسيحي أن يتأمل حين ينطق في فاتحة صلاتهِ بهذه الكلمة: أبانا

ينبغي عليك أيها المسيحي حين تقوم للصلاة أن تذكر أنك تتقدم إلى الله كالابن إلى أبيهِ ولهذا حين تفتتح صلاتك ناطقًا بهذه الكلمة: أبانا افتكر فيما رقتك اليه رأفته تعالى من المقام السامي اذ أمرتك أن تبادر لا كعبد إلى سيده بالكره والذل بل كابن بالاختيار والثقة. فاعتبر بأي فكر وذكر وبأية حرارة وعبادة يجب عليك أن تصلي فينبغي عليك أن تبدي من نفسك ما يليق بابن الله أي أن تكون صلاتك وأعمالك تليق بمَن هو من ذرية الله التي أراد الله سبحانه الفائق احسانه أن يوصلك اليها (ابركسيس ص17ع28) ورسول الأمم يغرينا بهذه الصلاة قائلاً: كونوا مقتدين بالله كأبناء أحباء (أفسس ص5ع1) كي يصح أن يقال فينا ما قاله الرسول

(634)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المعظم إلى أهل تسالونيقي: لأنكم كلكم أبناء النور وأبناء النهار (تسالوص5ع5).

الذي في السماوات التاسع عشر أن الله موجود في كل مكان فكيف يقال أن منزله في السماء على الخصوص

قد اجمع كل من عرفوا الله معرفة صحيحة على أنه موجود في كل مكان انما لا ينبغي أن نفهم ذلك بمعنى أنه تعالى متجزئُ يوجد جزء منه في مكان وجزء في مكان آخر حاشا وكلاً لأن الله روح منزه عن التجزئ كما قال القديس امبروسيوس في الفصل 7 من كتابه 1 عن الروح القدس ويوحنا الدمشقي في الفصل 16 من كتابه 1 وسكوتوس في القسم 2 في التمييز 2 من البحث 5. فمن يتجاسر على أنيقول في الله أنه يحتوى في حيز مكاني أو ينحصر ضمن حدود مكانية فيما أنه سبحانه يقول عن ذاته: أَلست أنا املاء السماء والأرض يقول الرب: (ارمياص23ع24) وتقول أيضًا أننا بهذا المعنى ينبغي أن نفهم أن الله يحبط بالسماء والأرض وبكل ما فيهما وموجود في كل الأشياء بما أنه يخلقها أو يحفظها في الوجود غير محيز في مكان ولا منحصر ضمن حدود ولا محدود بحيث يكون حاضرًا بجوهره وقدرته في كل مكان وقد عبر داود النبي عن هذه الحقيقة بقوله: إن صعدت إلى السماء فأنت هناك وأن نزلت الى الحجيم فأنت حاضر وأن أخذت جناحين كالنسر وسكنت أقاصي البحر فإن هناك يدك تهديني وتمسكني يمينك

(مزمور138ع8) على أنه ولو كان الله يوجد في كل مكان وفي جميع الموجودات ولا يحصره حد كما تقدم مع ذلك كثيرًا ما يقال في الأسفار الالهية أن مقره السماء كما رود في المزامير: الساكن في السماء (مزمور2ع4) والهنا في السماء (مزمور114ع11) لأن السماوات التي نعاينها هي اسمى قسم بين المخلوقات وهي مستمرة لا يعتريها فساد وهي بقوة عظمتها وجمالها أفضل من باقي الأجرام ومجملة بحركات هلها ثابتة مقررة. فإذن كي يرفع الله قلوب البشر إلى التأمل بقدرته وجلاله الغير المتناهيين المتلالأين بأوفر بهاء في السماوات يقول عن ذاته في ااسفار اللهية أنهُ ساكن في السماوات وكثيرًا ما يعلن أنهُ محبط يجمع المخلوقات بحيث لا يوجد قسم من أقسام العالم السفلى والعلوى غير موجود هو فيهِ بطبيعته وذاته وقدرته الالهية: كما قال القديس غريغوريوس النزيزني مقالتهِ 34 في اللاهوت.

العشرون ما ينبغي أن يتأَمله المؤمنون في هذا العبارة: الذي في السماوات

أن المؤمنين في افتكارهم بمسكن الله السماوي لا يشخصون في أذهانهم صورة الأب العام لجميع الناس فقط بل أيضًا صورة الله المالك في السماء حتى اذا قدموا على الصلاة يتذكرون أنهُ من الواجب عليهم أن يرفعوا عقولهم وقلوبهم إلى السماء ويأتيهم اسم الأب بالرجاء والثقة بقدر ما تخولهم من التواضع المسيحي والعبادة تلك الذات الجليلة والعزة الالهية عزة وذات أبينا الذي في السماوات وتعبر أيضًا هذه

(636)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الكلمات للمصلين عما ينبغي أن يلتمسوه. لأن كل طلبنا المتعلق بلوازم هذه الحياة ان لم يكن مقترنًا بالخيرات السماوية ومتجهًا إلى هذه الغاية فهو كلا شئ وغير لائق بالانسان المسيحي. ولهذا ينبغي على الرعاة أن يوعزوا إلى جماعة رعاياهم الأنقياء بأن يتمسكوا بنوع هذه الصلاة ويؤيدوا ايعازهم يقول الأناء المصطفى في رسالتهِ إلى أهل قولوسايس: اذن إن كنتم قد قمتم مع المسيح فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. افطنوا لما هو فوق لا لما هو على الأرض (ص3ع1وما يليهِ).

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(637)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل العاشر

في الطلبة الأولى

ليتقدّس اسمك

الاول لمذا نبتدئ في طلباتنا بالتشوق إلى تقديس الاسم الالهي

إن رب جميع الناس ومعلهم نفسه قد علمنا وأمرنا ما ينبغي لنا أن نطلبه من الله وما يلزم أن ننسقه من النظام في طلباتنا فلما كانت الصلاة بمنزلة رسول وترجمان مقصدنا ورغبتنا اقتضى أن نظام الطلبات يتبع نظام المرغوبات حتى يكون طلبنا بموجب الاستقامة والصواب كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2 في الفصل 9 من البحث 83 أما المحبة الحقيقية فتندينا إلى أن نوجه كل قلبنا وعزمنا إلى الله الذي من كونهِ وحده وبذاته الخير الأعظم وجب علينا من باب الحق والصواب أن نحبه محبة تفوق كل محبة غيره. والحال لا يمكننا أن نحب الله هذه المحبة أن لم نؤثر مجده وكرامته على جميع الخيرات المخلوقة والطبيعية. لأن الخيرات كلها بوجه الاطلاق وخيراتنا وخيرات غيرنا وكل ما يطلق عليه اسم خير صادر من الله الخير الأعظم وعائد اليهِ. ولهذا قد وضع المخلص في رأس باقي الطلبات طلبة الخير الأعظم لكي تتنسق الصلوة بنظام وترتيب فعلمنا أن نطلب

(638)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ما يتعلق بمجده تعالى لهُ اجتهادنا ورغبتنا في هذا الطلب قبل أن نلتمس ما نحتاج اليه نحن وقريبنا وعلى النحو نستمر في دائرة المحبة التي تعلمنا أن نحب الله أكثر مما نحب ذواتنا ونطلب أولاً ما نتمناه لله ثم ما نبتغيه لذواتنا.

الثاني أن الطبيعة الالهية لا تزاد شيئًا ولا تنقص شيئًا فإذن لماذا يقتضي أن نطلب تقديس اسم الله

كما ان الرغبة والطلب يفترضان تلك الأشياء التي يفقتر اليها الطالب والراغب وأما الله سبحانه فلا يفتقر إلى شئ من طبعه ولا يمكن أن يزداد شيئًا من جوهره لكونه مجموع الكمالات بنوع يفوق الوصف. فقولنا اذن ليتقدس اسمك: يفهم أن ما نطلبه لله من الله نفسه هو خارجي ويختص بمجده الخارج لأننا نرغب ونطلب أن يكون اسمه معروفًا عند الأمم وأن يتسع ملكه وينتشر في العالم وأن يزداد كل يوم عدد الذين يدينون لاسمه الالهي. فهذه الثلاثة أي الاسم والملك والطاعة ليست بداخلة في خير الله الذاتي بل تعزي إلى مجدهِ الخارج الذي يجب علينا أن نقدمه لهُ.

الثالث لعل هذه الكلمات: كما في السماء كذلك على الأرض

ترجع إلى الطلبات الثلث الاولى فكيف يجب أن نفهمها هنا

يلزم الرعاة من باب وظيفتهم أن يبلغوا المؤمنين كي يتدبروا حسنًا ما لهذه الطلبات من القوة والبلاغة أن هذه الألفاظ: كما في السماء كذلك على الأرض: ترجع إلى كل من الطلبات الثلث الأولى

(639)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ فيكون تأويلها ليتقدس اسمك كما في السماء كذلك على الأرض: لتكن ارادتك كما في السماء كذلك على الأرض فحين نطلب أن يتقدس اسم الله نعني بذلك أن تزداد قداسة الاسم الالهي ومجده فلا يقصد المخلص بقوله: ليتقدس اسمك أن يتقدس على الأرض نفس تقديسه في السماء أي أن التقديس الأرضي يوازي بفساحته التقديس السماوي لأن هذا ضرب من المحال بل أن نقدسه تقديسًا بمحبة واجتهاد صادرين من صميم القلب.

الرابع كيف يمكننا أن نقدس اسم الله وهو مقدس بذاته

لا شك أن اسم الله مقدس بذاته ولا يحتاج إلى تقديس: قال النبي داود: أن اسمه قدوس وموهوب (مزمور110ع9) فكما أن الله قدوس من طبعه ولا يمكن أن تضاف اليه قداسة لم يكن متصفًا بها منذ الأزل مع ذلك يحف على الأرض بكرامة ومجد أقل كثيرًا مما يتوجب لهُ لا بل أنهُ أحيانًا يهان والعياذ بالله باللعنات والتجاديف فلهذا نتمنى ونطلب أن يسبح ويكرم ويمجد على مثال ما يقدَّم لهُ من التسابيح والكرامة والمجد في السماء أي ان نكرّمه ونعبده بعقلنا وقلبنا ولساننا بحيث نخفه بكل احترام ظاهر وباطن ونعليه بكل تسبيح وتمجيد وهو الله العلي الطاهر الممجد على مثال العلويين سكان السماء فكما أن السماويين يعظمونهُ ويمجدونه ويسبحونه بأعظم اتفاق هكذا نطلب في الصلاة أن جميع الأمم يعرفون الله ويكرمونه ويعبدونه ويقبلون الديانة المسيحية وجميعهم يتعبدون لهُ يؤمنون أنهُ هو ذات القداسة ومصدرها

(640)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وإن ما من قداسة ولا طهارة الاَّ تصدر عن قداسة اسمهِ الالهي.

الخامس كيف يمكن أن يكون اسم الله مقدسًا عند الكافرين

شهد رسول الأمم أن الكنيسة مطهرة بغسل الماء وكلمة الحياة (أفسسص5ع25) فقولهُ بكلمة الحياة يشير إلى اسم الأب والابن والروح القدس الذي بهِ نعتمد ونتقدس فحيث لا تطهير ولا قداسة لمن لا يكون دُعي عليهِ اسم الله لذلك نشتهي ونلتمس منه تعالى أن كامل النوع البشري ينبذون ظلام الكفر النجس ويستنيرون بأشعة النور الالهي ويعرفون قوة هذا الاسم وبهِ ينشدون القداسة الحقة ويقبلون سر العماد باسم الثلاثة الأقانيم المقدسة فيدركون بعون الله قوة القداسة الكاملة.

السادس كيف يمكن أن يُقدس اسم الله في الناس الخطأَة

أن رغبتنا وطلبتنا تتناولان أولئك المتمرغين بوحول الأثام والمعاصي اذ فقدوا حلة العماد الطاهرة المقدسة ولذلك عاد اليهم ذاك الروح الشرير النجس وأقام كرسيه في قلوبهم التعيسة. فنرغب ونصلي لله أن يتقدس فيهم أيضًا اسمه أي أن يرعووا ويستردوا القداسة الأولى بواسطة سر التوبة وبعدوا ذواتهم مسكنًا طاهرًا وهيكلاً مقدسًا لله وهكذا يقدسون اسم الله بتوبتهم وأعمالهم المقدسة.

السابع كيف يستطيع الناس جميعهم أن يقدسوا اسم الله

وفي الآخر أننا نصلي لكي يشرق الله نوره في عقول جميع البشر فيرون أن كل عطية صالحة وكا موهبة كاملة انما تهبط من فوق

(641)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

من لدن أبي الأنوار (يعقوب ص1ع17) وبهِ يشكرونه تعالى على ما مَن عليهم من فضيلة النعفف والعدل والحياة والخلاص وفي الآخر على ما أكرمهم بهِ من جميع الخيرات الجسدية والخلاصية الظاهرة والباطنة لأن جميعها تصدر منه تعالى كما تقول الكنيسة المقدسة فإن كانت الشمس بنورها وباقي الكواكب بحركاتها وسيرها تنفع النوع البشري وإن كنا نستنشق الهواء المحدق بنا وأن كانت الأرض ترزقنا خصب الغلات والثمار لحياة جميع الناس وإن كنا بفعل الحكام وولاة الأمور نرتع في رياض الراحة والسكينة فهذه الخيرات وما شاكلها مما لا يحصى نغتنمها من جوده تعالى الغير المحدود لا بل يجب علينا أن نتأول العلل الثواني كما يسميها الفلاسفة إلى بعض مفاعيل محكمة الوفاق أحكامًا عجيبًا لاستعمالنا كأنها أيدي العلي توزّع علينا خيراته وتسكبها علينا بفيض وسخاء لا يدركه عقل ولا يحصره نقل

الثامن كيف يتقدس اسم الله على الخصوص بمعرفة الناس الكنيسة الكاثوليكية وتكريميهم اياها

أن جل ما يُحتوى في هذه الطلبة هو أن الجميع يعرفون عروس المسيح المقدسة أمنا الكنيسة الكاثوليكية التي فيها وحدها ينبوع فياض مفتوح للأبد لرحض جميع أدناس الخطأة وادرانهم ومن مناهلها يستقون كافة أسرار الخلاص والقداسة التي هي بمنزلة أقنية سماوية يجري منها الينا ندى القداسة ومياه النعمة ولها وحدها ولمن ضمتهم في حضنها أن يدعوا ويستغيثوا بذلك الاسم الالهي الذي وحده

(642)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

تحت السماء أُعطي للناس كي يخلصوا (أبركسيس ص4ع12).

التاسع كيف يهان اسم الله في يومنا عند المسيحيين

يلزم الرعاة أن يشددوا بالوصية والأمر بأن من واجبات الابن الصالح لا أن يصلي أبيهِ بالكلام فقط بل أن يجتهد فعلاً في أن يتلاءلاء فيهِ تقديس الاسم الالهي. ولكن لسوء البحث يوجد من لا يلتمسون بالصلاة تقديس اسم الله بل يفترون عليهِ ويدنسونه بأفعالهم وعلى قدر مكنتهم ويبلغ كفرهم إلى أنهم يلعنونهُ. ففي هؤلاء قال رسول الأمم أن اسم الله يفتري عليهِ بسببكم بين الامم (رومة ص2ع24) وفي نبوة حزقيال ورد ما تعريبه: فلما دخلوا بين الأمم الذين دخلوا بينهم دنسوا اسمي القدوس اذ قيل عنهم هؤلاء شعب الرب وقد خرجوا من ارضهِ (ص36ع20) لأن جمهور الناس الغفَّل والأمييين من عادتهم أن يقبلسوا الديانة ومبدعها قياس سيرة تابعيها ولهذا من يعيشون حسب الديانة المسيحية التي دانوها ويرتبون على قاعدتها صلاتهم وأعمالهم ياتون الغير مثالاً صالحًا عظيمًا ليعظموا اسم الأب السماوي وليسبحوه ويمجدوه لأن الرب نفسه قد سن علينا الالزام في أن ننعش الناس باعمال الفضيلة والصلاح ونقتادهم إلى تسبيح الاسم الالهي وتمجيده بقولهِ لنا في انجيلهِ المقدس: فليضئ نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات (متى ص5ع18) وقال هامة الرسل: وليكن تصرفكم بين الأمم حسنًا كي ينظروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا الله (1بطرس ص1ع12).

(643)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

القسم الثاني

الفصل الحادي عشر

ليأتِ ملكوت

الأول كثيرًا ما ذكرت الأسفار المقدسة كرازة ملكوت الله

إن ملكوت الله الذي نطلبه في هذا القسم الثاني من الصلاة تأَول اليهِ وتنتهي بهِ كرازة الانجيل لأن منه قد شرع يوحنا الصابغ يعظ الناس في التوبة ويغريهم بما يليق بها من الأفعال قائلاً: توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات (متى ص3ع2) ثم مخلص العالم قد افتتح بهِ خطابه الذي القاه على تلاميذه في جبل الزيتون وبين لهم سبل السعادة قائلاً: طوبى للمساكين بالروح فغن لهم ملكوت السماوات (متى ص5ع3) لا بل لما كانوا يريدون أن يمسكوه علّل لهم على وجوب ذهابهِ بقوله: ينبغي لي أن أبشر أيضًا في المدن الآخر بملكوت الله لأنني لهذا أرسلت (لوقا ص4ع43) وفيما بعد أمر رسله بأن يبشروا بملكوت الله قائلاً: فاكرزوا قائلين أن ملكوت السماوات قد اقترب (متى ص10ع7) ثم أنهُ أجاب من كان طلب منه أن يأذنه أولاً بأن يذهب ليدفن أباه بقوله لهُ: دع الموتى يدفنوا أموتاهم وأما أنت فامضِ وبشر بملكوت الله (لوقا ص9ع10) ولما قام من بين الأموات كان في مدة تلك الأربعين يومًا التي ظهر فيها لتلاميذه

(644)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يخاطبهم في شان ملكوت الله (ابركسيس ص1ع3) فعليهِ ينبي على الرعاة أن يبذلوا جهدهم في شرح هذا الموضوع لهذه الطلبة الثانية كي يتدبر المؤمنون ما لهذا الالتماس من كبير الفحوى واللزوم.

الثاني على ما تشتمل هذه الطلبة الثانية

أولاً تتوفر مادة كبيرة لشرح هذا الموضوع باسهاب وتدقيق من المعرفة بكون هذه الطلبة ولو اقترنت بباقي الطلبات جميعها مع ذلك قد أمر الرب يسوع أن تورد على حدتها لكيما ننشد بأعظم اجتهاد ما نطلبه لأنه قال عزّ وجلّ: اطلبوا ملكوت الله وبره وهذا كله تزدادونه (متى ص6ع33) وفي الحق أن هذه الطلبة تحوي قوة وتشمل وفرة منح سماوية بالغة إلى حد أنها تعم الجميع ما تحتاج اليهِ لحنظ حياتنا الجسدية والروحية ليت شعري هل من ملك يستحق أن يدعي ملكًا ولا يعتني بما يتعلق بخلاص ملكه. فأن كان البشر يهتمون بملكهم فكم بالحري ينبغي أن نعتقد ملك الملوك يبذل ما لا ندركه من الاهتمام والعناية في صيانة حياة البشر وخلاصهم. فبطلبتنا اذن ملك الله يتضمن كل ما نحتاج اليه في هذه الغربة أو بالحري في هذا المنفى وكل ما وعدنا الله أن يمنحناه من جوده ورأفته لأنه يعد أن أمرنا بأن نطلب ملكوت الله وبره حالاً اردف كلامه بقوله: وهذا كله تزدادونه مشيرًا بهذا الكلام إلى أنه ملك يمنح النوع البشري سوابغ الخيرات بفيض وسخًا. فلما كان داود النبي مستغرقًا بالتأمل في رأفة الله الغير المتناهية هتف مترنمًا: الرب برعاني فلا يعوزني شئ(مزمور22ع1).

(645)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثالث ما ينبغي أن يعلمه من يبتغون أن ينالوا فائدة هذه الطلبة

من المحقق أنه لا يكفينا أن نطلب ملكوت الله طلبًا جهيدًا أن لم نقرن طلبنا بجميع الأشياء التي يجب أن نستعملها بمنزلة آلة بها ننشده ونجده لأن العذارى الجاهلات قد طلبنَ حقيقةً باجتهاد قائلات: يارب يارب افتح لنا (متى ص25ع11) ورفضنَ لأنههَّ لم يكن لهنَّ ما يساعدهنَّ على اجابة التماسهنَّ ولم يكن رفضهمَّ من باب الظلم حاشا لأن من فم الله خرج هذا الحكم: ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السماء.

الرابع ما الأسباب التي تغري قلوب الناس بالرغبة في ملكوت الله

أن الكهنة المقامين على خدمة النفوس يستقون من مناهل الأسفار الالهية حججًا تحرك همة المؤمنين وشوقهم إلى ملكوت الله ويمثلون تجاه أعينهم حالة البشر التعيسة حتى اذا ارعووا وجمعوا أفكارهم من التيه والشتات يذكرون في الحمى عهود تلك السعادة العظمى وتلك الخيرات التي لا يدركها عقل المتدفقة في بيت الله أبينا الأزلى لأننا نحن كما أجمع الأبا العلماء باتفاق الكلمة غربا وضويف على الأرض (عبر ص11ع13) وساكنون في مكان تسكنه الابالسة الذين يبغضوننا بغضًا لا سبيل البتة إلى تخميده لأنهم أعدا الدآ أشدآ للنوع البشري وما أدراك ما تلك الحروب الباطنة الأهلية المستعرة نارها على الداوم بين الجسد والنفس

(646)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

واللحم والروح التي يقتضي أن نرهبها دائمًا. كيف لا ولولا ذراع العلي الفدار يسندنا ويحمينا لصرعنا فيها شر مصرع والرسول المعظم لدن شعوره بشدة هذا الشقاء الهائل كان يهتف قائلاً: أنا الشقي من ينقذني من جسد الموت هذا (رومة ص5ع25).

الخامس يستدل على تعاسة الانسان وشدتها بمقابلة باقي الأشياء مع الانسان

إن تعاسة نوعنا هذه ولو عُفت بذاتها الاَّ أنها تدرك أتم ادراك وأسهله بمقايستها مع باقي الطبائع والأشياء المخلوقة فهذه المخلوقات سواء كانت عادمة العقل أو الحس قلما نرى فيها طبيعة تعرج عن سبيل أعمالها الخاصة أو حسها أو حركتها الغريزية أو عن مقصدها وغايتها المفترضة لها ولهذا ظاهر في الحيوانات الدابة على الأرض والسابحة في البحار والطائرة في الجو ولا يحتاج إلى دليل فإذا نظرت إلى الافلاك تحققت صحة ما قالهُ النبي داود وصدقه: كلمتك يارب ثابتة في السماء إلى الابد (مزمور118ع89) أي ان السماء حافظة حركتها ومسيرها في دورانها الدائِم فلا تمزج قدر ذرة عن السنة المرسومة لها بأمره تعالى وان نظرنا الأرض وكل ما عليها رائيناها لا تخلىّ بشئ البتة عن خطة رسومها وسننها أما النوع البشري المتفاقمة تعاسته وشقاؤه فكثيرًا ما يخل ويسقط وقلما يتبع ما كان مستقيمًا وصوابًا. وعلى الغالب يرفض ويرذل ما كان أخذ بهِ ورضيه من الأفعال الصالحة ويكره في الحال ما كان أحبه بحكم الصواب فينبذ الشور الحميد ويتهور في المشورات السيئة الموعبة أخطارًا على نفسه.

(647)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس ما السبب الخصوصي لجميع هذه التعاسات

إن شئت أن تعرف اذن ما سبب هذا التقلب والتعاسة الملمة بالانسان فهو بالحقيقية امتهان الالهام الالهي لأننا نسد أذاننا عن سماع أوامر الله ونواهيهِ ىولا نريد أن نرفع أبصارنا إلى ما يقدمه لنا من الأنوار ولا نستمع ما يأمرنا بهِ الآب السماوي مما يجدينا خلاصًا ولهذا ينبغي أن يجد الرعاة في أن يجعلوا نصب أعين المؤمنين هذه التعاسات ويذكروا أسبابها ويبينوا طرق علاجاتها الشافية التي أوردها القديسان الجليلان يوحنا الذهبي الفم في خطبته في الشعب الأنطاكي واغوسطينوس في الفصل 28 من كتابهِ10 في اعترفاته ثم التي وضعناها نحن في شرح قانون الايمان لأنهم بعد أن يكونوا طلعوا عليها لا تظن أنهُ يوجد انسان يريد ان يكون من عداد الفوم الأثمة الأشرار بل يهب من كرى التهاون والتغفل ويقوم بأيد النعمة التي تتداركه وعلى مثال ذاك الابن الشاطر يجد السير إلى أبيهِ الملك السماوي ويظفر منه الرضى والقبول.

السابع على أي شئ يدل ملكوت الله في الأسفار المقدسة

غب أن يكون الرعاة استوفوا الكلام في شرح ما تقدم ينبغي أن يبينوا ما نطلبه بهذه الكلمات كي تجدي طلبة المؤمنين نفعًا لا سيما أن لفظة ملكوت الله تعنى أشياء كثيرة يتأني من شرحها فائدة كبيرة لادراك باقي الكتب المقدسة وهي لازمة كل اللزوم لمعرفة ما نحن في صدده. فإذن مدلول ملكوت الله بالعموم وهو الغالب في الأسفار الالهية ليس السلطة التي لهُ على جميع البشر والمخلوقات فقط بل أيضًا

(648)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العناية التي بها يسود ويدبر الجميع. قال النبي داود: بيده أعماق الأرض ولهُ قمم الجبال (مزمور94ع4) فيفهم بهذه الأعماق أيضًا الخطايا والمكنونات في أعماق الارض وفي جميع أقاصي الأرض. وفي هذا المعنى قال مردكاي: اللهمَّ أيها الرب الملك القادر على كل شئ أن كل شئ في طاعتك وليس في طاعتك وليس من يقاوم مشيئتك.. أنت رب الجميع وليس من يقاوم عزتك (استير 13ع9و11).

الثامن ما هو ملكوت المسيح في الأنقياء

ثم يشار بملكوت الله إلى تلك العناية الخاصة الفريدة التي بها يعتني الله سبحانهُ بالناس الأفاضل القديسين ويصونهم. وقد عبر داود النبي عنها بقولهِ: الرب يرعاني فلا يعوزني شئ: (مزمور22ع1) ثم اشعيا النبي: لأن الرب حاكمنا الرب مشترعنا الرب ملكنا فهو يخلصنا (اشعيا ص23ع22) ولو أن هذه القدرة الملكية تكتنف بوجه الخصوص الأنام الأفاضل القديسين في هذه الحياة مع ذلك قد أوعز المسيح الرب نفسه إلى بيلاطس بأن ملكه ليس من هذا العالم أي ليس أصله من هذا العالم المخلوق والعتيد الزوال لأنه على هذا الوجه تملك السلاطين والملوك ورؤساء الجمهوريات والأمراء وجميع من يسودون ويحكمون في المدن والأمصار أما يطلب الناس وانتخابهم اياهم إلى وظيفة الأحكام وأما أنهم يختلسونهم بالغصب والظلم فإما ربنا يسوع المسيح فقد مسحه الله ملكًا كما قال النبي داود: (مزمور2ع6) وشهد رسول الأمم بأن ملكوته برّ وسلام وفرح من الروح القدس (رومة ص14ع17)

(649)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالتاسع كيف يملك المسيح في قلوب مؤمنيه

يملك المسيح الرب فينا بالفضائل الباطنة أي الايمان والرجاء والمحبة التي تصير بها بمنزلة أقسام لملكهِ وخاضعين له خضوعًا خصوصيًا وواقفين ذواتنا لعبادتهِ واكرامهِ كما قال الرسول: أنا حي ولست أنا بل المسيح الحي فيَّ (غلاطية ص2ع20) هكذا ينبغي أن نقول قولاً مقرونًا بالصدق: أنا أملك ولست أنا بل المسيح المالك فيَّ فقيل أن هذا الملك برَّ لأنهُ أقيم ببر المسيح الرب واليه أشار ربنا بقوله: أن ملكوت الله داخلكم (لوقاص17ع21) لأن يسوع المسيح ولو ملك بالايمان على جميع الذين انضموا إلى حضن أمنا الكنيسة المقدسة الاَّ أنه يملك بوجه الخصوص على الذين اتصفوا بالايمان والرجاء ووقفوا ذواتهم لله بمنزلة أعضاء طاهرة حتى يقال لهُ يملك عليهم بنعمته.

العاشر في ملكوت مجد ربنا يسوع المسيح

أن لله ملكوت مجد أيضًا أشار اليه المسيح الرب بقوله: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ انشاء العالم وأتى لص اليمين بذكر هذا الملكوت نفسه اذ عرف خطاياه وتوخاه من الرب قائلا: اذكرني يار اذا جئت في ملكوتك (لوقا ص23ع42) ثم ذكره الرب في بشارة يوحنا الحبيب بقوله: أن لم يولد أحدٌ من الماء والروح القدس فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله (ص3ع5) وذكره أيضًا رسول الأمم اذ قال: واعلموا وافهموا أنه ليس للزاني أو

(650)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

النجس أو البخيل الذي هو انما عابد وثن ميراث في ملكوت المسيح والله (أفسس ص5ع5) واليه تشير بعض الأمثال التي ضربها ربنا يسوع المسيح في صدد ملكوت السماوات (متى ص13ع21)

الحادي عشر في طبيعة ملك النعمة ومجد المسيح اختلافهما

لا بد أولاً من أن نقرر ملك النعمة اذ من الحال أن مجد الله يملك على احد ما لم تملك فيه النعمة لأن النعمة من قول مخلصنا نفسه هي: ينبوع ماء يجري الحياة الأبدية (يوحنا ص4ع14) أما المجد فما هو سوى نعمة الله بكمالها وتمامها لأننا طالما نحن لا بسون هذا الجسد الوهن المائت وطالما نحن بعيدون عن الرب في هذه الغربة العمياء وفي هذا المنفى كثيرًا ما نزل وتستقط ونترك سد النعمة الذي كنا نعتصم بهِ ولكن حالما يشرق علينا نور ملك المجد وهو الكامل الذي يبطل الناقص (1قور ص13ع10) نتشدد وتتقوى ونصبر ثابتين على الدوام لأنه يبيد كل رذيلة وكل عناء واساء ويعزز كل ضعف وفي الأخر يمكل الله في نفسنا وجسدنا كما تتقدم الكلام باسهاب في شرح قانون الايمان حين تكلمنا على قيامة الأموات.

الثاني عشر ماذا نلتمس منه تعالى على الخصوص بهذا الطلبة

فإذن بعد ان يكون الرعاة قد ابانوا ما يعلن المراد بملكوت الله بوجه العموم ينبغي عليهم أن ياتوا بالكلام على بيان المقصود بحصر المعنى من هذه الطلبة فإننا نطلب من الله امتداد ملك المسيح الذي هو الكنيسة واتساع أرجائهِ كي يقبل إلى دين يسوع المسيح

(651)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ومعرفة الله الحقيقي الكفرة واليهود وان تعود الأراطقة والمشاقون إلى شركة كنيسة الله التي افترقوا عنها كي يتم ما قاله الرب بفم اشعيا النبي وسعي موضع خبائكِ ولتبسط شقق مساكنكِ لا تمسكي طولي أطنابك وثبتي أوتاركِ فإنكِ تبسطين إلى اليمين والشمال ويرث نسلكِ الأمم ويعمر المدن الخربة... لأن بعلك صانعكِ (ص54ع2 وما يليهِ) وفي محل آخر: فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياء اشراقكِ ارفعي طرفيكِ الى ما حولكِ وانظري كلهم قد اجمعوا واتوا اليك بنوكِ من بعيد ياتون وتحلمين بناتكِ في حضنك (اشعيا ص60ع2و4)

الثالث عشر ما نطلبه هنا ثانيًا

لما وجد في الكنيسة قوم يقرون أنهم يعرفون الله بأسانهم وينركونه بافعالهم الأثيمة يظهرون للعاين ايمانًا كاذبًا شنيعًا وابليس حال فيهم بسبب اثمهم ويملك عليهم كما يملك في منازله كان علينا أن نطلب من أجل هؤلاء أيضًا أن يأتيهم ملكوت الله كي ينبذوا عنهم قنام الخطايا ويستنيروا بأشعة النور الالهي ويعودوا إلى مقامهم الاول أبناء الله وأن ترتفع من ملك الأب السماوي الأرطقات والانشقاقات وتضمحل العثرات واسباب المعاصي فيبقى بيدر الكنيسة التي تؤدي لهُ العبادة بالتقوى والقداسة وترتع في ربوع الراحة والسلام

الرابع عشر ماذا نلتمسه ثالثًا في هذه الطبة

ثم نطلب أن الله وحده يحيا فينا ويملك وحده علينا ولا يعود

(652)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بعد مكان للموت الروحي أن يبتُلع الموت بغلبة سيدنا يسوع المسيح (1قور ص18ع54) الذي أبطل كل رياسه الأعداء وكل سلطانهم وصولتهم واخضع الكل لحكمه.

الخامس عشر ما ينبغي على المسيحيين أن يفعلوه ويتأملوه خاصة في معرض هذه الطلبة

ينبغي على الرعاة أن يهتموا في تعليم المؤمنين ما تقتضيه هذه الطلبة ويبينوا لهم الأفكار والتأملات التي يتدحجون بها كي يستطيعوا أن يتدموا لله صلواتهم بورع وعبادة ويغرونهم بان يتمنعوا أولاً بفحوى ذاك المثل الذي ضربه المخلص ومغزاه اذ قال يشبه ملكوت السماوات كنزًا مخفيًا في حقلٍ (متى 23ع44) لأن من عرف غنى ربنا يسوع المسيح رذل كل شئ لأجلهِ وهانت عنده الأموال والثروات والعظمة اذ لا يعادله ثمن ولا تقاس بهِ كنوز العالم بأسرها ولهذا من أسعدهم التوفيق بمعرفتهِ هتفوا مع رسول الأمم قائلين: الا ان ما كان لي ربحًا قد عددته خسرانًا من أجل المسيح بل أعدّها أقذارًا لا ربح المسيح (فيلبي ص3ع8و9) هو الدرة الثمينة التي من باع كل مالهُ واقتناها رتع في رياض السعادة الخالدة

(653)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ السادس عشر ما اشهى ملكوت المسيح هنا بالنعمة وفي الىخرة بالمجد

سقيًا لنا لو اشرق علينا يسوع المسيح نورًا عظيمًا نتمكن بهِ من مشاهدة درة تلك النعمة الالهية التي يملك بها في قلوب خاصة لكنا بلا شك نبيع كل مالنا حتى ذواتنا كي نقتنيها ونحفظها اذ يحق لنا حينئذٍ أن نهتف مع رسول الأمم قائلين: من يفصلنا عن محبة المسيح. (رومة ص8ع35) فإن رمنا أن نعرف ما هو ملك المجد السامي جلالاً وعظمة علينا بما قاله فيهِ اشعيا النبي ورسول الأمم: ما نظرته عين ولا سمعت بهِ اذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه (1قور ص2ع9)

السابع عشر فيما يلزمنا أن نكون عليهِ من التواضع في هذه الطلبة وغيرها

يفيدنا عظيم الفائدة لنوال ما نطلبه أن نفتكر بما نحن عليهِ أي أننا ذرية آدم المطرودون من الفردوس والمنفيون في هذا العالم وادي الدموع ولنا من الأثام والشرور المتفاقمة ما يستوجب علينا أن الله سبحانه يبغضنا أشدّ بغض ويعاقبنا عقابًا مؤبدًا ولهذا يجب علينا أن نتواضع ونتذلل وان تكون صلاتنا أيضًا موعبة من التواضع المسيحي ولا يكون لنا اتكال على ذواتنا في شئ بل نهرع لائذين بحمى الرحمة الالهية على مثال ذاك العشار ناسيين كل شئ إلى رأفته ونقدم لهُ الشكر دوامًا على انعامه علينا بروحه القدوس الذي فيما نحن بهِ معتصمون نتجاسر أن

(654)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ندعو أبًا ايها الأب (رومة ص8ع15).

الثامن عشر ينبغي علينا أن نبذل أعظم الجد والاجتهاد كي نتمتع بملكوت السماوات

علينا الاهتمام والافتكار فيما يجب علينا عمله مفيما يقتضي تجنبه كي نستطيع أن نبلغ إلى ملكوت السماوي لأن الله سبحانه لم يدعنا إلى الراحة والبطالة بل إلى العمل والكد أما هو القائل: ملكوت السماوات يغصب والغاصبون يختطونه (متى ص11ع12) وإن شئت أن تدخل الحياة احفظ الوصايا (متى ص19ع17) ولهذا لا يكفي الناس أن يطلبوا ملكوت السماء ما لم يصرفوا في سبيل التماسهِ من الجد والتعب ما يبلغهم اليهِ اذ يلزمهم أن يكونوا أنصارًا لنعمتهِ تعالى في السعي باثر الملكوت فإن الله سبحانه لا يتركنا أبدًا كيف لا وهو وعدنا أن يكون معنا كل الأيام إلى انقضاء العالم أما نحن فيلزمنا أن نتوقى كثيرًا من أن نترك الله وذواتنا أما في ملكوت الكنيسة فمنحنا الله كل ما يحفظ حياة الانسان ويوليهِ الخلاص الأبدي وطغمات ملائكة غير منظورة وموهبة أسرار منظورة مفعمة قوة سماوية جعل لنا فيها حي منيعًا نأمن فيهِ سطوة أعدائنا الألداء وقدرنا أيضًا على أن نصدع أركونهم الظالم واعوانه الأشرار ونطاءهم بأخمص قدمنا.

التاسع عشر في هذه الطلبة وبيانها على وجه آخر وجيز

الحاصل يجب علينا أن نلتمس من روح الله التماسًا حثيثًا ان يأمرنا بان نصنع كل شئ حسب ارادته وأن يرفع عنا سطوة ابليس

(655)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وأن لا يكون لهُ أدنى سلطان في يوم الدين العظيم وأن يحوز المسيح فينا النصر والغلبة وأن تمتد وتسود سننه في أمصار العالم كافة ولا يكون من يخون عهده ويعرض عنه بل أن يكون الجميع على حالة من الصلاح تؤهلهم إلى الحضور غير شك أمام عزة الله الملك السماوي ويرثون ملكه السماوي المعدّ لهم منذ انشاء العالم حيث يتمتعون مع المسيح بالسعادة الأبدية.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثاني عشر

في الطلبة الثالثة

لتكن مشيئتك

الأول لماذا يعقب على الأثر طلبة ملكوت الله بأن تكون ارادته

لما قال الرب المسيح أن ليس كل من يقول لهُ يارب يارب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يصنع ارادة أبي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات (متى ص1ع21) كان كل من يبتغون البلوغ إلى هذا الملك السماوي يلزمهم حتمًا أن يطلبوا أن تكون ارادته ولهذا السبب قد غقبت هذه الطلبة على الأثر طلبة الملكوت السماوي

(656)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني بأي طريق نصل إلى فهم هذه الطلبة فهمًا صحيحًا

يجب على الراعاة ان يبنيوا ما ألم النوع البشري من التعاسة والأكدار بسبب الخطيئة الأصلية كي يعقل المؤمنون شدة احتياجنا إلى ما نلتمسه بهذه الصلاة وعظم ما نناله من المواهب الخلاصية باجابة التماسنا

الثالث ما الشرور التي أحاقت النوع البشري بخطية أبوينا الأولين

أن الله من البدء فطر في المخلوقات ميلاً يدفع كلاً منها إلى خيره الخاص كي تتوق وتصبو من طبعها إلى الغاية لا تحول عن خطتها الاَّ بما يعترفها من الحواجز الخارجة وكانت هذه القوة من البدء الانسان لالتماس وجه الله أبيهِ وولي سعادته في أعلى درجة من الكمال والفاعلية لأنه كان مالكًا زمام الصواب وأصالة الرأي فبقية الطبائع الغير الناطقة قد حافظت على تلك المحبة التي فُطرت عليها ولم تزل ولا تزال على هذه الحال الحسنة كما خلقت من البدء. أما النوع البشري التعيس فلم يثبت على منهج سيره الأول لأنه لم يفقد خيرات البر الأصلي فقط التي زادها الله لهُ فوق مقتضى طبعه وزانه بها أجمل زينة بل أيضًا قد ضعضع في قلبه ما فُطر عليهِ من عزم الفضيلة والرغبة الى ممارستها وفي هذا الصدد قال النبي داود: قد ارتدوا جميعهم معًا وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد(مزمور52ع4) لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته (تكوين ص8ع21) ومن ثم نرى أن ما من أحد يصبو من تلقاء نفسه إلى ما فيهِ خلاصه بل أن الجميع ميالون إلى الشر وشهواتهم القبيحة لا تحصى كما قال المجمع التريدنتيني

(657)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المقدس في الجلسة الخامسة في صدد الخطية الأصلية لأن الناس ما ئلون وصابون برغبة مضطرمة إلى الغضب والبغضة والكبرياء والطمع إلى كل نوع من الشرور.

الرابع أن الانسان ولو كان غريقًا في لجة الشقاء مع ذلك يجهل ما هو عليهِ من الحال

أن أعظم شقاء النوع البشري هو أنه وأن كنا متقلبين على الداوم في هذه الشرورو مع ذلك كثير منها لا يستبين لنا شرًا ذلك دليل بين على تفاقم شقاء الناس مع ذلك كثير اذا اعمتهم الشهوات القبيحة لم يعودوا يرون أن أكثر ما يتوهمونه يجدي خلاصًا ياتي علمهم بالوبال لا بل أنهم يسرعون متهورين في أثر الموبقات كأنهم ساعون في طلب خير متشوق اليه وينكفون عما كان خيرًا وصلاًا كأنه شر وبيل. فالله يمقت مذهبهم هذا الساقط وحكمهم الفاسد بقولهِ: ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا الجاعلين الظلمة نورًا والنور ظلمة الجاعلين المرّ حلوًا والحلو مرًّا (اشعيا ص5ع20).

الخامس كيف تضع الأسفار تعستنا هذه نصب عيوننا

أن الكتاب المقدس يضع نصب عيوننا تعستنا وشقانا بتشبيهِ ايانا بمن فقدوا الذوق السليم كما ورد في نبوة اشعيا لا تشرب الخمر على الغناء فما أمرّ المسكر على شاربيه (ص24ع9) فلأجل ذلك يمتنعون عن الطعام المري ويتوقون غلى ضده ويمثلنا أيضًا بالمرضى فكما أن هؤلاء لا يستطيعون سبيلاً إلى أن يعلموا أعمال الناس المعافين

(658)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الأصحاء إن لم ينقهوا من دائهم هكذا نحن لا نقدر أن نعمل أعمالاً ترضي الله بدون مدد النعمة الالهية

السادس في عظم ضعف البشر وقصورهم عن عمل الصلاح

وهم في حالة الطبيعة المفسودة فلو تخلى عنا مدد النعمة وتركنا في حالة الطبيعة المفسودة وأقدمنا على أعمال صالحة فلا ندرك منها الاَّ القليل وما ندركه لا يعد شيئًا في سبيل البلوغ إلى السعادة السماوية ومن المحقق أنه محبة الله والعبادة لهُ كما ينبغي لأمر عظيم سامٍ يفوق قوانا الطبيعية فلا نقدر ان نتوصل اليه نحن مطروحون على الأرض ما لم تنهضنا وتساعدنا النعمة الالهية.

السابع أننا نحن في الأمور الالهية تشبه الأطفال

أن هذا التشبيه هو غاية في المطابقة يعبر عن تعاسة النوع البشري الذي يقال فيهِ أنه شبيه بالصغار الذين تركوا وشانهم يتقبلون كل متقل عن تغفل وجهالة وقلنا أننا شبه الصغار وأننا اغراء لأن الله سبحانه اذا أخلانا من ممده أفحشنا في الأقاويل السخيفة والأفعال الباطلة فلذلك تقرّعنا الحكمة بقولها: إلى متى أيها الأغرار تحبون الغرارة والساخرون يبتغون السخرية والجهال يبغضون العلم (1مثال ص1ع22) وبهذا المعنى ينصحنا الرسول المعظم بقوله: أيها الأخوة لا تكونوا أطفالاً في أذهانكم بل كونوا أطفالاً في الشر (1قور ص14ع20) فلا غرواننا ننقلب في الجهل والأباطيل أكثر من الصغار القاصرين كثيرًا عن الحكمة البشرية لأن هؤلاء سيدركونها في أوانها

(659)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أما نحن فلا نستطيع سبيلاً إلى أن نتوصل إلى الحكمة الالهية اللازمة للخلاص الا بمدد الله خالقنا. فإذا لم يبادر الله إلى معونتنا لا شك في أننا ننبذ جانبًا ما كان حقًا وصلاحً ونتهور في دركات الهلاك باختيارنا

الثامن ما يقدم من العلاج بهذه الطلبة لمثل هذه الشرور الفظيعة

من يبدد بعونه تعالى ظلام الجهل من عقلهِ وينظر تعاسة البشر هذه ويتسفيق من السبات ويشعر بسنة الأعضاء وشهوات الحس المضادة الروح كما قرر الرسول المعظم (رومة ص7ع23) ويبصر ميل طبيعتنا إلى الشر ويرذلهُ لا بد من أنه يشمر عن ساعد الاجتهاد في طلب العلاج لهذا الداء المستولي علينا من فساد طبيعتنا ويتخذ تلك القاعدة الخلاصية التي يجب على المسيحي أن يرتب ويوفق سيرته عليها. فهذا اذن ما نطلبه حين نصلي لله قائلين فلتكن مشيئتك لأننا حين نبذنا طاعة الله وخالقنا ارادته وزجينا نفسنا في عباب هذا الشقاء لم يقدم لنا الله الاَّ دواءَ واحدًا لمعالجة هذه الشرور الفظيعة وهو أن نعيش حسب ارادته تعالى التي زريناها بالخطية وننسق أفكارنا وأعمالنا جميعها على قياس هذا القانون: فلنبتهل لله قائلين لتكن مشيئتك كي نستطيع أن نظفر بهذا المرغوب.

التاسع ينبغي على الأبرار أيضًا القائمين على طاعة الله أن يصلوا هذه الصلاة

نعم يجب أن نطلب هذا الطلب من صميم الفواد أولئك الذين قد ملك الله في قلوبهم واستناروا بأشعة النور الالهي وهم خاضعون

(660)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لمشيئتهِ تعالى بمدد النعمة الالهية فإن هؤلاء ولو كانوا على هذه الحالة من الترتيب والصلاح مع ذلك لهم ما يحاربهم من الشهوات بسبب ما غرس في حواس البشر من الميل إلى الشر حتى ولو كنا على ما ذكر فلا نزال على خطر عظيم من قبل ذواتنا لئلا تسبينا وتغرينا الشهوات التي تحارب في أعضائنا فنعرج ثانيةً عن سبيل الخلاص. وقد حذرنا المسيح الرب من هذا الخطر بقولهِ: اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في التجارب. الروح مستعدة أما الجسد فضعيف (متى ص26ع41).

العاشر أن الشهوة لا تزال متوقدة في الذين تبرروا وما من أحد يستطيع سبيلاً إلى اطفاء نارها

ليس في قدرة الانسان ولا في استطاعة من تبرر بالنعمة أن يقمع الآم الجسد وأمياله الردية حتى لا يعود يشعر بوثباتها عليهِ لأن نعمة الله تشفي نفوس الذين تبرروا لا أجسادهم بدليل ما كتبه رسول الأمم: فإني أعلم أن الخير لا يسكن فيَّ أي في جسدي(رومة ص7ع18) لأن الانسان الأول حالما فقد البر الأصلي الذي كان بمنزلة لجام يسود بهِ الشهوات ويضبطها كأنها ملجومة في قبضة يده لم يعد فيما بعد قادرًا على أن يوقفها على حدودها بحيث لا تعود تشتهي ما يضاد العقل ولهذا كتب رسول الأمم أن الخطية أي منيع الخطية ساكن في جسد الانسان كي نفهم أنهُ ساكن لا إلى زمن كضيف ينزل عندنا ثم يرتحل بل انما هو مستوطن في جسدنا طالما نحن في قيد الحياة كأنه في منزلة فلما كان الأعداء الداخلين يصلون لنا نار الحرب على الدوام وهم

(661)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سكان أجسادنا علمنا بدون أشكال أنه ينبغي علينا أن نلجأ إلى عون الله القدير ونطلب منه تعالى أن تكون مشيئته فينا ويجب أن نجتهد في أن يطلع المؤمنون على ما لهذه الطلبة من شديد القوة

الحادي عشر كيف نفهم مشية الله في هذه الطلبة

أننا قد أعرضنا في هذا المحل عن ذكر أشياء كثيرة يحاور فيها العلماء اللاهوتيون محاورةً وسبعة ومفيدة على ارادة الله فنقول: بفهم بالارادة هنا ما يسمونه عادة ارادة الاشارة أي ما يأمرنا الله بعمله أو يحذّرنا وينهانا عن فعلهِ وعليهِ يدخل في هذا المحل تحت الارادة جميع ما يقدم لنا لأجل الحصول على السعادة الأبدية سواء أختص بالايمان أو بالأداب ثم كل ما أمرنا بهِ ربنا يسوع المسيح أو نهانا عنه رأسًا أو على يد كنيستهِ وفي معنى هذه الارادة كتب رسول الامم قائلاً: لا تكونوا ناقضي الرأي بل افهموا ما مشيئة الله الصالحة الكاملة(أفسس ص5ع17).   
الثاني عشر على ما تنطوي هذه الطلبة الثالثة من المعاني

إننا حين نصلي لله أن تكون مشيئة تطلب أولاً وبدءًا من الأب السماوي أن يخولنا قدرة على أن نطيع أوامره الالهية ونعبده بالقداسة والبر جميع أيام حياتنا (لوقا ص1ع54و55) وأن نعمل جميع أعمالنا تلبيةً لإشارة وارادتهِ وإن نؤدي لهُ مواجب الاكرام والاحتفاء وفقًا لما تعلمناه الأسفار الالهية وأن نتمم بمدده وارشاده باقي ما يليق عمله بأولئك الذين ليسوا من دم ولا من هوى لحم ولا من مشيئة رجل لكن من الله ولدوا (يوحنا ص1ع13) على مثال المسيح الرب أن تلوذ بهِ تعالى كاكا

(662)   
ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ   
الذي وضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت الصليب (فيلبي ص2ع8) وأن نكون مستعدين أن نتحمل كل مكروه ولا نخالف مشيئة بأدنى شئ.

الثالث عشر من أنعم عليهم خاصةً أن يضطرموا بنا الوجد والاجتهاد لتلك الأشياء التي تطلب هنا

ما من أحد يضطرم بالشوق والمحبة لهذه الطلبة الا من أعطي أن يبصر ويعقل عظمة مقام الذين يطيعون الله لأنه يرى أن عبادة الله وطاعته هما بالحقيقة نفس الملك كما قال القديس برنردوس في مقالته 3 على القديس اندراوس: أن من يعبد الله يملك وقال الرب: كل من يفعل ارادة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي متى ص12ع50 أي أني مرتبط معه بجميع ربط المحبة والاعزاز. فما من قديس من القديسين الا طلب من الله من صميم فؤاده موهبة هذه الطلبة الخصوصية بل أن الجميع طلبوا هذه الطلبة الفاخرة على أنواع شتى ومن جملتهم سمعنا داود النبي العجيب الفائق بالدعة يطلب هذه الموهبة على أنواع مختلفة تارة يقول: يا ليت طرقي تهيأ لحفظ رسومك   
(مزمور118ع5) وتارة: اسلكني في سبيل وصاياك فإن فيها هواي (ع35) وطورًا: ثبت خطواتي في أقوالك ولا تسلط عليَّ من الاثم شيئًا (ع133) وحينًا: فهمني فا تعلم وصاياك (73) وآخر: علمني أحكامك (ع108) وآخر: أنا عبدك فهمني فاعرف شهاداتك (ع135) وكثيرًا ما تداول هذه الطلبة بعبارة أخرى. فينبغي على الرعاة أن يوردوا على

(663)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مسامع المؤمنين هذه الآيات الكريمة ويشرحوها لهم شرحًا مدققًا كي يتدبر الجميع ما في هذه الطلبة من القوة والمعاني الخلاصية.

الرابع عشر وعلى ما نستدل أيضًا من تلك الطلبة

ثم حينما نصلي قائلين: فلتكن مشيئتك نعبّر عن مقتنا أعمال الجسد التي كتب فيها الأناء المصطفى قائلاً: وأعمال الجسد واضحة وهي الزنا والنجاسة والقهر وعبادة الأوثان والسحر والعداوات والخصام والغيرة والمفاضيات والمنازعات والمشاقات والبدع والمحاسدات والقتل والسكر والقصوف وما يشبه ذلك (غلاطية ص5ع19و20) وقال أيضًا: اذا عشتم حسب الجسد تموتون. ثم نطلب من الله بالاَّ يسمح أن نفعل ما تغرينا بهِ حواسنا وتقودنا اليه شهواتنا وتطوّحنا فيهِ طبيعتنا من قبل ضعفها بل أن يقوّم ارادتنا ويوقفها إلى عمل ارادته أما الذين يتمرغون في اللذات البدنية ومن رسخوا كل اهتمامهم وفكرهم في الأمور الدينوية فهم بعيدون بمراحل عن مشيئتهِ تعالى لأنهم يحملون على جناح الشهوة متورين في دركات الحصول على ما يبتغونهُ ويجعلون سعادتهم في ثمرة تلك الشهوة القبيحة حتى أنهم يعدون سعيدًا من ينال كل ما يشتهيه. أما نحن فنطلب من الله كما قال رسول الأمم الاَّ نهتم بأجسادنا لقضاء شهواتنا (رومة ص13ع14) بل أن تكون مشيئته

الخامس عشر خير لنا أن نرغب ما يريده الله لا ما نبتغيه نحن

لا يسهل لدينا أن ننثني إلى أن نطلب منه تعالى الاَّ يحمينا إلى ما نشتهي لأن الأقدام على هذه الطلبة دونه خرط القتاد أننا اذا

(664)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

طلبنا ذلك نستبين على نوع ما أننا نبغض ذواتنا ثم أن العاكفين على شهوات الجسد ينسبوننا إلى الجهل أما نحن فنقبل بطبية القلب والخاطر أن ندعي جهالاً لأجل المسيح لأنه قال عزّ وجلّ: من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه (متى ص16ع20) لا سيما أننا نعلم أنه خير لنا أن نبتغي ما كان صوابًا وبرًا مما أن نحصل على ما يغاير الصواب والفضيلة وشرائع الله والحق يقال أن من يحظى بما يبتغيه من باب التغفل وبنزقة الشهوة هو دون من ينال ما يبتغيه من باب الفضيلة والاستقامة

السادس عشر لا ينبغي ان نلتمس من الله أيضًا ما ليس لهُ شكل التقوى

أننا لا نطلب فقط الا يمنحنا الله ما نبتغيه من تلقاء ذاتنا متى نحقق أن رغبتنا مفسودة بل أيضًا الا نعطي ما نلتمسه أحيانًا باغراء ابليس الذي يتزياء بشكل ملاك النور وقد كان يستبين هامة الرسل متقدًا بنار غيرة مستقيمة ذات تقوى حين كان بمانعِ السيد المسيح عن المضي إلى اورشليم ليقبل الآلام والموت مع ذلك قد ونبّه الرب تونيبًا شديدًا لأنه كان مترسلاً إلى هذه الممانعة بأميال بشرية لا بدواعٍ اليهة ليت شعري هل من دليل حب أعظم لربنا يسوع المسيح من دليل حب ذينك الرسولين القديسين يعقوب ويوحنا في احتدامهما غيظًا على أهل السامرة الذين لم يقبلوا معلمها نزيلاً عندهم وطلبهما أن يحدر نارًا من السماء فتأَكلهم. أما للمسيح الرب فالتفت اليهم وزجرهم قائلاً: لستما تعلمان من أي روح انتما فإن ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها (لوقا ص9ع54وما يليه)

(665)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السابع عشر أن طلبنا ما نبتغيه لأجل حفظ حياتنا ينبغي أن يكون مقيًدًا بشرط أن اراد الله

ليس ينبغي أن نصليّ لله أن تكون ارادته متى كان ما نبتغيه شرًا أو شبه الشر فقط بل أيضًا متى كان المطلوب في الواقع ليس بشر كما لو اتبعت الارادة ذاك الميل الأول الطبيعي في أن نشتهي ما يحفظ صحتنا وتجتنب ما يضادها فلذا متى بلغنا إلى أن نطلب شيئًا من هذا النوع ينبغي أن تقول حينئذٍ من صميم فوأدنا: لتكن مشيئتك: فنقتدي بالمسيح الرب نفسه الذي قبلنا منه الخلاص ومنهاجه فإنه لما كان مرتعدًأ فرقًا من الموت والعذاب بحسب الطبيعة البشرية مع ذلك في معامع تلك الأوجاع المبرّحة طابق ارادة الله أبيه قائلاً ليس كمشيتي بل كمشيئتك (لوقا ص22ع42).

الثامن عشر لما كنا غير قادرين أن نتجنب الخطية بدون مدد الله وجب علينا ان نلتمسه بهذه الطلبة

أن النوع البشري قد انفسد شر فساد حتى أن الذين قدروا على قمع شهواتهم وقيدوها تحت ارادة الله مع ذلك لا يستطيعون سبيلاً إلى اجتناب الخطية بدون مدد العلي الذي بهِ ننجو من الشر نسير في سبل الخير. فعلينا اذن أن نبادر إلى هذه الصلاة ونطلب منه تعالى أن يكمل ما ابتداهُ فينا إذن أن يكبح فينا جموح الشهوات وأن يقيد رغباتنا وأشواقنا تحت طاعة الصواب وبالنتيجة أن يجعلنا بكليتنا على أتم المطابقة لارادته. ونصلي أيضًا أن جميع البشر في أربعة أقطار المسكونة

(666)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

يقبلون إلى معرفة ارادة الله (1تيمو ص2ع4) وأن السر الالهي المحجوب منذ الدهور والأجيال يعرف ويُعلن عند الجميع (قولوسي ص1ع26).

كما في السماء كذلك على الأرض

التاسع عشر ما المراد بهذا الختام: كما في السماء كذلك على الأرض ثم نطلب وجهًا وقرارًا لهذه الطاعة أي أن تنسق على ذاك الدستور الذي يحفظه في السماء الملائكة الطوباويون وبراعية باقي أجواق الا نفس السماوية فكما أن هؤلاء يطيعون الله من تلقاء خاطرهم وبما لا مزيد عليهِ من الهنا والنعيم هكذا نحن نطيع ارادته تعالى بكل طبية القلب والخاطر كما يشاء هو نفسه ويريد.

العشرون يجب علينا أن نطيع الله لا طمعًا بالأجر بل لمجرد محبتهِ

أن الله سبحانه يقتضي منا في عبادتنا اياه أن نحبه محبة عظمى حتى أننا ولو انقطعنا إلى خدمته برجاء الثواب السماوي مع ذلك نتوقعه بمجرد أنه تعالى أراد أن ندخل في ميراث هذا الرجا. ولهذا كان رجاونا كله مستندًا إلى تلك المحبة لله جعل أجرة محبتنا لهُ السعادة الأبدية (طالع الكتاب القديس برنردوس في محبة الله في أواسطه) لأن من الناس من يخدمون غيرهم من باب المحبة غير انهم مع ذلك يقصدون أجرة من الذي يحبونه ومنهم أيضًا من يتحركون للخدمة من باب المحبة لا غير فيصرفون جهدهم وطاقتهم في الخدمة بدون أن ينتظروا شيئًا من النفع سوى صلاح من يخدمونه وفضيلته التي بافتكارهم وانشداههم

(667)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بها يعدون ذواتهم سعداء على كونهم يقدرون على القيام بخدمته

الحادي والعشرون في شروحات أخر لهذا الختام (كما في السماء كذلك على الأرض)

أن هذا الختام: كما في السماء كذلك على الأرض يتاول أيضًا بهذا المعنى وهو أنه من الواجب علينا أن نبذل أعظم جهدنا كما تقدم القول في أن نطيعه تعالى كما تطيعه الأوراح الطوباوية الذين يسبحونه في قضائهم وظيفة الطاعة السامية كما يشير النبي داود إلى ذلك بقوله. باركوا الرب ياجميع جنوده يا خدامه العاملين مرضاته (مزمور102ع21) فذهب القديس كيريانوس إلى أن المراد بقولهِ: كما في السماء: الأخيار والأنقياء: وبقوله على الأرض الأشرار والأثمة ونحن أيضًا نسلم بهذا الرأي: أي أن المفهوم بالسماء الروح وعلى الأرض الجسد فتحرير المعنى أننا نطلب أن الجميع من ملائكة وبشر والمخلوقات كافة يطيعون ارادة الله في كل شئ.

الثاني والعشرون كيف تتضمن هذه الطلبة أيضًا أفعال الشكر

أن هذه الطلبة تتضمن ايضًا فعل الشكر لأننا نكرم مشية الله القدوسة وبأعظم الفرح نيجل جميع أعمالها بالتسابيح والتهاليل اذ نعلم على اليقين أنها صنعت كل شئ حسنًا. وحيث من المحقق أن الله على كل شئ قدير ينتج لا محالة أننا نعقل أنه خلق كل شئ باشارة أمره واذ نعترف أنه هو الخير الأعظم فمن المحال أن يكون فعل من افعاله غير صالح لأننا نعترف أنه هو ذاته يوزع خيريته على جميع مخلوقاتهِ

(668)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لأننا وأن لم ندرك في جميع المخلوقات قصده الالهي فيلزمنا مع ذلك أن ننبذ كل سبب شك وتردد والتباس ونهتف مع رسول الأمم قائلين: بالعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء (رومة ص11ع33) ولأجل ذلك أيضًا ينبغي أن نكرم مشيئة الله ونشكرها على أنها أهلتنا إلى نوره السماوي وأنقذتنا من سلطان الظلمة وجاءت بنا إلى ملكوت أبناء محبتهِ (قولسي ص1ع13)

الثالث والعشرون ماذا ينبغي أن نتأمله في هذه الطلبة

يجب أن نبين في هذا المحل الأخير ما يختص بتأمل هذه الطلبة وهو يعود إلى ما قلناه في البداية من أن الشعب المؤمن يلتزم أن يتواضع ويتذلل في تلاوته هذه الطبة متفكرًا في قوة الشهوة المفطورة في طبيعته المخالفة ارادته تعالى وموقنًا أن جميع الطبائع تفضله فير وظيفتها اذ قد كتب: كل البرايا عبيد لك (مزمور118ع91) ولا سيما أنه ضعيف لا يستطيع أن يأتي بعمل برضى الله ولا أن يفتكر فكرًا بدون مدد العليّ. (يوحنا ص16ع6) فلا ظاحلى ولا أجمل كما قلنا من أن نعبده تعالى ونقضي حياتنا في حفظ شرائعه ووصاياه. ليت شعري هل من امر أشهى والذّ للمسيحي من أن يسير في طرق الرب (مزمور118ع1) ولا يفتكر شيئًا في قلبهِ ولا يفعل شيئًا تاباه المشيئة الالهية فلكي يشتد تمسكًا في هذا المنهج ويلزم هذا الدستور باجتهاد يقتضي أن بطالع في الأسفار الالهية أخبار أولئك الناس الذين حيث لم يعتمدوا مشيئتهِ تعالى في أعمالهم وتصرفاتهم انقلب عليهم كل شئ شر منقلب

(669)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الرابع والعشرون ما أعظم ما نناله في تأمل هذه الطلبة من الراحة لقضاء حياتنا بالسكينة والاطمئنان

ينبغي أن نوعز إلى المؤمنين أن يرتاحوا إلى ارادته تعالى على وجه البساطة والاطلاق ويحتمل كل انسان بالصبر الجميل ماهو عليهِ من الحال التي يراها دون مقتضى مقامه ودرجته ويستيسر كما يحق للدعوة التي دُعي اليها فإذا ضايقه عسر اليد وأضنكته أمراض الجسم واصابته الاضطهادات وغير ذلك من الكوراث والملمات فليتقن تيقنًا قطعيًا ما من شئ بعيبنا مما ذكر بدون ارادته تعالى العلة العظمى للأشياء كلها ولهذا ينبغي أن لا تبالغ في التكدر من حلول المصائب بل نتحملها بالشهامة والصبر ولتكن على لساننا كل حين هذه الطلبة: فلتكن ارادة الرب وكلام أيوب الصديق: كما حسن عند الرب هكذا صار فليكن اسمه مباركًا (أيوب ص1ع21).

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(670)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ.

الفصل الثالث عشر

في الطلبة الرابعة

أعطنا خبزنا كفافنا كل يوم

الاول ما روعي من النظام في هذه الصلوة الربية

ان الطلبة الرابعة وما يليها التي بها نطلب الخصوص والتفصيل اسعافات النفس والجسد ترجع ألى الطلبات السابقة لأن النظام في الصلاة الربية قائِم في أن طلبة الأشياء الالهية تتقدم على طلبة الأشياء النتعلقة بالجسد وبحفظ هذه الحياة فكما ان الناس يرجعون إلى الله بما أنه غايتهم القصوى هكذا خيرات الحياة البشرية تعود إلى الله بهذه الطريقة نفسها.

الثاني لماذا يجوز لنا ان نبتغي ونطلب الخيرات الحياة البشرية

يجوز لنا أن نبتغي ونطلب خيرات هذه الحياة وفقًا للترتيب الالهي أو لأننا نحتاج إلى مساعدتها لتنال الخيرات الأبدية ونحصل بامدادها على الغاية المقصودة المتضمنة في ملك الأب السماوي ومجدهِ وفي حفظ الوصايا الالهية التي هي كما لا يخفانا مشية الله ولهذا يقتضي أن نوّجه كل قوة هذه الوصية وعلتها إلى الله تعالى ومجده.

الثالث لأية غاية وبأية طريقة ينبغي أن نطلب الخيرات الزمنية

يلزم الرعاة من باب وظيفة أن يبلغوا محاضر المؤمنين في وعظهم

(671)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أنه يلزم في طلب الأشياء النتعلقة باستعمال الأمور البشرية وفائدتها أن نوجه قصدنا واجتهادنا إلى تتميم أمره تعالى وان لا نعرج عنه بشئ من سائر الجهات لأن الرسول المعظم كتب في هذا الصدد قائلاً: لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي (رومة ص8ع26) فمن هذا القبيل كثيرًا ما يقع من الخطآ في طلب الأشياء الأرضية الزائلة فإذن يلزمنا أن نطلب هذه الخيرات كما يجب لئلا اذا أسأنا الطلب نسمع هذا الجواب من الرب: لا تدرون ما تطلبون (متى ص20ع82). أما العلامة الأكيدة لتمييز الطلب الصحيح المقبول من الطلب الفاسد المرذول فهي قصد الطالب ونيته فإذا طلب أحد الأشياء الدنيوية بقصد أن يعتبرها خيرات محضًا ويرتاح اليها كأنها غايته المرغوبة ولا يطلب شيئًا سواها فلا شك أنهُ لا يصلي كما يجب. قال القديس اغوسطينوس في الفصل 16 من كتابه ع2 على خطاب الرب في جبل: لا نطلب هذه الخيرات الزمنية كأنها خيراتنا بل لكونها حاجاتنا ثم الرسول المعظم كتب إلى أهل قورنتية يعلمهم أن جميع الأشياء المتعلقة بلوازم المعيشة ينبغي أن تأول إلى مجده تعالى اذ قال: فإذا أكلتم أو شربتم أو علمتم شيئًا فاعلموا كل شئ لمجد الله (ص10ع31)

الرابع في أن الانسان كان رائعًأ وهو في البر الأصلي في بحبوحة الخيرات والمنافع

ينبغي على الرعاة يذكروا لمؤمنين وفرة ما تحتاج اليهِ من الأشياء الخارجة لأجل معيشتنا وحفظ حياتنا كي ينظروا ويستوعبوا

(672)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ما لهذه الطلبة من اللزوم والعازة فيدركون ذلك أحسن ادراك اذا قابلنا ما كان لازمًا لأبوينا الأولين للقيام باود معيشتهم ما لزم فيما بعد لباقي البشر لأن الانسان الأول مع رتوعهِ في رياض البرّ الأصلي الذي سقط منه بذنبه هو وكامل ذريته لزمه مع ذلك أن يتناول الطعام لانعاش قواه ولكن شتان بين لوازم حياتنا. لأنه لم يكن يحتاج إلى ملابس يستر بها جسده ولا إلى بيت يتأوى تحت سقفه ويتقي والحر والبرد ولا إلى أسلحة يدفع بها كيد أعدائهِ ولا إلى أدوية يشفي بها من أمراضهِ ولا إلى أشياء أخرى كثيرة لا غنى لنا نحن عنها لوقاية طبيعتنا الضعيفة الوهنة وكان يكفيهِ قوتًا لحياتهِ الخالدة تلك الثمرة التي كانت تأتيه بها تلك الشجرة السعيدة بدون أدنى تعب لهُ ولنسلهِ ولم يكن متفرغًا من العمل في نعيم الفردوس الأرضي لأن الله وضعه فيهِ ليحرثه على أن عمله لم يكن متبعًا لهُ ولا فيه شئ من الكراهة بل كان يجني على الدوام ثمارًا شهية من حرثه الأشجار السعيدة ولا يحبط لهُ عمل ولا يخيب لهُ أمل

الخامس ما أعظم الشرور التي صدرت عن خطية آدم

أما ذرية آدم فلم تفقد ثمرة شجرة الحياة فقط بل قد سقطت أيضًا تحت هذا الحكم الرهيب: فملعونة الأرض بسببك بمشقة تأكل منها طول أيام حياتك وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكل عشب الصحراء بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض (تكوين ص3ع17وما يليهِ) فقد صارت أنها اذن الأمور كلها عكس ما كان يتوقع حدوثها لو أطاع آدم وصية الله

(673)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وقد انقلبت وتغيرت شر انقلاب وتغيُّر وأشقى المشقات في ذلك هو أن النفقات الوفيرة والأتعاب المضنكة لا تجدي على الغالب أدنى فائدة: وذلك حين تمحل الغلات بآفة في زمان جمعها وحصادها أو تُخنق بنيت الأعشاب حولها في الحقول أو تتلف بضربة من ضربات الجو كالضباب والهواء والبرَد وهكذا بمدة يسيرة كل تعب السنة يعود إلى العدم بحلول آفة من آفات الجوا والأرض. وهذا يتأنى من تفاقم أثامنا التي لأجله يحوّل الله وجهه عنا ولا يبارك أعمال ايدينا بل يستمر ذاك الحكم الهائل الذي قطعه علينا: بعرق جبينك تأكل خبزك(تكوين ص3ع18)

السادس يلتزم البشر بالكد والتعب كي يحصلوا أودهم واذا لم يعضدهم الله ذهب عملهم سدى

فعلى الرعاة اذن أن يكبوا على شرح هذا الباب كي يعرف الشعب المؤمن أن الناس قد هووا في دركات هذا الضيق والتعاسة بذنبهم ويدرك أنهُ يلتزم أن يكد ويتعب في تحصيل ما يحتاج اليه للقيام باوَد نفسه وأن أملنا وكل اجتهادنا يذهبان في حبوط وخيبة اذا لم يبارك الله أعمالنا لأن الرسول المعظم يقول: ليس الفارس اذن بشئ ولا الساقي بل المنمي وهو الله (1قور ص3ع8) وقال داود النبي: إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً تتعب البناؤون (مزمور126ع1).

(674)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السابع ينبغي أن نبتهل اليه تعالى كي يجود علينا بما يحتاج اليه كما يفعل بسخاء

على الرعاة اذن أن يعلموا المؤمنين أنَّ أشياء كثيرة اذا فاتتنا فقدنا الحياة او نقضيها متجرعين أكواب الكدر والكرب فإذا عرف الشعب المسيحي احتياجه إلى هذه الأشياء وتحقق ضعف الطبيعة بادر إلى الأب السماوي يطلب منه متوسلاً أن يمنحه الخيرات الأرضية والسماوية مقتفيًا بذلك أثر الابن الشاطر الذي لما ابتداء يحتاج وهو في كورة بعيدة وليس من يعطيه الخروب مأكلاً ليسد جوعه رجع إلى ذاته وعقل أنه لا يجد علاجًا لما كان يضينه من الشرور الاّ عند أبيه (لوقا ص15ع16وما يليهِ) هكذا المؤمنون يتقدمون إلى الصلاة بكل ثقة ويتذكرون جودة الله عالمين أن أذانه الأبوية صاغية على الدوام لسماع طلبات أبنائها لأنها لما تغرينا بطلب خبزنا تعدنا بأنها تُعطي بسخاء وافر من يطلبون كما يجب واذ يعلمنا الله كيف نطلب بحثنا على الطلب واذ بحثنا يستهمنا بعدنا واذ يعدنا يدخلنا في رجاء النوال الوثيق.

الثامن ما المفهوم هنا باسم الخبز وما فحوى هذه الطلبة

فإذن غب أن يكون الرعاة قد حركوا قلوب المؤمنين واوعبوها بما ورد من التعليم يبادرون إلى تبيين ما نلتمسه بهذه الطلبة وأولاً معنى الخبز الذي نطلبه. فليعلم اذن أن الخبز يشير الأسفار الالهية إلى أشياء كثيرة ولكن إلى شيئين بوجه الخصوص أولهما إلى

(675)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

كل ما نستعلمه من القوت وباقي الأشياء لحفظ الجسد والحياة وثانيهما إلى كل ما منحناه الله لأجل الروح وحياة النفس والخلاص فبهذه الطلبة اذن نلتمس ما نحتاجه من الاسعاف في هذه الحياة التي نقضيها على الأرض كما ذهب الأباء القديسيون باتفاق الكلمة كالقديس كبريانوس في كتابهِ على الصلاة الربية والقديس باسيليوس في كتاب قوانينهِ المختصرة.

التاسع يتبين أنهُ يجوز لنا أن نلتمس من الله الخيرات الزمنية

لا ينبغي أن تصغي البتة إلى من يزعمون أنهُ لا يجوز للمسيحيين أن يطلبوا من الله الخيرات الأرضية المختصة بهذه الحياة لأن هذا القول مردود بنصوص كثيرة وردت في الأسفار الالهية للعهدين القديم والجديد فضلاً عن أن الأباء القديسين قد اجمعوا على دحضهِ فإن يعقوب اسرائيل قد نذر للرب وهو يصلي قائلاً: إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سالكه ورزقني خبزًا أكله وثوبًا البسه ورجعت سالمًا إلى بيت أبي يكون الرب لي الهًا وهذا الحجر الذي جعلته نصبًا يكون بيت الله وجيمع ما ترزقينه اعشرّه لك تعشيرًا (تكوين ص28ع20وما يليهِ) ثم سليمان الحكيم كان يطلب في صلاته ما يساعده على القيام باود حياته اذ قال: لا تجعل حظي الفاقة ولا الغنى بل ارزقني من الطعام ما يكفيني (أمثال ص30ع8) كيف لا وقد أوصانا مخلص البشر نفسه أن نطلب تلك الأشياء التي ما من نكبر أنها تختص باستعمال الجسد اذ قال: صلوا

(676)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لئلا يكون هربكم في شتاء أو في سبت (متى ص24ع20) وظاهر في هذا المعنى كلام القديس يعقوب الرسول القائل: هل فيكم مكروب فليصلّ أو مسرور فليرتل (ص5ع13) ثم رسول الأمم كان يخاطب الرومانيين بهذا الكلام: فاسالكم أيها الأخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات إلى الله من أجلي حتى أنجو من الكفرة الذين في اليهودية (ص15ع30و31) فإذن حيث تبين أنهُ يجوز للمؤمنين أن يطلبوا من الله مساعدات الأشياء البشرية وأن المسيح الرب قد سلمنا هذه الصورة الكاملة للصلاة لم يبقّ محل للريب أن هذه الطلبة هي احدى الطلبات السبع من الصلاة الربية.

العاشر ماذا يفهم هنا بالخبز المختص بقوت الجسد

ثم نطلب الخبز اليومي أي لوازم المعيشة لأننا نفهم بالخبز ما يكفي للكسوة والقوت سواء أكان خبزًا أو لحمًا أو سمكًا أو غيره لأننا نسمع اليشع النبي يذكر الخبز في هذا المعنى حين كان يوعز إلى الملك أن يُعطي خبزًا للجنود الأثوريين مع أنهم قد أعطوا أطعمة كثيرة وقرأنا في الانجيل تلمقدس أن المسيح الرب دخل بيت أحد روساء الفريسين ليأكل خبزًا (لوقا ص14ع1) فنرى اذن لفظة خبز تعني ما يختص بالمأكل والمشرب ومن المعلوم أيضًا أن الخبز هنا لا يدل على الأطعمة الوافرة المأنقة ولا على الملابس الفاخرة الكثيرة بل على ما كان لازمًا وبسيطًا من المأكل والملبس كما كتب الأنا المصطفى

(677)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

قائلاً: فاذا كان لنا القوت والكسوة نقتنع بهما (1تيمو ص6ع8) وكما قال سليمان الحكيم: ارزقني من الطعام ما يكفيني (أمثال ص30ع8)

الحادي عشر لماذا لا نطلب هنا خبزًا بوجه البساطة بل خبزنا

تشير أيضًا هذه العبارة خبزنا إلى التعفف والاقتصاد لأننا بقولنا خبزنا نطلب الخبز اللازم لقيام حياتنا لا للترفه ولا نقصد بقولنا خبزنا أننا نحصل عليهِ بعلمنا بدون الله لأن داود النبي يقول: الجميع يرجونك لترزقهم أكلهم في أوانه ترزقهم فليقتطون تبسط يدك فيشبعون خيرًا (مزمور103ع27 وما يليه) وفي محل آخر: اياك تنتظر عيون الجميع فانك أنت الذي ترزقهم طعامهم في حينهِ (مزمور144ع15) بل لأنهُ لازم لنا ونتناوله من الله أبي جميع الخلائق الذي بعنايتهِ الالهية يُعطي البهائِم غذاءها .

الثاني عشر ينبغي أن نكد ونتعب في تحصيل الخبز الذي نريده ان كنا نطلب خبزنا

نسميه أيضًا خبزنا لأننا نكتسبه بحق لا بالظلم والغشر والسرقة لأن ما نجمعه بالحرام ليس لنا بل لغيرنا وكثيرًا ما يعود علينا بالوبال اقتناؤُه أو امتلاكه أو خسارته بالعكس أن الراحة والسعادة العظيمة في أرباح النام الأفاضل الكادين بدليل قول النبي داود: أنهُ ثمرة تعابك تأكل فطوباك والنعمة لك (مزمور127ع2) وقد وعد

(678)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الله بثمرة رآفته مَن يطلبون معاشهم بالتعب الحلال كما ورد في تثنية الاشتراع: ويأمر الرب لك بالبركة في اهرائك وفي جميع ما تمتد اليهِ يدك ويباركك(ص28ع8) ثم نطلب منه تعالى ليس فقط أن يحل لنا استعمال ما اكتسبناه بالحلال وبمعونة رأفته اذ بهذا المعنى يقال حقيقةً أنه لنا بل نلتمس منه أيضًا فهمًا جيدًا كي يمكننا أن نتصرف بحكمة واستقامة بما ربحناه حلالاً.

اليومي (أي كل يوم)

الثالث عشر لماذا تزاد هذه العبارة: كل يوم

قد اضيفت هذه العبارة دلالةً على التعفف والاقتصاد كما قلنا آنفًا لأننا لا نطلب مأكلاً وفيرًا ولذيذًا بل قوتًا يكفي حاجتنا وكي يستحوذ الخجل والخزي بهذه الطلبة على من يشمأزون من المآكل والمشارب المألوفة ويكرهونها ويتطلبون أنواع الأطعمة والخمور اللذيذة الفاخرة ويشجب بهذه العبارة أيضًا أولئك الذين يتهددهم الرب تهديدًا هائلاً: بلسان اشعيا النبي القائل: ويلٌ للذين يصلون بيتًا ببيت ويقرنون حقلاً بحقل حتى لم يدعوا مكانًا. اذن أنتم تسكنون في الأرض وحدكم (ص5ع8)فحقًا أن طمع هؤلاء الناس وشرههم لا يوصف. ففيهم قال الحكيم: البخيل لا يشبع من الفضة (جامعة ص5ع8) وعنهم يعن رسول الأمم بقوله: أن الذين يحبون الغنى يقعون في بلية الشيطان وفخه (1تيمو ص6ع9) ثم أننا نسمي الخبز اليومي لأننا نتناوله ولأجل انعاش مزاجنا الحيوي ويفنى كل يوم بقوة الحرارة الطبيعية. ولنا

(679)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أيضًا برهان آخر على هذا الوصف أي اليومي وهو لأننا نلتزم أن نواظب على طلبه كي نتمكن فينا عادة المحبة لله وعبادته ونوقن ايقانًا قطعيًا بما هو الوقاع أي أن حياتنا وخلاصنا من الله

(أعطنا)

الرابع عشر ما المفهوم بهذه العبارة: أعطنا

كل من يرى ما تحتوي هذه العبارة من الحجج الوفيرة القاطعة اغراء المؤمنين بأن يكرموا ويعبدوا بالورع والقداسة قدرة الله الغير المتناهية الذي بيده كل شئ ويكرهوا تباعي الشيطان الرحيم الكذاب بقوله واعطيك جميع سلطان هذه الممالك مع مجدها لأنه دُفعت اليَّ وأنا أعطيها لمن شاء (لوقا ص4ع6) لأن جميع الخلائق والممالك تُعطي وتحفظ وتنمو بأمر الله وحده.

الخامس عشر كيف يلتزم الأغنياء الدافقة عليهم الخيرات أن ينطقوا في صلاتهم بهذه العبارة: أعطنا

فإن سئل ما حاجة الأغنياء إلى طلب الخبز اليومي في صلاتهم فيما أنهم رائعون في بحبوحة اليسر والغنى نجيب أنهم يحتاجون أن يصلوا على هذا النمط لا لكي يعطوا ما عندهم من وفير الخيرات والثروة بل كيلا يفقدوها ولأجل ذلك ينبغي أن يتعلم الأغنياء كما كتب رسول الأمم: الاّ يستكبروا ولا يتكلموا على الغنى الغير الثابت بل على الله الحي الذي يؤتينا كل شئ بكثرة لنتمتع بهِ (1تيمو ص6ع17) وقد علّل لزوم هذه الطلبة القديس يوحنا فم الذهب

(680)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ في مقالتهِ 40 من تفسيره بشارة متى بقوله: أننا نطلب ليس فقط أن نُعطي القوت بل أيضًا أن الله سبحانه اذا منحناه من يده يجعل في الخبز اليومي قوة تجدينا سلامة وخلاصًا كي يستفيد الجسد من القوت والجسد يخدم النفس.

السادس عشر لمذا نقول أعطنا. لا أعطني

نقول أعطنا بصيغة الجمع لا أعطني بصيغة الفرد لأن من مقتضيات المحبة المسيحية لا أن يهتم كل واحد بذاتهِ فقط بل أن يسعى أيضًا في خير قريبه وأنه في اهتمامه بمنفعتهِ يتذكر أيضًا ما ينفع الآخرين زد على ذلك أن ما يؤتاه أحد من مواهب الله لا يؤتاه كي يستبد بها وحده أو يعيش به التنعم والبذخ بل كي يشرك غيره من ذوي الفاقة فيما يفيض عن حاجته. كما قال القديس توما اللاهوتي في القسم 2 فصل 7 بحث 82 والقديس كبريانوس في كتابه الأول على الصلاة الربية ثم القديس باسيليوس في مقالته 6 في الدلائل المتفرغة والقديس امبروسيوس في مقالته81 في أخرها حيث قال: أن خبز الجياع هو الذي تمسكه أنت عندك وليس العراة هو ما تحفظه عندك وفدى المساكين وحلهم من العسر هو الدراهم التي تطمرها أنت في الأرض فإذن كم ترى أنت من الخير الذي تقدر أن تصنعه ولا تريد.

(681)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(اليوم)

السابع عشر ما المراد من هذه العبارة هنا. اليوم (أي أعطنا اليوم)

تنبئنا هذه اللفظة عن الضعف الشامل جميع البشر لأن مَن يا ترى اذا لم يؤمل أنه يستطيع بفعلهِ وحده أن يعدّ مونة معاشه لزمن طويل لا يثق أنه يحصل على ما قلَّ لوازم يومهِ. نعم لا يثق لأن اللخ سبحانه لم يخولنا هذه الثقة بل أمرنا أن نلتمس منه حتى الطعام اللازم في كل يوم بمفرده. ولنا البرهان القطعي على صحة هذا القول في أننا جميعنا نحتاج الخبز اليومي فينبغي أيضًا على كل منا أن يتلو كان يوم الصلاة الربية هذا ما كان من الكلام على الخبز الذي تتناوله بفمنا فيغذي الجسد ويقيته ويمنحه الله بجودة العجيب جميع البشر مؤمنين وكافرين صالحين وطالحين لأنه يشرق شمسه على الأخيار والأشرار ويسكب غيثه على الأبرار والفجار(متى ص5ع45)

الثامن عشر ماذا ينبغي أن نفهم هنا بالخبز الروحي المتضمن بهذه الطلبة على سبيل الفساحة

بقي الخبز الروحي الذي نلتمسه أيضًا بهذه الطلبة ويعني بهِ جميع ما يطلب في هذه الحياة للروح وخلاص النفس وسلامتها فكما أن الخبز الذي يثبت الجسد كثير الأنواع هكذا الطعام الذي يغذي النفس والروح ليس من نوع واحد لأن كلمة الله هي طعام النفس بدليل قول الحكمة: هلموا كلوا من خبزي واشربوا الخمر التي مزجت (أمثال

(682)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ص9ع5) فإذا حرم الله البشر من سماع هذه الكلمة كما من عادته ان يصنع حين تغيظه بأثامنا يقال أنه يضنك البشر بالجوع. هكذا يقول الرب بلسان النبي عاموص: ستأتي أيام بقوله السيد الرب أرسل فيها الجوع على الأرض لا الجوع إلى الخبز ولا العطش إلى الماب بل إلى استماع كلمة الرب(ص8ع11) فكما أن العالمة الأكيدة لدنو الموت هي عدم القدرة في الانسان على تناول الطعام أو على حفظه في المعدة هكذا الدليل الأكبر على اليأس من الخلاص هو حين لا يطلب الانسان كلمة الله أو اذا وجدت لا يحفطها ويفوه اليهِ تعالى بكلام الكفر هذا: أبعد عنا لا نريد أن نعرف طرقك (أيوب ص21ع14) فينقلب في هذه الحماقة وعي البصيرة أولئك الذين يعرضون عمن تولوا أمورهم الروحية شرعًا أي الأساقفة والكهنة الكاثوليك وينفصلون عن الكنيسة الرومانية منحازين إلى تعليم الأراطقة المفسدين في أرض كلمة الله.

التاسع عشر في الخبز الحق الجوهري الفائق وهو يسوع المسيح

أن المسيح الرب هو الخبز طعام النفس لأنهُ قال عزّ وجلّ عن ذاته: أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء (يوحنا ص6ع41) وفي الحق أن ما من لسان يقدر أن يصف ما يكسبه هذا الخبز من كاسات اللذة والسرور في نفوس الأنقياء لا سيما حين تضنيهم الأكدار ومصائب هذه الدنيا وعندنا اثبات ذلك من مثال جماعة الرسل القديسين الذين روى عنهم الأبركسيس أنهم خرجوا من وجه

(683)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المحفل فرحين بأنهم حسبوا مستـأهلين أن يهانوا لأجل اسم يسوع (ص5ع41) وقد اشحنت كتب اخبار القديسين من مثل هذه النموذجات وقد تكلم الله سبحانه على أفراح الصالحين الباطنة قائلاً: من يغلب أعطيه المن (رؤيا ص2ع17)

العشرون أن المسيح موجود حقيقة في سر الافخارستيا ولهذا يقال فيهِ أنه خبزنا

أن خبزنا على وجه الخصوص هو المسيح الرب نفسه موجود جوهريًا في سر الافخارستيا وقد اعطانا عربون محبته هذا العجيب حين اوشك أن يرجع إلى الأب بقوله: من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيهِ (يوحنا ص6ع56) وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي (متى ص26ع26) فعلى الرعاة النفوس أن يتخذوا ما يجدي الشعب المؤمن فائدة من تلك النصوص التي يعبر كل منها على حدته عن قوة هذا السر وكيفيته ويقال أنه خبزنا لأنه خبز المؤمنين دون غيرهم أي أولئك الذين رحضوا أدران أثامهم بسر التوبة مجمعين بين المحبة والايمان ولا يغفلون عن كونهم أبناء الله فيتناولون هذا السر الالهي ويعبدونه بقدر ما يستطيعون من القداسة والاكرام.

الحادي والعشرون لماذا يقال أن الافخارستيا هي خبزنا اليومي

يقال أنهُ خبزنا اليومي لسببين أولهما لأنه يقدم لله كل يوم بيثن أسرار الكنيسة المقدسة ويمنح لمن يطلبونه بورع وقداسة والثاني لأننا نتناول كل يوم أو يلزمنا بتوكيد أن نعيش كل يوم عيشة تؤّهلنا

(684)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الامكان إلى تناوله باستحقاق. فليسمع من يزعمون الخلاف أنه لا يعني أن نتناول هذا القوت الخلاصي الاَّ في خلال مدات طويلة على ما قالهُ القديس امبروسيوس: أن كان خبزنا اليومي ترى لماذا لا نتناولهُ الاَّ بعد عام. خذه كل يوم لأنهُ ينفعك كل يوم وسر سيرة توهلك إلى تناولهِ كل يوم (أه).

الثاني والعشرون كيف ينبغي أن نتدبر حين نطلب الخبز ولا ننالهُ سريعًا

يجب أن نرشد المؤمنين في هذه الطلبة إلى أن يسلموا أمرهم لله ويطابقوا رغبتهم واراتهم مع ارادتهِ تعالى القدوسة حين يبذلون ما يطلب من العناية والاجتهاد في تحصيل لوازم معيشتهم لأنهُ تعالى يقول: القِ على الرب همك وهو يعولك ولا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد (مزمور54ع21) فاما أن الله يمنح ما يطلب وهكذا يكون ينكره الانسان نال مطلوبهُ واذا لم يمنحهُ فيكون ذلك دليلاً أكيدًا على أن ما ينكره الله على الأنقياء لا يجذبهم خلاصًا ولا فائدة. لأنهُ تعالى يهتم في أمر خلاصنا أكثر مما يهتمون بهِ أنفسهم وللرعاة أن يبينوا لهم الححج التي أوردها في هذا الشأن القديس اغوسطينوس في رسالتهِ إلى احدى النساء التقيات المدعوة بروبا.

الثالث والعشرون ما يأتي لنا أن نتأملهُ هنا

وفي الآخر نقول في فصل هذه الطلبة أن الأغنياء يجب أن يتذكروا أن غناهم وثروتهم من الله وأن يفتكروا لذلك أن الله سبحانه أفاض

(685)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عليهم الخيرات كي يتبرعوا منها على المعوزين. ومما يؤيد هذا القول م كتبه رسول الأمم إلى تلميذه تيموتاوس قائلاً: وصِّ أغنياء هذا الدهر بأن لا يستكبروا ولا يتكلوا على الغنى الغير الثابت بل على الله الحي الذي أعطانا كل شئ بكثرة لنتمتع بهِ وأن يعملوا أعمالاً صالحة ويستغنوا بالأقعال الحسنة ويكونوا سهلين بالعطا والمواساة ويخزنوا لأنفسهم كنزًا صالحًا للدهر العتيد لينالوا الحياة الحقيقية فمن ثم يتيسر للرعاة أن يجدوا هنا بوابًا كثيرة لشرح الوصايا الالهية شرحًا يجدي فائدة وخلاصًا.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(686)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الرابع العاشر

في الطلبة الخامسة   
اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمن أخطا الينا

الأول أن غفران جميع أثامنا صادر عن الآم المسيح

أن الأدلة على قدرته تعالى الغير المتناهية باقترانها مع حكمته وجودته كثيرة إلى حد أننا حيثما نطلق نظرننا وفكرنا نرى ما يعبر لنا نعبيرًأ قطعيًا على قدرته وجودته الفائقين انما ما من شئ يشير لنا إلى محبته العظيمة واحسانهِ العجيب الينا مثل سر الآم يسوع المسيح الذي يقصر كل لسان بشري وملائكي عن استيفاء وصفه وهو السر الذي فاض الينبوع الدائم لرحض ادناس الخطايا ومحوها واياه نبتغي وعليه نعتمد بارشاده تعالى الجواد العميم حين نلتمس منه قائلين: اغفر لنا ذنوبنا.

الثاني ماذا تحتوي هذه الطلبة الخامسة

تحتوي هذه الطلبة خلاصة جميع الخيرات التي فاضت على النوع البشري بيسوع المسيح بدليل ما ورد في اشعيا النبي اذ قال: يكفّر اثم يعقوب وانما ثمرته محو خطيته (ص27ع9) وعبر داود عن ذلك بقولهِ: طوبى للذين غفرن ذنوبهم (مزمور31ع1) ولهذا يلزم أن يبذلوا العناية والاجتهاد في شرح هذه الطلبة اذ نعلم أنها كثيرًا ما

(687)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ تفيدنا تنشيطًا للحصول على الحياة السماوية

الثالث كيف لا نصلي هنا على نفس أسلوب الصلاة الذي في الطلبات السابقة

دخلنا هنا في أسلوب صلاة جديد لأننا لحد الآن قد طلبنا منه تعالى ليس فقط الخيرات الأبدية والروحية بل الخيرات الدنيوية أيضًا المتعلقة بحياتنا في هذا العالم أما الآن فنلتمس منه تعالى أن يدفع عنا شرور النفس والجسد في هذه الحياة والأخرى كما قال القديس توما اللاهوتي في الفصل 9 بحث 85 من القسم الثاني

الرابع ماذا يطلب في من يريد أن ينال غفران خطاياه

حيث يُطلب لنوال ما نلتمسه أن الطلبة تكون مستوفية شرائط صحتها واستقامتها رأينا أن نبين ما يقتضي من الاستعداد لمن يريدون أن يصلوا لله فعلى الرعاة اذن أن يوعزوا إلى الشعب المؤمن أنهُ يلزم من يتقدم إلى الطلب أن يعرف اثمه ثم يندم عليهِ متوجعًا ثم يتحقق أن الله سبحانه من ارادته أن يغفر لمن أخطأوا وتقدموا اليه نادمين خاشعين لئلا اذا تذكروا أثامهم وعرفوها يستولى عليهم ذاك اليأس الذي أفعم قلب قاين ويهوذا الاسخريوطي لمجرّد تصورهم الله منتقمًا قهارًا لا حليمًا أيضًا ورحومًا فإذن ينبغي علينا أن نكون في هذه الطلبة على حالة من التخشع نعرف بها خطايانا ونندم عليها ونهرع لا ئذين بهِ تعالى لا كديانٍ بل كاب نلتمس منه أن يعاملنا لا بعدله بل برحمته

(688)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس بأية طرق يتوصل الانسان إلى معرفة خطاياه

أن التوصل إلى معرفة اثامنا هو من أيسر الأمور اذا صغينا إلى ما يوعز الله نفسه الينا من هذا القبيل في الأسفار المقدسة. فمنه قول داود النبي: قد زاغوا جميعهم وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد (مزمور13ع3) وقال في هذا المعنى سليمان الحكيم: ليس من صديق على الأرض يصنع الخير بغير أن يخطأ (جامعة ص7ع21) ومن قولهُ أيضًا: من يقول أني زكيت قلبي تطهرت من خطيتي (أمثال ص20ع9) ومثله كتب القديس يوحنا الرسول ردعًا للمستكبرين عن رجساتهم: أن قلنا أن ليس فينا خطية فانما نضل أنفسنا وليس الحق فينا (1يو ص1ع8) وفي نبوة ارميا: وقلت أني برية فلذلك قد ارتد عني غضبه بل هانذا أحاكمك على قولك لم أخطأ (ص2ع35) وأن ربنا يسوع المسيح قد اثبت هذه الأقوال التي نطق بها على السنة جميع من ذكرنا برسمهِ هذه الطلبة التي يأمرنا بها بأن نعترف خطايانا وقد حرّم المجمع الميلاويتاني الذي عقد في أفريقيا تأولها بخلاف هذا المعنى اذا قال: كل من يقول أن الكلام الذي نقولهُ في الصلاة الربية: اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا: بقوله الناس القديسون على سبيل التواضع لا على سبيل الحقيقة فليكن محرومًا لأن ترى من يدعو المصلي إلى أن يكذب لا على الناس بل على الرب نفسه بأن يقول بشفتيهِ أن يغفر لهُ ويقول في قلبه أن ليس عليهِ ذنوب تغفر لهُ (أه) وورد ذلك في القانون 9 من المجمع الم1كور ومثله حكم المجمع التريدنتيني فصل 11

(689)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

جلسة 6في التبرير

السادس كيف يتحرك في قلب الانسان غب اطلاعه على خطية التوجع اللازم والندامة الحقة عليها

لا يكفي في معرفة خطايانا اللازمة أن نتذكرها طفيفًا بل لا بد من أن يكون هذا التذكر موجعًا حتى يمس القلب ويخشع النفس ويضرم سعير التواضع ولهذا ينبغي على الرعاة أن يتحرّوا جهدهم في هذه المسئلة كي يذكر معاشر المؤمنين خطاياهم ومعاصيهم لا ذكرًا مجردًا بل مقرونًا بالأسف والتوجع حتى اذا ما بلغ تأثيرهما حواسهم الباطنة يتقدمون إلى الله الأب ملتمسين منه يتذلل أن يقتلع منهم أشواك الاثام ولا يكفي الرعاة أن يعتنوا في أن يجعلوا نصب عيون المؤمنين قباحة زلاتهم بل أيضًا ذلهم وأدناسهم اذ مع كوننا لسنا بشئ سوى فساد ونتانة نتجاسر على أن نهين القوة الالهية التي لا يحاط بها ادراكًا وذاك الجلال الذي يقصر عنه الوصف ولا سيما حال كونه خالقنا وفادينا ومنقذنا ومتفضل علينا بما لا يحصى من أعظم الاحسان والنعم.

السابع كيف نسلم بالخطية ذواتنا إلى عبودية الشيطان

اتسأل كيف لا تدري أننا يتغرينا عن الله الآب الخير الأعظم نتعبد لابليس خزاه الله اشقى تعبد كما شهد ارميا النبي في الاصحاح الثالث من نبوته ولا يمكن أن نقدر قسوته في تسلطهِ على نفوس من نبذوا نير الله الطيب وقطعوا رباطات المحبة الوثيقة التي تعصمنا بالله أبينا ولاذوا بشر الأعداء والدّهم الذي تسميه الأسفار الالهية

(690)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أركون العالم واركون الظلام (يوحنا ص12ع32) وملكًا على جميع أبناء الكبرياء (أيوب ص41ع12) واشعيا يتهف قائلاً: أيها الرب الهنا لقد تولتنا أرباب سواك (ص46ع13)

الثامن ما أكثر ما يتسلط من الشرور على النفس بواسطة الخطية

إنَ كنا لا نأسف على فسخ عهد المحبة مع الله فلنرهب على ما قلّ النكبات والبلايا التي المت بنا بسبب الخطية لأننا انتهكنا حرمة قداسة النفس التي صارت عروسةً للمسيح (ارميا ص2ع2) دنسنا هيكل الرب الذي من يدنسه يهلكه الله (1قور ص3ع17) فالشرور التي تسلطت على الانسان بالخطية لا تحصى وقد جعلها داود النبي وباء اذ قال ليس بجسدي صحة من قبل غضبك ولا لعظامي راحة من قبل خطيتي (مزمور37ع4) ويعرف الضر الصادر عن هذا الجرح من يعترف أن ما من عضوٍ من أعضائه الاَّ أصابهُ وباء الخطية لأن السم الزعاف قد دب إلى عظامه أي أفسد عقله وارادته وهما أقوى قوى نفسه وقد اشارت الأسفار الالهية إلى هذا الوباء الحارف اذ وصفت الخطاة بالعرج (أمثال ص26ع6) وبالصم (اشعيا ص42ع18) وبالخرس (مزمور37ع14) وبالعمي (اشعيا ص42ع8) وبالعطب في جميع أعضائهم أما داود النبي فما عدا ما كان يدركه من غضب الله المحتدم عليهِ بسبب الخطايا لأن الله يحارب الاثمة الذين يغضبونه باثامهم غضبًا لا يدركه عقل ولا نقل (اشعيا ص56ع10) وقال

(691)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ رسول الأمم في هذا المعنى: الشدة والضيق على نفس كل انسان يصنع السوء من اليهود أولاً ثم من اليونانيين (رومية ص2ع9) لأنه ولو عبر فعل الخطية مع ذلك تستمر بدنسها وجريرتها ويتبعها غضب الله كما يتبع الظل الجسد.

التاسع كيف اذا نظرنا الى شقا الخطأة نلتزم أن نبادر إلى التوبة

أن داود النبي لما كان مجروحًا بمناخر الاثم كان ينشط إلى طلب الصفح عن أثامهِ وللرعاة أن يقدموا للمؤمنين نموذج توبتهِ وتعليمهِ من مزموره الخمسين كي يتقدوا بتوجعهِ ويتعلموا منه رجاء الغفران وما أعظم ما يحتوي من الفائدة التعليم الذي نقتبس منه معرفة التوجع على خطايانا فقد عبر عنه الله سبحانه بكلامه على لسان ارميا النبي حين كان يغري شعب اسرائيل على التوبة كي يشعر بالشرور التابعة الخطية. فاعلمي وانظري أن ترككِ الرب الهك شرٌ ومرّ وأن مهابتي ليست فيكِ يقول السيد رب الجنود (ص2ع19) فمن لا يشعرون بهذا التوجع المطلوب لغفران الخطايا فهم ذوو قلوب صخرية كالماس كما وصفهم الأنبياء اشعيا وحزقيال وذكريا كأنهم حجارة صلبة لا يلينها وجع البتة وهم عارون من شعار الحياة أي من حس المعرفة التي تجدي خلاصًا.

العاشر كيف يجب علينا غب معرفتنا الخطية ومقتها أن نتمنطق برجاء نوال الغفران

ينبغي على الرعاة أن يدعوا المؤمنين إلى الرجاء بالحجج الأتية لئلا يأبسوا بشدة ارتعابهم من الخطايا من نيل الصفح والغفران فيوعزون

(692)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

اليهم أن المسيح الرب خوّل كنيسته سلطانًا على ترك الخطايا كما يتبين من قانون الايمان وعلمنا بهذه الطلبة عظم جودتهِ تعالى ورأفته نحو البشر لأنه لو لم يكن مستعدًا ليغفر الخطايا التائبين لما رسم لنا قط صورة هذه الصلاة: اغفر لنا ذنوبنا: ولهذا يلزمنا أن نتأكد ونتحقق أنه يولينا رحمته الأبوية لأنه أمرنا وأوصانا أن نلتمسها منه بهذه الطلبة.

الحادي عشر كيف اذا تبنا يغفر الله لنا

في طي هذه الطلبة يتضمن القول في أنه تعالى مستعد لأن يغفر للتائبين توبةً حقة لأن الله هو منَ نبذنا طاعته واخطأنا اليه وشوشنا نظام حكمته بقدر ما في طاقتنا واغظناه واهناه قولاً وفعلاً وهو هو ذاك الأب العظيم الرافة والوسيع الاحسان الذي يقدر أن يغفر جميع الخطايا ولم بين لنا أنهُ يريد ذلك فقط بل يحث البشر إلى ما يلتمسوا منه الغفران أيضًا وعلمهم كيف يلتمسونه ولهذا ما من ريب أننا نستطيع بعونه تعالى أن نعود إلى صداقته. ولما كانت لبينة على ميل الارادة الالهية إلى غفران مما يزيد فينا الايمان وينعش الرجاء ويضرم سعير المحبة كان نافعًا أن نرصع مقام الكلام هنا بدور النصوص الالهية وبأخبار مشاهير الخطأة الذيت تابوا عن أثامهم الفظيعة وصفح الله لهم وحيث تكلمنا على هذا الموضوع بقدر ما اقتضاه الحال في فاتحة هذه الصلاة وفي القسم عن غفران الخطايا من قانون الايمان يتوفر الرعاة أن يتناولو من هناك ما يرونه موافقًا للمطلوب ويستقوا ما بقي من مناهل الأسفار المقدسة.

(693)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني عشر ماذا ينبغي أن نفهمه في هذه الطلبة بلفظة ذنوبنا وخطايانا

أننا نسلك هنا نفس المسلك الذي اتبعناه في باقي الطلبات كي يتدبر المؤمنون ما المفهوم هنا بالذنوب لئلا يضلوا بالالتباس فيطلبون غير ما ينبغي طلبه. فمعنى الذنوب هنا الدين الذي يرتب علينا لله من قِبل خطايانا خلافًا لما لهُ من الحق علينا فيجب أن نعلم أولاً أننا لا نطلب قطعًا أن يترك لنا ما نلتزم بهِ لهُ من دين المحبة من كل قلبنا ومن نفسنا ومن كل نيتنا لأن وفاء هذا الدين واجب من باب الضرورة للخلاص ولا يدخل ايضًا هنا تحت اسم الدين الطاعة والعبادة والاكرام وغيرها من مثل هذه الفروض بحيث نطلب أننا لا نعود بعد مقيدين بالزام أدائها بل نصلي لله أن ينقذنا من الخطايا لأن القديس لوقا البشير عبر عن الخطايا بالذين لسبب أننا بارتكابها تصير غرمًا لله (ص7ع41) وعرضة للعقوبات المتوجب علينا وفاؤها أما الصبر الجميل وأما بالتكفير وكان من نوع هذا الدين ما ذكره المسيح الرب بلسان النبي داود: فانا الآن أرد ما لم اختطفه (مزمور68ع5) وينبغي علينا أن نفهم هنا من كلام الرب أننا لسنا مديونين فقط ليس لنا قدرة على الوفاء أيضًا لأن الخاطئ لا يستطيع بذاتهِ أن يفي شيئًا البتة.

الثالث عشر حيث لا يقدر الخاطئ من ذاته أن يفي

فمن أين يتيسر لهُ الوفاء الدين المترتب عليهِ بسبب الخطية فلأجل ذلك ينبغي أن نلتجئ إلى رحمة الله الموازية عدله ولتبادر

(694)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

إلى الصلاة وإلى حمى الآم ربنا يسوع المسيح التي بدونها لا يستطيع أحد سبيلاً الى نوال الصفح عن أثامه بل منه صدرت قوة الوفاء عن الخطايا وجرت منها كأنها ينبوع فياض لأن الثمن الذي أداه المسيح على الصليب واشركنا فيهِ بواسطة الأسرار التي تتناولها حقيقة وبرغبة وعبادة هو عظيم إلى حد أنه ينولنا ويكمل لنا ما نلتسمه في هذه الطلبة من غفران خطايانا.

الرابع عشر اننا نصلي هنا لأجل غفران خطايانا المميتة والعرضية

أننا نصلي هنا ليس لأجل غفران زلاتنا الخفيفة فقط بل المميتة أيضًا على أن هذه الصلاة لا تفيدنا غفرانًا لاثامنا الثقيلة ما لم نعترف بسر التوبة فعلاً أو بالشوق الى تناوله كما تقدم فيما مضى.

الخامس عشر أن قولنا هنا اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا يختلف عن قولنا أعطنا خبزنا

نقول هنا ذنوبنا بخلاف ما قلنا فيما مضى خبزنا لأن الله سبحانه يعطيناه بكرمه وجوده أما الخطايا فهي مستقرة فينا ونقترفها باختيارنا وليس لها جوهر الاثم ما لم تكن اختيارية فنحن اذن فعلناها ونعترف بها ويلزمنا أن نطلب من رافته تعالى أن يغفرها لنا فلا نعتذر فيها ولا نعزي علتها إلى أحد كما فعل أبونا آدم وامنا حوا (تكوين ص3ع12و13) بل نحن ندين ذواتنا اذا عرفنا أن نصلي كما صلى داود النبي بقوله: لا تمل قلبي إلى كلام السؤالى الانغماس في جرائِم النفاق (مزمور140ع4)

(695)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس عشر لماذا نطلب بصيغة الجميع قائلين اغفر لنا ذنوبنا

لا نقول اغفر لي بل اغفر لنا لأن عهد المحبة القائِم بين جميع البشر يقتضي من كل منا أن يهتم بخلاص البشر عمومًا بحيث اذا صلينا لأجلنا نصلي أيضًا لأجلهم وقد سلمنا ربنا يسوع المسيح طريقة هذه الصلاة وعادتها ومشى عليها الرسل الكرام في كل حين وعلموا غيرهم تلاوتها وعندنا بينات في العهدين القديم والجديد على اضطرام الاجتهاد والرغبة في الصلاة لأجل القريب لأن موسى كليم الله صلى قائلاً: والأن إن غفرت خطيتهم والاَّ فامحتي من كتابك الذي كتبته (خروج ص32ع32) وقال رسول الأمم: ولقد وددت لو أكون أنا نفسي مبسلاً عن المسيح من أجل اخوتي (رومية ص9ع3)

السابع عشر كيف يجب أن نفهم هذه الكلمات كما تغفر نحن لمن أخطآ الينا

أن لفظة (كما) نفهم على نوعين: أولاً أنها عبارة عن التشبيه والمماثلة أي أننا نطلب من الله أن يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا على مثال ما نحن نغفر الاهانات والشتائِم لأولئك الذين انزلوها فينا. ثم لها أيضًا معنى الشرط وقد جعلها الله ربنا يسوع المسيح بهذا المعنى بقولهِ: إن غفرتم للناس خطاياهم فيغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم وإن لم تغفروا للناس فأبوكم أيضًا لا يغفر لكم زلاتكم (متى ص6ع14) وقد جمعت بين المعنيين في وجوب الغفران نفسه. فإن كنا نريد أن الله يمنحنا غفران خطايانا فيلزمنا نحن من باب الضرورة أن نغفر لمن أخطأ الينا لأنه تعالى يطلب منا أن

(696)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ننسى خطايا قريبنا ونجتهد في أن لا نحبه لأنه يرذل قرابين الذين لم يكونوا في صلح وسلام مع غيرهم (متى ص5ع24)

الثامن يتبين أن الصفح عن اسايا القريب هو مطابق سنن الطبيعة ووصايا المسيح

أن ناموس الطبيعة أيضًا يقضي بان نكون لغيرنا كما نرغب أن يكون غيرنا لنا كل ما تريدون أن يفعله الناس بكم افعلوه أنتم بهم: (متى ص7ع12) وبهذا المعنى قال طوبيا البار لابنهِ: كل شئ تبغض أن يفعله أحد بك فلا تفعله أنت بأحد: أما مَن يطلب من الله أن يصفح لهُ عقاب اثمه ويكمن في قلبه الحق والضغينة على قريبه فهو أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء فلذا ينبغي على من أصابتهم اهانة من غيرهم أن يكونوا متاهبين للصفح كما تقتضي صورة هذه الصلاة وكما يأمرنا الرب في بشارة لوقا قائلاً: اذا أخطأاليك أخوك فوبخه وإن تاب فاغفر لهُ وإن اخطأ اليك سبع مرات في اليوم ورجع اليك سبع مرات قائلاً: أنا تائب فاغفر لهُ (ص7ع3و4) وأمرنا الرب في بشارة متى بان نحب أعدائنا ( متى ص5ع44) وقال الحكيم: اذا جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقهِ (أمثال ص25ع21) وروى هذه الأية نفسها رسول الأمم في رسالتهِ إلى أهل رومية (ص12ع20) ثم أمرنا ربنا له المجد بقوله: اذا قمتم للصلاة اتركوا لمن لكم عليهِ شئ كي يغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم (مرقس ص11ع25)

(697)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التاسع عشر بأية حجج ينبغي أن نعطف قلوب الناس للصفح كما يطلب الله هنا

ما من أمر أكره لدى الانسان بداعي فساد الطبيعة بالخطية الأصلية من أن يصفح لمسيئه. فعليه يجب على رعاة النفوس أن يبذلوا كل جهدهم ودرايتهم في أمالة قلوب المؤمنين إلى اللين والرحمة اللازمة للانسان المسيحي فليكثروا من ايراد نصوص الكتاب المقدس التي بها يامر الله سبحانه بالصفح للأعداء فما عدا ما ذكرنا منها رأينا أن نهديهم إلى ما جاء في سفر الخروج (ص22ع1) وسفر الملوك الأول (مزمور7ع5) ويعظوهم في أن أكبر دليل على أنهم أبناء الله اذا صفحوا عن السيئات واحبوا أعداءهم اذ يتشبهون بالله الاب الذي كما قال رسول الامم: أنه صالح البشر وفداهم من الهلاك الأبدي بموت ابنه وهم أعداؤه الاَّلداء (رومية ص5ع9و11) وليكن ختام هذا الوعظ والوصية ما أمرنا بهِ السيد المسيح أمرًا لا نستطيع أن نخالفه بدون أن نلتحف بالعار وتدركنا شر الأضرار اذ قال: صلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات (ص5ع44و45)

(698)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العشرون كيف العمل مع أولئك الذين لا يقدرون أن يصفحوا من كل قلبهم عمن اسأ اليهم

ينبغي على الرعاة هنا أن يتصرفوا بحكمة غير مالوفة لئلا يأيس أحد من الخلاص بعد أن يطلع على ما يحول دون الصفح من الصعوبة وعلى حكم الوصية المبرم لأن من الناس مَن اذا عقلوا ما يتوجب عليهم من دفن الأسية في قبر النسيان باختيارهم ومن محبة أولئك الذين اسأوا اليهم فيرغبون ذلك ويعلمون بهِ بحسب مكنتهم غير أنهم يشعرون بأنهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أن يمحوا من قلبهم ذكر ما أنزل فيهم من الاهانات اذ يتبقى فيه بعض بقايا من الآلام النفسانية ولأجل ذلك تضطرب ضمائرهم اضطرابًا شديدًا خائفين من أنهم لا يطيعون أمر الله لكونهم لم يتمموا الاقلاع عن العداوة بالبساطة والخلوص. فيجب اذن هنا على الرعاة أن يبينوا للمؤمنين ما من التناقض الجاري بين النفس والجسد لأن الجسد ميال إلى الانتقام والنفس امارة بالصفح ومن ثم كان بينهما خصام وقلق دائمين ولهذا يجب على الرعاة أن يوضحوا لهم إن التناقض لا يضر بالخلاص ولا ينبغي أن يسترسلوا بهِ إلى الفشل والقنوط بشرط أن تستمر الروح في دائرة عملها وفي قوار الارادة للصفح ومحبة القريب

الحادي والعشرون أن من لا يزالون مصرين على رغبة الانتقام يمكنهم ويلزمهم أن يتلوا الصلاة الربية ولا ذنب عليهم

قد يوجد من الناس من لا يستطيعون بعد على أن يثنوا الى

(699)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الصفح عن الاسايا ويحبوا أعداءهم ولأجل ذلك يرتاعون من الشرط الذي ذكرناه في الصلاة الربية فلا يتلونها. فعلى الرعاة أن يأتوهم بالحجتين الآتي ايرادهما لينقذوهم بهما من هذا الضلال الموبق. فاولاً إن كل واحد من المؤمنين يتلو هذه الصلاة باسم الكنيسة كلها التي لا بد أن يوجد فيها جمهور غفير من الأنقياء الأفاضل الذين يصفحون لاعداءهم الاسايا التي ذكرت هنا كما قال القديس توما اللاهوتي قسم 2 فصل 16 من البحث83. الحجة الثانية هي أن نلتمسه من الله سبحانه نلتمس معه أيضًا كل ما يلزمنا أن نأوله إلى نيله بهذه الطلبة لأننا نطلب غفران خطايانا وموهبة التوبة الحقيقية. ثم نطلب التوجع الباطن ونلتمس أن نكره خطايانا ونعترف بها اعترافًا صادقًا مقرونًا بالتقوى والخشوع وهكذا حيث يلزمنا أيضًا أن نغفر لمن اسأوا الينا فحين نطلب أن الله يغفر لنا فنصلي معًا أن يغفر لهم ايضًا ويقدرنا على مصالحة من نبغضهم فلذا بخوف باطل سئي من أن يزيدوا الله سبحانه غضبًا عليهم بهذه الطلبة بل بالعكس بها من الله أبينا أن يمنحهم عقلاً وقوة كي يغفروا لمن اخطأ اليهم ويحبوا أعداءهم.

الثاني والعشرون ما يجب أن يفعل من يرغبون في أن يجنوا ثمرة من صلاتهم لأجل غفران الخطايا

أن الصلاة كي تكون مفيدة يلزم أن نصرف فيها من العناية

(700)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التأمل ما يقتضي في ابتهالنا لله والتماسنا منه غفرانًا لا يؤتاه الاَّ التائبون ولهذا يجب علينا أن نكون على ما يليق بالتائبين من المحبة والتقوى ولا سيما على ما يليق بأولئك الذين قد وضعوا نصب عيونهم أثامهم ومعاصيهم ليرحضوها بدموعهم ويجب أن نقرن بهذا الافتكار اجتناب تلك الأشياء التي صارت لنا سببًا للخطاء والتي قد يمكن أن تكون لنا مندوحة لإهانة الله ابينا فكان النبي داود متولعًا بمثل هذا الاهتمام اذ كان يقول: خطاياي أمامي في كل حين (مزمور50ع5) وفي محل آخر: احم في كل ليلة سريري وبدموعي ابل فراشي (مزمور6ع7) وليضع كل واحد من المصلين أمام عينه مثل أولئك الذين قدموا الصلوات لله بقلب مضطرم بسعير الخشوع والتقوى ونالوا منه غفران خطاياهم كذلك العشار الذي كان قائمًا عن بُعد ومن توجع قلبه وخجله لا يرى أن يرفع عينيه بل يقرع صدره ويقول: اللّهم ارحمني أنا الخاطئ (لوقا ص18ع13) ثم تلك الامرأة الخاطئة التي وقفت من وراء المسيح الرب غسلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها وقبلتهما (لوقا ص7ع28) ثم بطرس هامة الرسل الذي خرج خارجًا وبكى بكاءًا مرًا (متى ص26ع76)

الثالث والعشرون ما هي الأدوية الخصوصية لشفاء كلوم النفس

ثم ينبغي أن نتبصر في أن مَن كانوا أوفر ضعفًا وأكثر ميلاً إلى أمراض النفس أي الخطايا يحتاجون أكثر أدوية. أما علاج النفس

(701)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

المريضة فهو سر التوبة وسر الافخارستيا فعلى الشعب المؤمن أن يكثر من تناولهما ثم الصدقة كما تعلمنا الأسفار الالهية هي دواء محكم لشفاء النفس من أدوائها. قال الرب: اذا كان بينكم فقير من اخوتك في احدى مدنك في أرضك التي يعطيكها البر الهك فلا تقسِ قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير بل أبسط لهُ يدك وأقرضه مقدار ما يعوزه (تثنية ص15ع7و8) وفي سفر طوبيا: تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن فقير وحينئذٍ فوجه الرب لا يحوّل عنك (ص4ع7) ولهذا من يريدون أن يصلوا هذه الصلاة بعبادة وفائدة فليتصدقوا بقدر استطاعتهم على البائسين: ويشهد لنا الملاك رافائيل في سفر طوبيا ما للصدقة من عظيم القوة في محو الخطايا حيث قال: لأن الصدقة تنجي من الموت وتمحو الخطايا وتؤهل الاسنان لنوال الرحمة والحياة الأبدية (ص4ع9) والنبي دانيال الذي طان يوعز إلى الملك نبوكد نصر بقوله: افتدِ خطاياك بالصدقة وأثامك بالرحمة للبائسين (دانيال ص4ع26) وفي سفر المزمامير: طوبى لمن يفتكر في أمر المسكين والفقير في يوم السوء ينجيه الرب (مزمور40ع2) ودونك نصوصًا أخرى وردت بهذا المعنى في سفر الأمثال (ص14ع19 ومايليهِ) وفي سفر ابن سيراخ (ص3ع23) وفي سفر طوبيا (ص4ع7) يمكنك أن تطالعها عند مسيس الحاجة. وافضل تصدق واجود تبرّع وترحم نسيان الاسابا واحسان الطوبة لمن اضرّونا بمالنا أو صيتنا أو جسدنا أو بمن يخصوننا فإذن من يروم أن يصيب

(702)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

رحمة من الله عظيمة لزمه أن يصفح عن العداوة لوجه الله ويغفر كل أسية ويصلي بكل طيبة القلب والخاطر لأجل أعدائه ويغتنم كل فرصة لأن يعمل معهم خيرًا ومعروفًا. فحيث قد استوفينا الكلام على هذا الموضوع في فصل الوصية السابعة من الوصايا العشر ندعو الرعاة إلى مراجعة ما هنالك مع ذلك ينبغي أن يختموا هذه الطلبة بهذه النهاية وهي: لا يمكن أن نجد أو نتصوّر أمرًا أبعد عن جادّة العدل من انسان قاسي القلب لا يرق لأحد ولا يشفق وهو يطلب من الله أن يحن عليه ويعامله بالرحمة والسهولة.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(703)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الخامس عشر

في الطلبة السادسة

لا تدخلنا في التجارب

الأول في عظم ما علينا من الخطر بمعاودة الخطية غب نوالنا غفرانها

من المحقق العاري من كل شبهة أن أبناء الله غب نوالهم غفران الخطايا واضطرامهم بسعير الاجتهاد في تادية فروض العابدة والاكرام لله وهم يصبون الى نوال الملكوت السماوي ويسلمون أمرهم لارادته تعالى وعنايته الأبوية حينئذٍ يقوم عليهم عدو النوع البشري وينصب عليهم حيلة ويصلي عليهم كيده ويحاربهم حربًا يخشى فيها عليهم من أن ترتخي عزائمهم فيفشلون وينقلبون عن عزمهم وقصدهم فيعاودون السقوط في الأثام والرذائل وهكذا تصير آخرتهم شرًا من أوليتهم فيضخح فيهم ما قاله زعيم الرسل: فإنهم إن كانوا هربوا من نجاسات العالم بمرعفة ربنا يسوع المسيح ثم عادوا فارتكبوها وغُبلوا فقد صارت لهم الأواخر شرًا من الأوائل لأنهم لو لم يعرفوا طريق البر لكان خيرًا من أن يعدلوا بعد ما عرفوه عن الوصية المقدسة التي سُلمت اليهم (1بطرس ص2ع21و22)

(704)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الثاني في كيف أن المسيح الرب أراد أن نتسلح بهذه الطلبة لتقاوم كيد العدو اللديد ومكره

أن ربنا يسوع المسيح قد سلمنا وصية هذه الطلبة كي نلتجى اليه تعالى كل يوم ونستمد عنايته الأبوية وعونه الالهي متأكدين أننا اذا أهملنا من حمايته نتعرقل لا محالة بشرك العدو وفخه وقد امرنا ليس فقط صورة هذه الصلاة بان نطلب من الله الاّ يسمح بان ندخل في التجارب بل أيضًا بتلك الصلاة الني أوعز بها إلى الرسل القديسين حين دنا وقت موتهِ اذ قال فيهم أنهم كلهم أنقياء (يوحنا ص13ع18) أوصاهم أن يصلوا بقولهِ: صلوا لئلا تدخلوا في التجارب (متى ص26ع41) وقد كرر عليهم هذا الأمر دليلاً على تكليف الرعاة تكليفًا شديدًا يحض الشعب المؤمن إلى الاكثار من هذه الصلاة حتى اذا عرف الناس ما ينشئه الشيطان عدونا من عظيم الأخطار في كل ساعة يهرعون اليه تعالى الذي وحده يقدر أن يدفعها عنهم طالبين منه على الداوم الاّ يدخلهم في التجارب

الثالث بأية حجج خاصة يستطيع البشر أن يدركوا لزوم هذه الطلبة

بعقل الشعب المؤمن شدة احتياجه إلى هذا المدد الالهي اذا تذكر ضعفه وجهله واذا عاد على باله ما قاله المسيح الرب: أن الروح مستعدة أما الجسد فضعيف (متى ص26ع41) واذا خطر في ذهنه سقطات أولئك الناس الثقيلة التي لكانت بلغتهم إلى دركات الهلاك

(705)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لو لم يسندهم العلي بذارع عونه هل من دليل أثبت للضعف البشري من مثال جماعة الرسل القديسين الذين كانوا قبلاً في بسالة قلب لا يهاب الموت فمن أول ما دهمهم من الخوف تركوا المخلص واركنوا إلى الفرار وأثبت منه أيضًا مثال بطرس هامة الرسل الذي يعد اعترافه وتعهده بفريد المحبة والبسالة للمسيح الرب وغب برهة يسيرة فيما كان واثقًا من نفسه كل الثقة قال: لو الجئت إلى أن أموت معك لا أنكرك (متى ص26ع56) ففي الحال ارتعد فرقًا على سؤال احدى النسيوات وأنكر بقسم أنه لا يعرف الرب ذلك دليل على أن القوى قاصرة عن موازاة عزم الروح وشدته فإن كان هؤلاء الرجال القديسون اخطأوا خطاء كبيرًا بضعف الطبيعة البشرية التي كانوا يركنون اليها فكم بالحري يخشى على غيرهم من يبعدون بمراحل عن قداستهم وتقواهم.

الرابع ما اكثر وما أعظم ما تلقى حياة البشر من أخطار التجارب

ينبغي على راعي النفوس أن يبين للشعب المؤمن الحروب والأهوال التي لا تزال تخوض مضمارها طالما بقيت نفسنا في هذا الجسد المائت لكون الجسد والعالم والشيطان لا يكلون ولا يملون من أن يصلوا لنا في كل مكان وزمانّ نيران الوغى فمن يجدّ فعل الغضب والشهوة فينا ومن لا يختبر ضررهما العظيم في نفسه ومن لم ينهكه اعناتها ومن لم تؤّلمه مناخرها ومن لم يحترق بنيران الآمها المشبوبة. ويلاه ما أكثر ضرباتها عددًا ونوعًا وما أهول وثباتها حتى لا يكاد يسلم محاربها

(706)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولو باسلاً من الجراح بطعن حرابها. وما عدا هؤلاء الأعداء الحالين في جسدنا والعائشين معنا لنا أعداء آخرون الداء كتب فيهم رسول الأمم قائلاً: أن مصارعاتنا ليست ضد اللحم والدم بل ضد الرياسات والسلاطين وولاة هذا العالم عالم الظلمة والأرواح الشريرة في السماويات

الخامس يتبين من كلام الرسول المعظم شدة هجوم الشياطين وحملتهم علينا

زد على ما نكابده من الحربو الباطنة هجمات الشياطين الخارجة وحملاتهم علينا بطلبهم نفوسنا علنًا وانسرابهم فيها بمكامنهم حتى بالكد نستطيع أن نتقي كيدهم وغدرهم. فرسول الأمم يدعوهم سلاطين لسمو جوهرهم لأنهم يفوقون بهِ البشر وكل محسوس من المخلوقات ويسميهم أيضًا قوات لأنهم يفوقون جميع ما ذكر قوةً واقتدارًا ويدعوهم ولاة هذا العالم بل أولي القتام والدجى أي أولئك العامهين بأدناس السيرة القبيحة الفاحشة والراتعين في ظلال الموت تحت قيادة الشيطان اركون الظلام. ثم يسميهم الأرواح الشريرة لأنهم يغرون الناس بالخبث الجسدي والروحي أما الخبث الجسدي فيضرّم سعير الشهوة إلى اللذات والتنعمات التي تدرك بالحواس وأما الخبث الروحي فهو الأميال الشريرة والرغبات المفسودة المختصة بجزء النفس الأعلى وهي أقبح من الأولى بما أن العقل هو اسمى واشرف من غيره وهذا الخبث هو من خصال ابليس خزاه الله

(707)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لأنه متجه خاصة إلى ما من شأنه أن يحرمنا الميراث السماوي ولهذا قال الرسول: الأرواح الشريرة في السماوات ومن ثم نعلم أن قوات الأعداء عظيمة وقلوبهم شديدة وبغضهم لنا وحشيّ لا يقدر ويتبرون علينا حربًا عوانًا دائمة لا يمكن أن يقوم بيننا وبينهم صلح ولا هدنة

السادس ما اقبح شر الشيطان وقتحته في تحريبنا

أن النبي اشعيا يعبر لنا عن عظم وقاحة الأبالسة بقوله على لسانهم: أن أصعد إلى السماء (ص14ع13)وقد اتقح ابليس ودخل على آدم وحواء في الفردوس (تكوين ص3ع1) ثم حمل على الأنبياء كما ورد في سفر أيوب حيث قيل: واتفق يومًا أن دخل بنو الله ليمثلوا أمام الرب ودخل الشيطان أيضًا بينهم (ص1ع6)واقتحم الرسل كما قال الرب في بشارة لوقا أن الشيطان يغربلكم كالحنطة (ص22ع31) ثم لم يستهب الشقي من أن يتقدم إلى ربنا يسوع المسيح ويجربه على ما ورد في بشارة متى (ص4ع39 وقد عبر لنا بطرس هامة الرسل عما لابليس من الرغبة والكلية والاجتهاد الوحشي في تجربتنا لهلاكنا اذ قال: اصحوا وواسهروا فإن ابليس خصمكم كالأسد الزائر يجول ملتمسًا من يبتلعه وليس شيطان واحد يجرب البشر أحيانًا جوقة من الرب اسمه فأجاب أن اسمي لاجاون لأننا كثيرون أي جمهور من الأبالسة اعترت ذاك المسكين (متى ص8ع18) وكتب في محل آخر: فيذهب حينئذٍ ويأخذ معه سبعة أرواح أخرين شرًا منه فيأتون

(708)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ويسكنون هناك فتكون أواخر ذلك الانسان شرًا من أوائله

السابع لمذا يجرب الشيطان الاثمة أقل مما يجرب الأبرار

أن كثيرين من الناس لا يشعرون في ذواتهم بوثبات الابالسة وهجماتهم فيتوهمون القول بتجريب الشيطان افكّا وحجيث خرافة فما من عجب من أن الابالسة لا تحارب من سلموا اليهم سلاحهم ونفوسهم وليس فيهم تقوى الله ولا محبة ولا أدنى فضيلة تصلح للانسان المسيحي. ولهذا قد اتفق أنهم جعلوا في قبضة الشيطان فما من حاجة أن حاجة أن يجرب من باختيارهم حل حياة في نفوسهم أما الذين انقطعوا إلى عبادته تعالى ويسيرون في هذا العالم سيرة طاهرة فهؤلاء تحاربهم الابالسة حربًا عنيفة وتبغضهم شر بغضة وتصلي لهم كل يوم فخاخ المكر والدهاء فإن الأسفار الالهية موعبة من أخبار الأنام الذين فيما كانوا في تمام وعيهم وسلامة عقلهم قد اغتالتهم يد ابليس فاسقطتهم في الاثم بالقوة أو بالاحتيال والمكر ومنهم آدم وداود وسليمان الحكيم وغيرهم ممن لا يحصيهم عاد قد اختبروا وثبات الابالسة عليهم وفتكهم فيهم فتكًا ذريعًا بكيدهم وحيلهم التي لا تقوى عليها قدرة البشر وحكمتهم. فمن يا ترى يعد نفسه في أمان من شرهم ومكرهم فلهذا ينبغي علينا أن نصلي لله طالبين منه الاّ يدعنا ان نجرّب فوق طاقتنا بل يجعل مع التجربة مخرجًا لنستطيع أن نتحمل (1قور ص10ع13)

الثامن أن الابالسة لا يستطيعون أن يجربوا البشر متى وكيفما شأوا

ينبغي على الرعاة أن يشددوا عزائِم المؤمنين اذا ارتاعوا بداعي

(709)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

وهن النفس أو بالجهل من قدرة الابالسة ويوعزوا اليهم أن يرذلوا بحمى هذه الصلاة في ثوران هياج المحن لأن الشيطان مع قدرته العظيمة وعنقهِ الشديد وبغضته القتالة للبشر لا يقدر أن يجربنا ويعنتنا بقدر ما يشاء وطالما يشاء بل أن كل اقتداره مقدي باشارة أمر الله وسماحه بدليل ما كان من أمر أيوب الشهير. فلو لم يقل الله للشيطان أن كل شئ مسلم في يدك لما قدر ابليس أن يقترب اليهِ بسوء وبالعكس لو لم يردف الله قوله للشيطان بقوله: ولكن اليهِ لا تمدد يدك لكان أهلكه بضربة واحدة مع أولاده وكامل مقتناه (ايوب ص1ع12 وما يليه) فقدرة الابالسة اذن مقيدة تحت أمر الله حتى لو لم يسمح لهم قدروا أن يدخلوا في تلك الخنازير التي كتب عنها متى البشير (ص8ع31)

التاسع على ما نستدل بلفظة تجاريب وكيف يجربنا الله

ينبغي أن نقول كي ندرك قوة هذه الطلبة أن معنى لفظة تجربة هو امتحان ما نجربه لنطلع من امتحانه وتجريبه ما نرغب أن نعرفه حقًا كان أو غير حق فهذا النوع من التجربة لا يصح في الله قطعًا لأنه تعالى يحيط علمًا بكل شئ ما من خليقه مستترة أمامه بل كل شئ عار مكشوف الباطن لعينيه (عبرا ص4ع17) انما يوجد نوع آخر من التجريب وهو حين نتمادى بالامتحان لنرى هل من نمتحنه يثبت على جهة الخير أو ينقلب إلى الشر كما اذا جرينا فضيلة أحد حتى اذا ظهرت واشتهرت يزاد صاحبها فضلاً وكرامة ويقدم مثاله قدوة لغيره ثم يحض الجمع بسببه إلى تمجيد الله. فهذا النوع وحده من التجربة يليق بالله ومنه

(710)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ما ورد في سفر تثنية الاشتراع حيث قال: فإن الرب الهكم منحتكم ليعلم هل أنتم تحبون الرب الهكم من كل قولبكم ونفوسكم (ص13ع3) وعلى هذا المنوال يقال أن الله يجرب عبيده حين يضنكهم بالفاقة أو المرض أو بباقي المصائب والنكبات فيصنع ذلك امتحانًا لصبرهم وتصبيرًا لهم برهانًا للمسيحيين في أعمال الفضائل والتقوى. ومن هذا القبيل جرّب ابرهيم الخليل أن يقدم ابنه اسحق لله ذبيحة وبهذا الفعل قد غدا نموذجًا فريدًا للطاعة والصبر والايمان يذكره الناس إلى الأبد وبهذا المعنى قيل في طوبيا: واذ كنت مقبولاً امام الله كان لا بُد أن تمنحن بتجربة (طوبيا ص12ع13)

العاشر كيف يجرب الشيطان البشر

أن الشيطان يجرّب البشر للشر اذ يغريهم اما الاثم واما بالهلاك ذاك من أفعال ابليس الخاصة لأنه يجربهم بقصد أن يضلهم ويدهورهم في دركات الهلاك ولأجل ذلك تسميه الأسفار الالهية بالمجرّب ففي هذه المحن تارةً يهيج علينا مناخر الآم النفس الباطنة وأميالها وعواطفها الخفية ويتخذ نزقاتها وزراء لهُ في علمه. وتارةً يسحبنا بالأشياء الظاهرة فيأتينا أما السراء لاستكبارنا وتشامخنا وأما بالضرّاء لضجرنا ودمدمتنا وفشلنا وحينًا يتخذ أناسًا اثمة منافقين قصادًا لهُ ودعاةً لشره لا سيما الأراطقة الذين يجلسون في مجلس الساخرين (مزمور1ع1) ويثبون زوان تعاليم الفاسدة كي يجندلوا في دركات الهلاك أولئك الناس الأميين الذين لا يعرفون البتة أن يميزوا الفضيلة من الرذيلة وهم من

(711)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

طبعهم ميالون إلى الشر

الحادي عشر بأي وجه يقال أن الانسان يدخل في التجربة

يقال أنه دخل في التجرّبة حين يثني اليها مغلوبًا وذلك على نوعين أولاً حين ينحط عن حال الصلاح ويتهور إلى حال طلاح يدفعه اليهِ بالتجربة. فما من أحد يقول أن الله سبحانه يجرّبنا مثل هذه التجربة لأنه تعالى لا يدعو أحدًا إلى الاثم لا بل أنهُ يبغض جميع فعلة الخطية (مزمور7ع5) وقال يعقوب الرسول في هذا المعنى: لا يقل أحد اذا جُرّب أن الله قد جربني فإن الله غير مجرّب بالشرور وهو لا يجرّب أحدًا (ص1ع13) ثم يقال أننا ندخل التجارب ولو لم يجرّبنا أحدٌ فعلاً ولا يأتينا بسبب التجربة ومع ذلك يقال أنهُ يجربنا بمعنى أنه قادر أن يمنع عنا التجربة أو يقينا من أن ننقلب اليها ولا يفعل فمن هذا القبيل يسمح الله بأن يجرّب الأبرار الأنقياء لكنه يعضدهم بنعمته ولا يتخلى عنهم غير أنه أحيانًا يدعنا أن نسقط بحكمه العادل الخفي اعتبارًا لكون أثامنا تقضي بسقوطنا

الثاني عشر أن احسانات الله أحيانًا تدخلنا في التجارب

ثم يقال أن الله يدخلنا في التجارب حين نتصرف بئس التصرف لهلاكنا باحساناته التي منحناها لأجل خلاصنا اذ نبدرق مال ابينا كالابن الشاطر يعيش بدخ عاكفين على التمتع بالشهوات القبيحة فلأجل ذلك جار لنا أن نقول ما قاله رسول الأمم عن السّنة ومتُّ أنا ووُجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي الموت (رومة ص7

(712)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ع10) ودونك ما يطابق تمام الطباق لموضوع كلامنا ما كان من أمر مدينة أورشليم تلك التي على ما شهد النبي حزقيال كان الله سبحانه انها بجميع أصناف الغنى والفخار حتى قال بلسان النبي المشار اليه: فذاع اسمك في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب (ص16ع14) مع ذلك لم تكن هذه المدينة المغمورة بالخيرات الالهية لتعرف جميل الله وتسديه شكرًا على نعمهِ وتصرَّف بما أوتيت من الاحسان الالهي تصرفًا ينسى لها بهِ نيل السعادة الأبدية بل غمطت نعم الله اذ نبذت جانبًا الرجاء والاهتمام الخيرات السماوية واقتصرت من العمل على التنعم والبذخ بخيرات هذه الدنيا تنعمًا اورثها البوار كما أفاد النبي المسفور بكلام مسهب في نفس هذا الاصحاح. فعلى هذا النحو يغمط الناس نعم الله وبسماحه تعالى يصرفون إلى عمل المنكزات ما أعده الله لهم من الوسائل الوافرة لعمل الخير والصلاح

الثالث عشر كيف ينبغي ان نفهم كلام الكتاب المقدس على سماح الله وهو كلام يدل على الفعل

ينبغي أن نلتفت إلى اصطلاح الأسفار الالهية التي تعبر أحيانًا عن سماح الله بكلام اذا اتخذ بحصر معناه كأنه يدل على فعل من قبله تعالى فقيل في سفر الخروج: قسى الله قلب فرعون (ص7ع3) وفي نبوة اشعيا: اعمِ قلب هذا الشعب (ص6ع10) وفي رسالة رسول الامم إلى أهل رومية: اسلمهم الله الى أهواء الفضحية (ص1ع26)

(713)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ففي هذه الحال وما شاكلها لا يُفهم ذلك قط فعلاً من قبل الله بل سماحًا.

الرابع عشر لا نطلب في هذا القسم من الصلاة أن نسلم من كل تجربة بل أن الله لا يهملنا في التجارب

غب أن ابنًا ما تقدم هان علينا أن نعرف ما نلتمسه في هذا القسم من الصلاة. فلا نطلب ألاَّ نُجرّب كليًا لأن حياة الانسان على الأرض حرب دائمة (أيوب ص7ع1) فالتجربة أمر مفيد ونافع للنوع البشري لأننا بالتجارب نعرف ذواتنا أي قوانا ولأجل ذلك نتضع تحت يد الله القادرة (1بطرس ص5ع6) ونجاهد جهاد الأبطال ونحصل على اكليل المجد الذي لا يذوى (ع49 لأن من يجاهد فلا ينال الاكليل ما لم يجاهد جهدًا شرعيًا (2تيمو ص2ع5) وقال القديس يعقوب الرسول: طوبى للرجل الذي يصبر على التجربة لأنه اذا ذُكي ينال اكليل الحياة الذي وعد بهِ الله الذين يحبونه (ص1ع12) أما أن عرض لنا بعض الأحيان أن نضايق بتجاريب الأعداء فيفدنا كثيرًا الافتكار أن لنا حيرًا عظيمًا (عاضدًا) يستطيع أن يرثى لامراضنا لأنه يُجرّب في كل شئ مكثلنا ما خلا الخطية (عبرا ص4ع15) فتحرير القول أننا نطلب هنا من الله الاَّ يهلينا من عونه الالهي في محل التجارب والاَّ نثني اليها مغرورين بل أن تتداركنا نعمة الله حتى اذا خارت قوانا الخصوصية تقوينا وتؤيدنا

(714)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخامس عشر كيف علينا أن نلتمس مدده تعالى في تجاريبنا

يجب علينا أن نستمد العون في جميع التجارب بوجه العموم وينبغي أن نلتمسه خصوصًا ونيادر إلى الصلاة في كل تجربة تدهمنا. فقد قرأنا قفي الكتاب المقدس أن داود فعل ذلك في كل نوع من التجارب فلتجأته من الكذب كان يصلي قائلاً: لا تنزع من فمي كلمة الحق كل النزع (مزمور118ع43) ومن البخل: امل قلبي الى شهاداتك لا إلى الاختلاس (ع36) ولا نتصاره على اباطيل هذا العالم وغرور الشهوات كان يتلو هذه الصلاة: احرف عينيّ عن النظر غلى الباطل (ع37) فإذن نطلب من الله الاّ نطيع شهواتنا والاّ نضجر ونكلّ في احتمال التجارب والاّ تحيد عن طريق الرب وأن نحفظ أنفسنا في السرّاء والضرّاء من حمايته وفي الآخر نطلب منه أن يسحق الشيطان عاجلاً تحت أقدامنا (رومية ص16ع20)

السادس عشر كيف نقدر أن نغلب التجربة ومَن نتخذه منجدًا على نيل الظفر

بقي أن الراعي يغري الشعب المؤمن بما ينبغي أن يتأمل ويتبصر في هذه الصلاة التي يكون افضلها اذا عقلنا ما للبشر من عظيم الضعف فتأيس من قوانا ونجعل كل رجاء خلاصنا في جودة الله ورآفته معتصمين بحماه المنيع فنبسل حتى في معامع أشد الأخطار والأهوال

(715)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ولا سيما اذا افتكرنا أن الله سبحانه قد انقذ كثيرين من مخالب ابليس لاعتصامهم بهذا الرجاء وتمنطقهم بهذه البسالة ألا ترى يوسف اسرائيل كيف كان محاطًا من كل جهة بشراك تلك الامرأة الفاحشة فانقذه الله من ذاك الخطر المهول ورقّاه مراتب الكرامة والمجد. أما كانت سوسان العفيفة قد بلغت إلى حرف المنية على يد شيخين من أعوان ابليس فانقذها الله من حكم الموت النفاقي وما في ذاك من عجب لأن الكتاب يقول: لأن قلبها كان متوكلاً على الرب (دانيال ص13ع30) أما أيوب الصديق فقد حاز مجدًا وثناءً ذاع في البسطية وعلا طبقات السماكين لانتصاره على العالم والجسد والشيطان وعندنا نموذجات كثيرة من هذا النوع ينبغي على الراعي أن يحض بها الشعب النقي على أن يحسن رجاء واتكاله على الله في المحن والشدائد.

السابع عشر أن قائدنا في هذه الحرب هو السميح ربنا ورفقاؤنا القديسون بأجمعهم فمن لا يتبعهم كان جبانًا ساقط المروءة

فلينظر المؤمنون أيضًا مَن قائدهم في تجاريب الأعداء انما هو المسيح الرب الذي حاز الظفر في هذا الحرب هو غلب الشيطان وهو أقوى منه قد جاء عليهِ وغلبه وذهب بجيمع أسلحته (لوقا ص11ع22) وقد رُوى بلسان يوحنا الرسول نصرته على العالم اذ قال: ثقوا أنا غلبتُ العالم (يوحنا ص16ع23) وورد في سفر الجليان: أنهُ هو الأسد الظافر (ص5ع5) وقد خرج ظافرًا وحتى يظفر (ص6

(716)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ع2) فبهذا لظفر أعطى عبادة قدرة للانتصار أما رسالة مار بولس إلى العبرانيين فهي موعبة من ذكر ظفر القديسين الذين بالايمان قهروا الممالك وسدوا أفواه الأسد واخمدوا قوة النار ونجوا من حد السيف (ص11إلى أخره) وغير ذلك من ضروب الانتصارات بأيد المسيح الرب فمن اخبار هذه الافعال التي نطالعها ندرك تلك النصرات التي يجوزها كل يوم في محاربة الابالسة خارجًا وداخلاً الناس المتدججون بسلاح الايمان والرجاء والمحبة محاربة بالغة إلى حد من التواتر والفخر حتى لو وقعت تحت المظر لحكمنا بأن ما من أمر يحدث أكثر منها وقوعًا ولا اسنى منها فخرًا. وقد كتب يوحنا الرسول في شان الانتصار على هؤلاء الأعداء ما تعربيه: اكتب اليكم أيها الشبان أنكم أشدّاء وكلمة الله حالة فيكم وقد غلبتم الخبيث (1يوحنا ص2ع14)

الثامن عشر كيف نستطيع أن نغلب الشيطان

أننا نقدر أن نقوى على ابليس ونغلبه ولكن لا بالبطالة والنوم واحتساء الخمر والنهم بل بالصلاة والشغل والسهر والامساك والتعفف والطهارة. لأن الرب قال كما تقدم: اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في التجارب. فمن يحاربون بهذا السلاح يهزمون الأعداء لأن الذين يقاومون ابليس يهرب منهم. ومع ذلك لا يحسن بَمن يجوز مثل هذه الانتصارات التي ذكرناها ان بداخله العجب أو الغطرسة كانه بقواه الطبيعية يقدر أن يقاوم ابليس ويقوى عليه ويدفع غاراته لأن ذلك

(717)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ليس من طبيغتنا الواهنة من قدرة الله وحدها

التاسع عشر كيف يخولنا الله كل ما يلزمنا من القوة لنغلب عدو نفوسنا

أن الله سبحانه يعطينا قوى نصرع بها ابليس وأعوانه وهو تعالى اسمه يجعل ذراعينا كقوس من نحاس (مزمور17ع35) وبفضله كُرت قسي الجبابرة وتنطق المتخلجون بالقوة (1ملوك ص2ع4) قال النبي داود: جعلت خلاصنا مجنًّا لي ويمينك عضدتني (مزمور17ع36) وفي محل آخر: تبارك الرب الذي يلعم يدي القتال وبناتي الحرب (مزمور143ع1) فلله وحده ينبغي الحمد والشكر لأجل الغلبة التي ننالها بعونه على الأبالسة أعدائنا اذ بهِ وحده ويمدده نقدر أن نغلب كما أشار رسول الأمم بقوله: الشكر لله الذي أعطانا الظفر بربنا يسوع المسيح (1قور ص16ع56) وقد نادى بهذه النصرة عينها ذاك الصوت السماوي في جليان يوحنا قائلاً: اليوم صار الخلاص بالقوة والملك لالهنا والسلطان لمسيحه لأن المشتكي على اخوتنا قد طرح الذي كان يشتكي عليهم أمام الهنا نهارًا وليلاً وهم غلبوه لأجل دم الخروف (ص12ع10 ومايليه) ثم شهد الكتاب نفسه ان ربنا يسوع المسيح قد انتصر على العالم والجسد والشيطان اذ قال: هؤلاء يقاتلون الخروف والخروف يغلبهم (ص17ع14) هذ ما اقتضى بيانه في شان الظفر وكيفيته.

(718)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

العشرون ما هو ثواب الظافرين في هذه الحرب الروحية

ينبغي على الرعاة أن يكونوا استوفو الشرح فيما تقدم أن يوردوا على مسامع المؤمنين ما اعدّه الله للظافرين من أكاليل المجد وما رسمه من وسيع الثواب الأبدي ولنا البينات على ذلك من سفر الجليان الالهي حيث قال: من يغلب لا يؤذيه الموت الثاني (ص2ع11) وفي محل آخر: من يغلب هكذا ابليس ثيابًا بيضًا ولا أمحو اسمه من سفر الحياة وأنا اعترف باسمه قدام أبي وملائكته (ص3ع4) اجعله عمودًا في هيكل الهي (ص3ع21) ثم قال: مَن يغلب أعطيه أن يجلس معي على كرسي كما أنا غلبت وجلست مع أبي على كرسيه. وفي الآخر بعد أن عبر عن مجد القديسين وتلك الخيرات التي يتمتعون بها في السماء قال: من يغلب يرث هذه وأكون له الهًا وهو يكون لي ابنًا.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(719)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السادس عشر

في الطلبة السابعة

لكن نجنّا من الشرير

الاول أن كل ما تضمنه الطلبات السابقة يتضمن في هذه الطلبة

أن هذه الطبة الأخيرة قد جعلها الله بمنزلة ختام لجميع ما ضمنه في هذه الصلاة الربية وقد حصر أيضًا جوهرها وخلاصتها في استعمال هذه الطلبة الأخيرة. فلما أوشك أن يبارح هذه الحياة طلب من الله أبيه قائلاً: لستُ اسال أن ترفعهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير (يوحنا ص17ع15) فإذن قد اشتلمت صورة هذه الصلاة التي سلمناها الرب واثبتها بنموذجهِ على فحوى وجوهر باقي الطلبات كانها مطلوبنا بحيث كما قال القديس كبريانوس لا يبقى لنا شئ بعد ذلك يلزمنا التماسه لأننا اذا طلبنا ونلنا حماية الله لنا من الشرير ومن كل ما يفعهل العالم والشيطان أصبحنا في أمان وصلام لأجل ذلك لما كانت هذه الطلبة على مثل هذا الاعتبار والفائدة لزم الراعي أن يصرف الجهد والعناية في شرحها للمؤمنين ثم أن هذه الطلبة تختلف عن التي قبلها لكوننا نطلب في تلك تجنب

(720)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الخطايا أما هذه فنلتمس النجاة من العقاب

الثاني ما يحملنا على أن نقدم هذه الصلاة للرب

لا حاجة إلى أن نتذر الشعب المؤمن بما يكابده من المشقات ويتحمله من الأكدار والملمات ويعوزه من الأمداد السماوي في هذه الحياة لأن ما من أحد لا يعرف ما أكثر تعرض حياة البشر في هذه الدنيا للشقاء والبلاء فضلاً عن أن الكتاب المقدس وكتبة الأخبار العالميين قد خاضوا في غياب هذا الموضوع موضحين ذلك باسهب مقال وأجلى برهان. وقد عرفه كل انسان مما اختبره في حاله وشاهده من أحوال غيره. فمن المحقق عند الجميع ما رواه أيوب الصديق نموذجًا للصبر وذكرًا للأحقاب بقوله: الانسان مولود المرأة قليل الأيام كثير الشقاء كزهر ينبت ثم يُقطع كظل يبرح لا يقف (أيوب ص14ع1و2) وقد شهد ربنا يسوع المسيح بقوله: يكفي كل يوم شرّه أن لا يمر يوم واحد خاليًا من الغم والكدر (متى ص6ع34) وقد أفاد الرب نفسه عن حالة الطبيعة البشرية هذه بامره لنابأن نحمل صليبنا كل يوم ونتبعه   
(لوقا ص9ع23) فإذن كلما شعر الانسان بما في هذه الحياة من الأكدار والكروب تيسر لهُ أن يبادر اليه تعالى ملتمسًا منه النجاة من الشرور لا سيما أن ما من شئ يجذب الناس الى الصلاة أكثر مما تجذبهم الرغبة والرجاء في النجاة من تلك البلايا التي تضنيهم أو تدهمهم لأن في الناس ميلاً مقطورًا في طبعهم للهرع سريعًا اليه تعالى ملتمسين عونه للنجاة من المصائب بدليل ما ورد في

(721)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

مزامير داود النبي من قولهِ: املأ وجوههم عارًا فيطلبوا اسمك يارب (مزمور82ع17)

الثالث كيف ينبغي أن نطلب منه تعالى رفع البلايا والاهوال

أن أكثر الناس اليه تعالى ويستجيرون بهِ في حلول الشدائد والأخطار انما لا بد من أن الذي سلم أمر خلاصهم إلى عهدة أمانتهم وحكمتهم أن يعلموهم جيدًا أن يحسنوا الاستجارة باللله وبلوذوا برأفته كما يقتضي لأن من الناس مَ يستعلمون نظام الصلاة بخلاف أمر المسيح الرب. فالذي أمرنا نلتجئ اليه في يوم ضيقتنا هو نسق لنا ترتيب الصلاة لأنه اراد اننا قبل أن نصلي لله أن ينجينا من الشرير أن نطلب منه أن يتقدس اسمه وياتي ملكوته والباقي على أن البعض اذا تألموا بوجع الرأس أو الجنب أو الرجل أو ألم بهم خسران مال أو توعدهم الأعداء بالاسأة أو تضايقوا بالجوع أو في الحرب أو بالوباء يتركون أواسط الصلاة الربية ويطلبون فقط أن ينجوا من هذه الشرور على أن أمر المسيح الرب يخالف هذا التصرف لأنه قال اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره (متى ص6ع33) ولهذا أن الذين يسحنون الصلاة اذا طلبوا من الله أن يدفع عنهم الضيق والبلاء يرجعون ذلك إلى مجده تعالى. هكذا لما صلى داود النبي قائلاً: يارب لا بغضبك يةبخني (مزمور6ع2) أردف صلاته بالبرهان على شدة رغبتهِ في مجد الله اذ قال: لأن ليس في الموتى مَن يذكرك ولا في الجحيم من يعترف

(722)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بك (مزمور6ع6) وكذلك حين كان يصلي: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك (مزمور50ع1) استطرد كلامه قائلاً: فاعلم الاثمة طرقك والكفرة اليك يرجعون. فينبغي أن نحض المؤمنين إلى أن يمارسوا هذه الصلاة الخلاصية على مثال النبي لمشار اليه. ونبين لهم ايضًا ما من التفاوت العظيم بين صلوات المسيحين الكفرة

الرابع أن المسيحيين يطلبون النجاة من الشرور بخلاف الوجه الذي يطلبه به الكافرون

أن الكافرين يطلبون من الله طلبًا حثيثًا أن يتصلوا من الأمراض والكلوم وان ينجوا من الشدائد الملمة بهم والمقبلة عليهم غير أنهم يضعون أخص رجائهم في الأدوية المعدة بقوة الطبيعة أو صنعة البشر لا بل في أي علاج كان يؤتاهم ولو مصنوعًا بالسحر والرقية وبفعل الشيطان فيستعملونه بدون النفقات إلى الدين بشرط أن يتبين لهم أمل بالشفاء أما المسيحيون فهم بمراحل عن مثل هذا التصرف لأنهم اذا بلوا بأمراض والمت بهم النوازل يلتجئون اليه تعالى ملجاهم الأعظم وحصن خلاصهم ويعرفونه وحده ليّ كل خير ومنقذهم ويتحققون أن الله سبحانه جعل في الأدوية والعقاقير قوة الشفاء ويعتقدون أنها تنفع المرض بقدر ما شاء الله لأنه تعالى أعطى البشر دواءَ لشفاء الأمراض بدليل ما ورد في سفر ابن سيراخ بقوله: الرب خلق الأدوية من الأرض والرجل الفطن لا يكرهها (ابن سيراخ ص38ع4) فالذين امنوا بيسوع المسيح لا يجعلون رجاءهم في تلك الادوية لشفاء من أمراضهم

(723)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

بل يتكلون خاصة على الله خلق الأدوية والعقاقير

الخامس كيف يجب أن نتكل في أمراضنا على الله وحده الذي أنقذ كثيرين من أخطار الموت القريبة

أن الأسفار المقدسة تخطئ من يجعلون اتكالهم على العلاج والعقاقير ولا يلتمسون مدد الله بالكلية أما الذين يستسيرون بحسب السنن الالهية يمتنعون عن كل دواء يتحقق لديهم أن الله لم يجعله للشفاء. ثم اذا تبين أمل الشفاء باستعمال تلك الأدوية مع ذلك يرذلونها اذ يعرفونها سحرًا وصنعة الشيطان. فينبغي اذن أن تغري المؤمنين بالاتكال عليه تعالى لأن أبانا الرأووف الوفير الاحسان قد أمرنا لهذه الغاية أن نطلب النجاة من الشرور كي نمتلك الرجاء بهِ وحده فيما أمرنا أن نترجى نيله. ولنا في ذلك امثال كثيرة في الأسفار الالهية حتى أن مَن لا ينقاد بالحجج إلى احسان الرجاء يضطر الى أن يتكل عليه تعالى بما يراه من أمثال غيره الوفيرة. فابراهيم (تكوين ص12ع2) ويعقوب (ص21ع14) ولوط (ص14ع20) وداود (1ملوك ص21ع14) شهود عدول وعيانيون لرأفة الله وحنوه ثم أن الأسفار الالهية للعهد الجديد تخبرنا عن كثيرين نجوا من أشد الأخطار والمهالك بفعل هذه الصلاة التقوية فلا حاجة إلى ذكر أخبارهم بل تقتصر على ايراد هذه الأية من سفر المزامير وهي كافية لتقوية الضعيف ولو تناهى في ضعف الاتكال: صرخ الأبرار والرب استجابهم ومن شدائدهم نجاهم (مزمور23ع18)

(724)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

السادس ماذا يفهم هنا باسم الشر وما فحوى هذه الطلبة

أننا نأتي بالكلام على مآل هذه الطلبة وفحواها كي يعقل المؤمنون أننا لا نطلب هنا من الله أن ينجينا من جميع الشرور لأن بعض الأشياء تسحب شرورًا بوجه العموم مع أنها تجدي كبير نفع مَن يكابدونها كتلك الشوكة التي أُعطيها رسول الأمم كي تكمل الفضيلة في الوهن بمساعدة النعمة الالهية (2قور ص12ع7) فإذا عرف الأنقياء فعل هذه الشرور الوهمية أجدتهم أعظم لذة فلا يطلبون من الله أن يرفعها عنهم ولهذا نطلب منه تعالى أن يدفع عنا فقط تلك الشرور التي لا تصيب النفس منها أدنى فائدة أما البقية فلا بشرط أن يجني الانسان منها ثمرة خلاصية

السابع ما أكثر أنواع الشرور التي تشتهي النجاة منها وما أعظمها

أن الفحوى المتضمن في هذه الطلبة: نجنا من الشرير: هو أن تنجو من الخطية وتسلم من خطر التجربة وننجو من الشرور الباطنة والظاهرة حيث تكون في أمان من غريق الماء وحريق النار وانقضاض الصواعق وأن تسلم غلاتنا من آفات البرد ومن القحط وننجو من الفتن والحروب. نطلب من الله أن يدفع عنا الأمراض والوباء والفناء والدمار ويقينا السجن والاغلال والنفي والخيانة الأعداء ومكامنهم ويمنع عنا كل ضيم وكدر من عادة الناس أن تخافه وتكابده في هذه الحياة ثم أن يبعدنا جميع أسباب المآثم والقبائح وليس فقط نطلب منه تعالى أن يدفع عنا

(725)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

هذه البلايا التي تُعد شرورًا باتفاق الكلمة عند الناس بل أن ينجينا أيضًا من تلك التي يعتقدها أكثر البشر خيرات كالغنى والكرامات وصحة الأبدان والقوة حتى حياتنا نفسها فنطلب الاّتكون لنا شرًا وهلاكًا لنفوسنا ونسأله تعالى أيضًا أن ينجينا من موت الفجأة وأن لا نحرّك غضبه علينا وان لا نكابد من العذاب ما أعدّه الله للأثمة المنافقين وان لا نتعذّب في النيران المطهرية ونبتهل اليهِ الورع والقداسة أن ينجو منها غيرنا فالكنيسة المقدسة تتأول هذه الطلبة في القداس وتلاوة الطلبات إلى هذا المعنى وهو أننا نطلب منه تعالى أن ينجينا من جميع الشرور الحاضرة والماضية والمستقبلة وكل هذه الطلبات مسطرة في المزمور 118ع36 وفي التسبحة ع8 من العشر التسابيح التي في آخر سفر المزامير

الثامن في أننا نطلب من الله أحيانًا أن يقينا الشرور المقبلة وينقذنا من الحاضرة

أن الله تباركت رأفته لا ينقذنا على نمط واحد من الشرور لأنه يدفع عنا النوازل المقبلة كما قرأنا في السفر الالهي أنه أنقذ يعقوب اسرائيل من الأعداء الذين هاجوا عليه لأجل مقتلة أهل شخيم. لأن الكتاب يقول: فحلّ رعب الله على أهل المدن التي حواليهم فلم يسعوا وراء يعقوب (تكوين ص35ع5) وبالحقيقة أن جميع الطوباويين المالكين مع ربنا يسوع المسيح في السماوات قد نجوا من جميع الشرور بعون الله كما أشار إلى ذلك اشعيا النبي بقوله: ويبيد

(726)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الموت على الدوام وبسمح السيد الرب الدموع عن جميع الوجوه (ص25ع8) أما نحن المقيمون في هذه الغربة فلم يحسن لديه أن ينجينا من جميع الأكدار ويعتقنا من كافة البلايا بل أنقذنا من بعضها على تلك السلوى التي يمنحها الله أحيانًا أولئك الذين يكابدون الضرّاء تقوم مقام النجاة من كامل الشرور. فبهذا كان يتعزّى داود النبي حيث قال: لما تكاثرت الهموم في داخلي سرّت نفسي تعزياتك (مزمور93ع19) ثم ينقذ الرب البشر من الشرور حين يحفظهم سالمين من الأخطار المهلكة التي زُجوا في عبابها كما أنقذ الفتية الثلاثة من أتون النار المشبوبة التي طرحوا في جوفها وخلص دانيال بأدنى أذى ولا الأسد أضرّت دانيال بشئ

التاسع أن الشيطان يُدعى هنا شريرًا لأنه أول مَن اقترف الاثم وهو منجز حكم العقاب في الأشرار

أما الشيطان فيقال فيه أنه شرير على ما ذهب الأباء القديسون كباسيليوس الكبير في مقالته التي قال فيها أن الله تعالى ليس مبدع الشرور والقديس يوحنا فم الذهب في مقالته 20 في تفسير بشارة متى والقديس اغوسطينوس فصل 57من تعليمه عن الكنيسة لأنه مبدع خطية الانسان أصل الأثام والشرور ويتخذه الله خادمًا في معاقبة الأثمة الأشرار لأن الله يبعث إلى الناس كل شر يكابدونه بسبب الخطية كما قال القديس يوحنا الدمشقي في الفصل 20 من كتابهِ الرابع في

(727)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الايمان المستقيم. وبهذا المعنى ورد في الأسفار الالهية من كلامها: ايُنفخ في البوق في المدينة ولا يفزع الشعب أم يكون في المدينة شر ولم يفعله الرب (عمو ص3ع6) وفي نبوة اشعيا: أنا الرب وليس آخر أنا مبدع النور وخالق الظلمة ومجرى السلام وخالق الشر (ص45ع7) ويُقال أيضًا أن الشيطان شرير لأنه ولو لم نضرّه بشئ لا يزال مع ذلك يصلي لنا نار الوغى ولا يبرح يبغضنا بغضًا قتالاً فاذا تسلحنا بالايمان ولبسنا نطاق البر والطهارة فلا يقدر أن يمسنا بسوء على أنه لا يكف أبدًا عن تجربتنا في الشرور الخارجة وتعفينا كيفما استطاع ولهذا نطلب منه تعالى أن ينجينا من الشرير

العاشر لماذا نطلب من الله أن ينجينا من الشرير بصيغة المفرد لا من الأشرار بصيغة الجمع

نقول: نجنا من الشرير: لا من الأشرار لأن الشرور التي ترد علينا من القريب نعزيها إلى الشيطان بما أنه مبدعها ومغري الناس بفععلها ولذلك لا ينبغي لنا أن نغضب على القريب بدون أن نصوّب غضبنا وبغضنا إلى الشيطان نفسه الذي يحمل الناس على الاضرار والأذى فاذن متى اصابك القريب بضرر اطلب منه تعالى في صلاتك أن ينجيك ليس فقط من الشر أي من تلك المضار التي أنزلها فيك القريب بل أن ينجي القريب نفسه من يد الشيطان الذي يحمل الناس إلى الغش والشر

(728)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الحادي عشر كيف ينبغي أن نتدبر في مكابدة الشرور ولو لم ننُجِ منها سريعًا

يلزمنا أن نعرف أننا اذا لم ننجِ من الشرور مع مداومتنا الصلوت والابتهالات ينبغي أن نتحملها يصبر جميل اذ نعلم أنه تعالى يريد ان نتحمل الشرور ولهذا لا يجوز لنا أن نتذّمر ولا نتلوّع لأن الله لا يستجيب طلباتنا بل يقتضي أن نسلم كل شئ لارادتهِ القدوسة عالمين أن ما يجدينا نفعًا وخلاصًا هو ما يريده الله وحسبما يريده لا ما نراه نحن الخلاف

الثاني عشر ما أكثر وما أعظم ما تأتينا به المصائب والشدائد من الخيرات والفوائد

ثم ينبغي أن نعلم معاشر الأنقياء أنهم طالما في قيد الحياة يلزمهم أن يكونوا مستعدين لأن يحتملوا بطيبة القلب والخاطر كل نوع من البلايا والكوارث لأن الكتاب يقول: أن جميع الذين يريدون أن يحبوا بالقتوى في المسيح يسوع ويضطهدون (1تيمو ص3ع12) وورد في سفر الابركسيس: بمضائق كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت الله (ص14ع21) ثم في بشارة لوقا: أما كان ينبغي للمسيح أن يتألم هذه الآلام ثم يدخل إلى مجده (ص24ع26) فليس من العدل أن يكون العبد أفضل من سيده والتلميذ أفضل من معلمه (متى ص10ع34) ومن العار والشناعة أن تكون الأعضاء متنعمة تحت رأس مكلل الشوك كما قال القديس برنردس في مقالتهِ الخامسة على

(729)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

جميع القديسين. وما أجمل ما قدّمه أوربا مثالاً يقتدي بهِ اذ حين قال لهُ داود الملك أما جئت من السفر فما بالك لا تنزل إلى بيتك فاجأبه أن التابوت واسرائيل ويهوذا مقيمون في الخيام ويوآب سيدي وعبيد الملك سيدي نزول على وجه الصحراء وأنا أدخل بيتي وآكل وأشرب وأدخل على أهلي ولا وحياتك وحياة نفسك أني لا أفعل هذا (2ملوك ص11ع11) فاذا اعتصمنا بهذه الحجج والاعتبارات وقمنا للصلاة فلا جرم أننا ننال النجة من كل ما يحدق بنا من الأهوال والشدائد كما نجت الفتية الثلاثة من النار ونسلم من كل أذى ونصبر على الضرّاء سالمين كالمكابين بشديد العزم والبسالة. ونقتفي في التعبيرات والعذابات أثر الرسل القديسين الذين بعد أن جلدوا بالسياط خرجوا من أمام المحفل فرحين بما أنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسم يسوع (ابركسيس ص5ع41) فإن كنا نحن على مثل هذا الاستعداد سنترنم بفرح القلب قائلين: مع النبي والملك داود: الروساء اضطهزني عن غير علة انما فزع قلبي من كلمتك سررت بأقوالك كمن أصاب مغنمًا كثيرًا (مزمور118ع61)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(730)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السابع عشر

في آخر هذه الصلاة الربية: آمين

الأول ما استعمال هذه اللفظة وما فائدتها

أن القديس ايرونيموس في تفسيره بشارة متى يسمى هذه اللفظة هي البواقع ختام الصلاة الربية فعليهِ كما أوعزنا فيما مضى إلى المؤمنين بما يجب أن يجروه من الاستعداد قبل قيامهم إلى الصلاة هكذا قد رأينا الآن أن نبين لهم ما لختام هذه الصلاة وغايتها من العلة والسبب لأن بداية الصلاة بحرارة ونشاط لا ينبغي أن تكون أفضل من اختتامها بالورع والعبادة بل بالعكس يجب أن تكون الخاتمة أفضل من البداية فيلعلم اذن المؤمنون أن الاثمار التي نجنيها من ختام الصلاة الربية كثيرة وافرة وأوفرها والذّها هو نوال الأشياء التي طلبناها وقد سبق الكلام عليها بما فيه الكفاية لأننا لا نلتمس بهذا القسم الأخير من الصلاة اجابة صلوتنا فقط بل أشياء أخرى أيضًا أعظم وأسنى من أن يُعبر عنها بالكلام

الثاني كم من الخيرات تتأنى للبشر من الصلاة

أن البشر بصلاتهم يخاطبون الله كما قال القديس قبريانوس في كلامهِ على الصلاة الربية ومثله القديس يوحنا فم الذهب في مقالته 1عن الصلاة. فمن أن العزة الالهية تتقرّب للمصلي بنوع يفوق

(731)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الوصف أكثر من تقربها لغيره وتزينه بمواهب فريدة فان الذين يصلون لله بالتقوى يشبهون مَن يقتربون إلى النار فان كانوا باردين يصطلون وأن حارّين فيضطرمون وهكذا بامتثالهم لديه تعالى في الصلاة على سبيل القتوى والايمان يزدادون استعارًا لأن قلبهم يضطرم بسعير الانصباب إلى مجده تعالى وعقلهم يستنير استنارة عجيبة بفيض المواهب الالهية وهذا يعلمه الكتاب المقدس. قال داود النبي: انك تبدأه ببركات الخير وتجعل على رأسه اكليلاً من ابريز (مزمور20ع4) وقد جاء موسى ذاك النبي العظيم مثالاً للجميع فيما نحن بصدده لأنهُ عند دخوله بين يدي الله ليكلم ولدى خروجه كان اديم وجهه مشعشعًا بالضياء حتى لم يكن الاسرائليون يستطيعون النظر اليه فيلقى البرقع على وجهه ليمكنهم مواجهته (خروج ص34 ع35) هكذا مَن يصلون لله بحرارة التقوى يتمتعون برآفة الله وجلاله تمنعًا عجيبًا قال المبي داود: بالغداة اتأَب لك واترقب لأنك لست الهًا يهوى النفاق (مزمور5ع5) ويزداد البشر تكريمًا وتعبدًا لله بقدر ما يتروون في هذه الأمور ويشعرون أيضًا بطيب الرب ويدرون ما أعظم غبطة الذين يتوكلون عليه (مزمور33ع9) واذا استناروا بذاك النور الساطع يدركون ذلهم وحقارتهم وعظمة الجلال الالهي وقد وضع القديس اغوسطينوس هذه القاعدة في هذا الموضوع وهي: أن نعرف الله ذواتنا اذ كان يقول في كتابه 2 في شرحه الأية السادسة من المزمور138: أيها الاله الدائِم الوجود أنعم عليّ أن

(732)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أعرف ذاتي وان أعرفك أنت. فاذا أدركنا هذه المعرفة أَيسنا من قوانا واحسنا الاتكال على رافة الله واثقين بأنه تعالى يشملنا بحنوه الأبوي ومحبته العجيبة يؤتينا بكل ما نحتاجه لحاتنا وخلاصنا ومن ثمّ نعكف على حمده وشكره ما نستطيع من كل نفوسنا وبقدر مكنتنا بالصلاة كما فعل داود النبي حين كان يفتتح صلاته قائلاً: ربي والهي عليك توكلت فخلصني من جميع الذين يضطهدوني: ويختتمها بقوله: اعترف الرب على حسب عدله واشيد لاسم الرب العلي (مزمور27ع1و18)

الثالث كيف يتفق أن القديسين يفتتحون صلواتهم بالخوف ويختتمونها بالفرح

أن صلوات لا تُحصى من صلوات القديسين تبتدئ بالخوف وتنتهي بالرجاء الصالح والفرح فمن العجب ما كان داود النبي يجتهد في تقدمة صلاته على هذا المنوال لأنه لما كان مضطريًا من الخوف كان يبتدئ بصلاته قائلاً: يارب ما أكثر مضايقيّ كثيرون قاموا عليِّ كثيرون يقولون لنفس لا خلاص لهُ بآلههِ. وغب هنيهة يتقوى ويتشدّد ويطفح قلبه سرورًا فيردف كلامه بقوله: لا أخاف من ربوات الشعوب التي اصطفت عليِّ من حولي (مزمور3ع2و7) وفي مزمور آخر يندب شقاه ثم يتكل على الله وتفيض جوارحه سرورًا برجاء السعادة الأبدية فنقول: في دعائي أجبني يا اله برّي في الضيق رّحبت لي فارحمني واسمع صلاتي يا بني البشر حتى متى يكون مجدي

(733)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

عارًا... بالسلام اضجع وأنام لأنك أنت يارب وحدك في طمأنية تسكنني (مزمور4ع2و9) وقد عبر عن مزيد خوفه وارتعابه ببداية المزمور 4 اذ قال: يارب لا يبغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني الاّ أنهُ ما عتَّم أن أتى بكلام يشير إلى البسالة والفرح وهو: أبعدوا عني يا جميع صانعي الاثم لأن الرب قد سمع صوتي بكائي (مزمور4ع9) ولما كان يرهب غضب شاول وسخطه التمس عون الله باتضاع وتذّلل قائلاً: اللهمّ باسمك خلصني وبجبروتك احكم لي (مزمور53 ع3) ثم في المزمور نفسه نسمعه يقول بفرح وطمانينة: أن الله ناصر لي والسيد بين العاضدين لنفسي ع6 فعليهِ يجب على من يقوم للصلاة أن يتنطق بالايمان والرجاء ويتقدّم إلى الله الآب ولا يشك أبدًا له ينال ما يحتاجه

الرابع ما معنى هذه اللفظة (آمين) التي تلفظها في آخر الصلاة الربية والكاهن في القداس

أن لهذه اللفظة آمين في ختام الصلاة الربية معاني كثيرة وهي كأنها خلاصة تلك الحجج والتآملات التي أوردناها في هذا الباب وهي كلمة عبرانية كثيرًا ما نطق بها المخلص كي يحفظ استعمالها في الكنيسة كما حسن للروح القدس وكانها تؤخذ بهذا المعنى: أعلم أن صلاتك قد سُمعت ولها معنى الجواب من قبلهِ تعالى بان المصلي نال ما يريده بصلاته وأن الله سبحانه قد أطلقه برضاه الصالح. وقد ثبتت الكنيسة المقدسة بعملها هذا المعنى لأن الكاهن في القداس

(734)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الالهي حين يتلو الصلاة الربية يترك الخادم أن يقول: لكن نجنا من الشرير ثم يعود الكاهن قائلاً: آمين: دليلاً على أنه ترجمان بين الله والبشر فيجاوب الشعب أنه تعالى استجاب الصلاة

الخامس في كيف أن لفظة آمين تتأول الى معاني شتى

أن كثيرين من العلماء قد أولوا لفظة أمين الى معاني مختلفة فالسبعون مترجمًا قالوا أن معناها: ليكن بدليل ما ورد في سفر المزامير: تبارك الرب اله اسرئيل منذ الأزل والى الابد آمين ثم آمين (مزمور40ع14) أي فليكن وأخرون فسروها بمعنى: حقًا: أي ان هذه الصلاة ترضى الله حقًا والمعلم أكويلا قال أن معناها: بامان: أي فليكن المصلي بامان وتصديق في نوال ما طلبه غير أنه لا فرق في كون معناها هذا أوذاك بشرط أن نفهم أنها تشتمل على المعنى الذي قلناه وهو أن الكاهن يثبت نوال ما طُلب في الصلاة وقد شهد رسول الامم بهذا المعنى في رسالتهِ الثانية الى أهل قورنتية حيث قال: لأن مواعيد الله كلها انما هي فيه نعم فلذلك فيه أيضًا نقول لله آمين لمجده (ص1ع20) ثم قد وُضعت لنا هذه الكلمة مشتملة على تثبيت تلك الطلبات التي لا تزال تتلوها الى الآن وهي تنبه المصلين من شتات الفكر لأن الناس يتشققون على الغالب في الصلاة وتطرق عليهم أفكار شتى لغير الصلاة لا بل أننا نطلب بمزيد الاجتهاد في هذه الكلمة نفسها أن نُعطي جميع ما طلبناه قبلاً أو نعرف أننا قد نلنا جميع ما طلبناه أو نشعر في الحال بقوة المدد الالهي فنهتف مع النبي داود:

(735)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

أن الله ناصر لي والسيد بين العاضدين لنفسي (مزمور53ع6) ونتحقق بدون أدنى شبهة أن الله سبحانه يستجيبنا باسم ابنهِ ولأجل الكلمة التي أكثر ابنه الحبيب من تكرارها وقد استجيب له بسبب الاحترام كما قال الرسول المعظم (عبرانيين ص5ع7) فله المجد والعزة إلى دهر الدهور آمين

(انتهى)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

(736)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

فهرسٌ

مقدمة للمترجم وجه

رسالة الى البطاركة والمطارنة والأساقفة وبيعة الاكليوس العالمي 3 والقانوني

من الطقس الشرقي الحائزين شركة الكرسي الرسولي من البابا 5 بيوس السادس

مقدمة التعليم المسيحي الروماني وفيها الكلام على لزوم الرعاة في الكنيسة وسلطانهم ووظيفتهم وفي رؤوس التعليم المسيحي الخصوصية 10

الباب الأول من التعليم المسيحي الروماني

الفصل الأول في الايمان وقانونهِ 22

الفصل الثاني في الجزء الاول من قانون الايمان أن أومن بالله الأب الضابط الكل الخالق السما والأرض 25

الفصل الثالث في الجزء الثاني من قانون الايمان ونؤمن بيسوع المسيح ابنهِ الوحيد ربنا 44

الفصل الرابع في الجزء الثالث من قانون الايمان الذي حبل بهِ من الروح القدس وولد من مريم العذراء 56

الفصل الخامس في الجزء الرابع من قانون الايمان تألم في عهد بيلاطس البنطي وصلب ومات وقبر 65

(737)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل السادس في الجزء الخامس من قانون الايمان نزل الى الجحيم وفي اليوم الثالث قم من الأموات 79

الفصل السابع في الجزء السادس من قانون الايمان صعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب الضابط الكل 92

الفصل الثامن في الجزء السباع من قانون الايمان وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات 101

الفصل التاسع في الجزء الثامن من قانون الايمان أومن بالروح القدس 109

الفصل العاشر في الجزء التاسع من قانون الايمان نؤمن بالكنيسة المقدسة الجامعة وبشركة القديسين 118

الفصل الحادي عشر في الجزء العاشر من قانون الايمان بغفران الخطايا 139

الفصل الثاني عشر في الجزء الحادي عشر من قانون الايمان بقيامة الأجساد 147

الفصل الثالث عشر في الجزء الثاني عشر من قانون الايمن أومن بالحياة الأبدية 161

القسم الثاني من التعليم المسيحي الروماني

الفصل الاول في الأسرار بالعموم 171

الفصل الثاني في سر المعمودية 195

(738)

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الثالث في سر التثبيت 239

الفصل الرابع في سر القربان 255

الفصل الخامس في سر التوبة 311

الفصل السادس في سر المسحة الأخيرة 367

الفصل السابع في سر الدرجة 378

الباب الثالث من التعليم المسيحي الروماني في وصايا لله العشرة 425

الفصل الأول في الوصايا بالأجمل 425

الفصل الثاني في الوصية الأولى من الوصايا العشر 436

الفصل الثالث في الوصية الثانية لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً 457

الفصل الرابع في الوصية الثالثة اذكر يوم السبت لتقدسه 474

الفصل الخامس في الوصية الرابعة أكرم أباك وأمك كي يطول عمرك على الأرض التي يعطيكها الرب الهك 490

الفصل السادس في الوصية الخامسة لا تقتل 507

الفصل السابع في الوصية السادسة لا تزنِ 523

الفصل الثامن في الوصية السابعة لا تسرق 530 الفصل التاسع في الوصية الثامنة لا تشهد على قريبك شهادة زور 553

الفصل العاشر في الوصيتين التاسعة والعاشر لا تشتهِ بيت قريبك لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئًا مما

(739)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لقريبك 570

الباب الرابع من التعليم المسيحي الروماني

الفصل الأول في الصلاة وأولاً في لزومها 584

الفصل الثاني في فائدة الصلاة 587

الفصل الثالث في أقسام الصلاة ودرجاتها 593

الفصل الرابع في ما يجب أن نطلبه بالصلاة 598

الفصل الخامس في بيان من يجب علينا أن نصلي لأجلهم 601

الفصل السادس الى من يجب أن نصلي 606

الفصل السابع في الاستعداد الواجب للصلاة 608

الفصل الثامن في كيف يجب أن تكون الصلاة 614

الفصل التاسع في فاتحة الصلاة الربية 620

الفصل العاشر في الطلبة الأولى ليتقدس اسمك 637

القسم الثاني من التعليم المسيحي الروماني

الفصل الحادي عشر ليأت ملكوتك 643

الفصل الثاني عشر في الطلبة الثالثة لتكن مشيتك 655

الفصل الثالث عشر في الطلبة الرابعة أعطنا خبزنا كفاتنا كل يوم 670

الفصل الرابع عشر في الطلبة الخامسة اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر لمن أخطاء الينا 686

(740)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

الفصل الخامس في الطلبة لا تدخلنا في التجارب 703

الفصل السادس عشر في الطلبة السابعة لكن نجنا من الشرير 719

الفصل السابع عشر في آخر ختام هذه الصلاة الربية أمين 730

ــــــــــــــــــــــــــــ

اصلاح غلط

صفحة سطر خطا صواب

25 19 الارتياء الارتثاء

24 16 بحيت بحيث

55 04 رصفنا بالعماد رحضنا بالعماد

57 18 حبل بقوة حبل بهِ بقوة

60 04 التبني الذخيرة التبني بالذخيرة

60 20 بشر للعالم بشرّ العالم

06 11 (قونتيه ص1ع18) (قورنتية1ص15ع20)

88أ الينا لأنه تعالى يطلبأ 15 حط أو شبع حط واشبع

134 17 يفقهم يفّقههم

155 17 ووجع أمر ووجعًا أمرّ

(741)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

صفحة سطر خطا صواب

162 006 يحب عليهِ يجب عليهِ

192 06 النمعة النعمة

195 15 لنكون ليكون

198 04 بكلمة الحياة(أفسس ص5ع20) وبكلمة الحياة (أفسس ص5ع25و26)

207 15 بغسل الماء بالكلمة بغسل الماء وبالكلمة

225 08 لمسيح للمسيح

238 14 وأراذيله وارذله

245 09 أن أسرار أن أسرارًا

256 06 وفت وافت

269 16 ما من حد ما من أَحدِ

277 13 أحدهما في أحدها في

295 12 وكما بالعكس ينبغي وكما ينبغي وبالعكس

325 03 يتقدم تقدم

383 18 ربطموه ربطتموه

422 17 محسنًا فحسنًا

426 18 كا كان

454 08 هذه هذا

464 11 يكف يكلف

(742)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

صفحة سطر خطا صواب

465 17 كل بكل

471 04 يخطط يخطئ

471 17 المقدسة المقدس

503 14 الكنودين النكودين

520 01 لولاها أولاهما

575 09 الطبيعة الطبيعية

614 06 نستعلها نستعملها

621 12 وبدببرهم ويدبرهم

625 13 تربيخ وتوبيخ

626 19 يبسغ يسبغ

629 03 ينغي ينبغي

643 1و2 القسم الثاني الفصل الحادي عشر الفصل الحادي عشر في الطلبة الثانية

672 12 متبعًا متعبًا

680 10 بها بهِ

686 01 العاشر عشر

689 03 خطية خطيتهِ

705 15 تذال نزال

(743)

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

صفحة سطر خطا صواب

707 17 الأبلسة الأبالسة

731 09 ليكلم ليكلمه

732 19 فنقول فيقول

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ثيم أ

أن يحفظهُ دائمًا حتى أن كل واحد اذا ارتقى

أن أعمدك

أن ياريراير